نظام ولاية العهد في الدولة الأموية

(٤١ - ١٣٢هـ/ ٦٦١ - ٧٥٠م)

دراســـة تـــاريخية

خلود بنت سالم بن محمد باحشوان

مشروع بحثي / رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الآداب تخصص: التاريخ

قسم التاريخ
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
جامعة السلطان قابوس
~~سلطنة عمان~~

مايو ٢٠١١م

(لجنة المشروع البحثي/ الرسالة)

اسم الطالبة: خلود بنت سالم بن محمد باحشوان   الرقم الجامعي: ٢٠٠٩٠٢٠/ ٠٩

عنوان الرسالة: نظام ولاية العهد في الدولة الأموية (٤١ ـ ١٣٢هـ/ ٦٦١ ـ ٧٥٠م): دراســـة تـــاريخية.

لجنة المشروع البحثي/ الرسالة:

١. المشرف الرئيس: د. بدر بن هلال العلوي.

الدرجة العلمية: أستاذ مساعد.

القسم: التاريخ.

الكلية: الآداب والعلوم الاجتماعية.

التوقيع: ---------------- التاريخ: ٢٥/٥/٢٠١١م------.

٢. المشرف المشارك: أ. د. فاروق عمر فوزي.

الدرجة العلمية: أستاذ.

القسم: التاريخ.

الكلية: الآداب والعلوم الاجتماعية.

التوقيع: ---------------- التاريخ: ٢٥/٥/٢٠١١------.

(لجنة مناقشة المشروع البحثي/ الرسالة)

١. رئيس اللجنة: أ. د. عبد الرحمن صوفي.

الدرجة العلمية: أستاذ.

القسم: الاجتماع والعمل الاجتماعي.

الكلية/ المؤسسة: الآداب والعلوم الاجتماعية.

التوقيع: .... التاريخ: ٢٠/٥/٢٠١١م.

٢. المشرف الرئيس: د. بدر بن هلال العلوي.

الدرجة العلمية: أستاذ مساعد.

القسم: التاريخ.

الكلية/ المؤسسة: الآداب والعلوم الاجتماعية.

التوقيع: .... التاريخ: ٢٠/٥/٢٠١١م.

٣. العضو (ممثل رئيس القسم): د. عصام بن علي الرواس.

الدرجة العلمية: أستاذ مساعد.

القسم: التاريخ.

الكلية/ المؤسسة: الآداب والعلوم الاجتماعية.

التوقيع: .... التاريخ: ٢٠/٥/٢٠١١م.

٤. الممتحن الخارجي: د. عبدالله بن سعود بن حمد أمبوسعيدي.

الدرجة العلمية: أستاذ مساعد.

القسم: المتطلبات العامة.

الكلية/ المؤسسة: العلوم التطبيقية بنزوى – وزارة التعليم العالي.

التوقيع: .... التاريخ: ٢٠/٥/٢٠١١م.

الإهـــــداء

إلى نظر عيني (أبي وأمي).

إلى أرواح غاليتين فقدتهن في مرحلة إعدادي لهذه الرسالة (جدتي وعمتي).

إلى أحبة آزروني ووقفوا معي لحظة بلحظة طوال مشواري الدراسي (جدي وأخوالي).

إلى شموع احترقت لتضيء لي دربي (أساتذتي عامة وأستاذي د/ بدر العلوي خاصة).

عرفاناً وامتناناً

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد..

فإنه لمن دواعي سروري وأنا على مشارف إنهاء هذه الرسالة أن أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى أستاذي الدكتور بدر بن هلال العلوي وذلك لتفضله الكريم بالإشراف على هذه الرسالة، والتي ما كانت لتبصر النور يوماً ما، لولا جهوده المستمرة، وملاحظاته القيمة، ومتابعته الدقيقة لكل حرف من حروفها، ورعايته لي خلال فترة إعدادها. فقد كان خير معين لي منذ التحاقي بالجامعة في سبتمبر ٢٠٠٥م، وحتى إنهاء هذه الرسالة، وإني لأدعو الله أن يجازيه عني خير الجزاء.

كما يسرني أن أتقدم بجزيل الشكر لأستاذي القدير الأستاذ الدكتور فاروق عمر فوزي على متابعته المنتظمة لكل مرحلة من مراحل إعداد رسالتي هذه، كما أشكره على مساعداته لي وخصوصاً في مجال توفير بعض البحوث والأطروحات التي اعتمدت عليها في الرسالة.

ومما يتوجب علي أيضاً، أن أشكر أساتذتي في قسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية على دعمهم المعنوي، ومتابعتهم المستمرة لأموري الدراسية. كما أود هنا أن أقول كلمة شكر لأختي العزيزة أصيلة لما بذلته معي من جهود، ولما قدمته لي من تعزيز معنوي طول فترة دراستي.

ولا يفوتني أن أخص بالشكر بعض الأشخاص على سبيل المثال لا الحصر ممن لم يبخلوا علي بالمساعدة في فترة إعدادي الرسالة وهم: أ. د/ إبراهيم صغيرون، د/ سليمان الصرايرة، د/ سعيد الهاشمي، أ/ علي الريامي، الأخت مريم بنت سعيد البرطماني من القسم، و د/ الطاهر الدرديري، د/ سعيد العبري، من كلية التربية، و أ/ سعيد الحراصي من المكتبة الرئيسية، كما أشكر الأخ أحمد بن علي الكثيري والأخت فاطمة بنت علي الكثيري على جهودهم في مراجعة الرسالة من الناحية اللغوية. جزاهم الله عني خيراً.

ملخص الدراسة

نظام ولاية العهد في الدولة الأموية (٤١ - ١٣٢هـ/ ٦٦١ - ٧٥٠م): دراسة تاريخية

إعداد: خلود بنت سالم بن محمد باحشوان   إشراف: د. بدر بن هلال العلوي

هدفت هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على نظام ولاية العهد في الدولة الأموية في الفترة (٤١هـ - ١٣٢هـ/ ٦٦١م -٧٥٠م)، والذي ظهر في الدولة الإسلامية لأول مرة حين عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد بولاية العهد من بعده، ومن ثم تتبع تطور هذا النظام في الدولة الأموية حتى سقوطها سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م. ولكي يتم مناقشة هذا النظام بطريقة أقرب للموضوعية، فإن الباحثة اعتمدت على المصادر الأولية وبعض المراجع الحديثة، واتبعت المنهج التاريخي القائم على الوصف والتحليل لبعض الروايات التاريخية، مع المقارنة بين آراء المؤرخين المحدثين حول موضوع الدراسة. وتحتوي هذه الدراسة على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة. والفصول هي: الفصل الأول: ولاية العهد في الفترة السفيانية (٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١- ٦٨٣م). أما الفصل الثاني فتخصص في: ولاية العهد في الفترة المروانية (٦٤- ١٢٥هـ/ ٦٨٤- ٧٤٣م). وبالنسبة للفصل الثالث والأخير فهو: الفوضى السياسية وتفاقم الصراع على ولاية العهد (١٢٥- ١٣٢هـ/ ٧٤٣- ٧٥٠م).

وقد خلصت الدراسة إلى نتائج عدة منها: أن الاستخلاف وُجِد عند العرب قبل الإسلام، ولكنه لم يتخذ الصورة الوراثية. اتخذ نظام الاستخلاف في الدولة الإسلامية قبل ظهور الأسرة الأموية صوراً متعددة، أما نظام ولاية العهد الوراثية فقد ظهر لأول مرة في الدولة الإسلامية في زمن الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان. مدى قوة تأثير العصبية القبلية على القرار السياسي في الدولة الأموية. حرص الأمويون على أن يكون أولياء عهدهم يتصفون بصفات تؤهلهم لولاية العهد. أن ولاية العهد الأموية لم تتخذ منحى الوراثة المباشرة بحيث تنتقل السلطة من الأب إلى الابن، فقد تنتقل إلى الأخ أو ابن العم أو حتى أحد أبناء الفرع الآخر شريطة ألا تخرج من الأسرة الأموية. لعب القادة العسكريين والولاة دور في تعيين ولي العهد الأموي. أن مبدأ تعيين ولي عهد للخليفة تطور في الدولة الأموية حتى أصبح نظام له شروط وقواعد، وبرأي الباحثة أن نظام ولاية العهد الأموي كان أحد الأسباب الرئيسية لسقوط الدولة الأموية.

Abstract

The System of Succession in the Umayyad State (41- 132 AH \ 661 – 750 AD):

A Historical Study

Prepared by: Khalood bint Salim bin Mohammed Ba Hashwan

Supervised by: Dr. Badar bin Hilal Al Alawi

This study aimes to shed light on the system of Succession in the Umayyad state, between 41 AH / 661 AD and 132 AH / 750 AD, which appeared in the Islamic state for the first time in the era of Caliph Muawiya bin Abi Sufyan who chose his son to become the caliph after him. The event that paved the way to the development of this succession system in the Umayyad state until it fell down in 132 AH / 750 AD In order to discuss this system in a more objective way, the researcher relied on the . original sources and some modern references. She also adapted historical approach depending on describing and analyzing some historical stories as well as comparing between opinions of modern contemporary historians on this particular subject. The study contains an introduction, preface, conclusion, and three chapters. Chapter I: the mandate of Succession in Sufyania period (41- 64 AH / 661- 683 m). The second chapter: the mandate of Succession in the Marwaani period (64- 125AH / 684- 743 AD). While the last chapter discusses the political chaos and the intensified conflict on the mandate of Succession in the period between (125- 132 AH / 743- 750 AD).

The study concluded several results, some of them are: that the succession did exist among the Arabs before Islam, but it was not inherited, the adaptation of succession system in the Islamic state took various forms before the coming of the Umayyad state, that the inherited mandate of Succession appeared for the first time in the Islamic state at the time of the first Umayyad caliph Muawiya bin Abi Sufyan, the strong influence of tribalism on political decisions in the Umayyad dynasty, the strictness of the Umayyads to give the mandate to qualified figure who can take the responsibility., that the mandate of Succession in the Umayyad dynasty was not directly inherited like direct transition from father to son, but might moved to a brother, cousin or even one of the sons of another branch of the tribe as far as he is from the Umayyads, military commanders and governors played a significant role in the appointment of Caliph (successor), that the principle of the appointment of Successor of the successor had developed in the Umayyad state until it became a system that had conditions and rules. In the opinion of the researcher, the system of mandate in the Umayyad era was one of the main reasons behind the fall of the Umayyad dynasty.

قـــال تعالى:

﴿ وعـــد الله الـــذين آمنـــوا مـــنكم وعملـــوا الصـــالحات

ليستخلفنهم كما استخلف الذين من قبلهم . . . ﴾ .

سورة النور: الآية ٥٥

فهرس المحتويات

الموضوع | الصفحة

الإهداء ---------- د

شكر وتقدير ---------- هـ

ملخص البحث باللغتين العربية والانجليزية ---------- و - ز

فهرس المحتويات ---------- ط - ك

قائمة الاختصارات ---------- ل

المقدمة ---------- ٢ - ٥

التمهيد:

١. الاستخلاف عند العرب قبل الإسلام. ---------- ٧

٢. مفهوم الاستخلاف في القرآن الكريم والسنة النبوية. ---------- ٩

٣. الاستخلاف في الدولة الإسلامية حتى وصول الأمويين للسلطة ٤١هـ/ ٦٦١م. ---------- ١٣

الفصل الأول: ولاية العهد في الفترة السفيانية (٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١- ٦٨٣م):

١. ظهور مشكلة ولاية العهد: مبايعة معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد سنة ٥٦ هـ/ ٦٧٦م. - ١٨

٢. ردود الأفعال على إعلان معاوية قرار تولية العهد ليزيد. ---------- ٢٩

٣. ولاية العهد في زمن يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد حتى ٦٤هـ/ ٦٨٣م. ---------- ٤٦

أ. خروج الحسين بن علي. ---------- ٤٧

ب. خروج عبدالله بن الزبير. ---------- ٥١

٤. الحرب الأهلية والظروف التي ساعدت على بروز مروان بن الحكم. ------------- ٥٦

أ. مؤتمر الجابية. -- ٥٧

ب. معركة مرج راهط. --- ٥٩

الفصل الثاني: ولاية العهد في الفترة المروانية (٦٤-١٢٥هـ/ ٦٨٤-٧٤٣م):

١. ولاية العهد لأكثر من واحد: تولية مروان بن الحكم لابنيه من بعده سنة ٦٥هـ/ ٦٨٥م. - ٦٥

٢. ولاية العهد في زمن عبدالملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٥-٧٠٥م). --------------- ٦٩

أ. ثورة عمرو بن سعيد الأشدق. --- ٧٠

ب. القضاء على ابن الزبير. --- ٧١

ج. البيعة للوليد وسليمان بولاية العهد. --- ٧٣

٣. ولاية العهد في زمن الوليد بن عبدالملك (٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٤-٧١٤م). ----------------- ٧٨

٤. ولاية العهد في زمن سليمان بن عبدالملك (٩٦-٩٩هـ/ ٧١٤-٧١٧م). --------------- ٨٠

أ. سياسة سليمان الانتقامية: -- ٨٠

١. الحجاج بن يوسف الثقفي.
٢. قتيبة بن مسلم الباهلي.
٣. محمد بن القاسم الثقفي.
٤. فاتحي المغرب والأندلس.

٥. تولية الخلافة لعمر بن عبدالعزيز سنة ٩٩هـ/٧١٧م. ------------------------------ ٨٥

٦. ولاية العهد في زمن يزيد الثاني بن عبدالملك (١٠١ - ١٠٥هـ/ ٧١٩-٧٢٣م). ----- ٨٩

أ. ثورة آل المهلب وسقوطهم في موقعة العقر سنة ١٠٢هـ/ ٧٢٠م. -------------------------- ٩١

ب. ولاية العهد لهشام بن عبدالملك. -- ٩٤

٧. ولاية العهد في زمن هشام بن عبدالملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٣م). --------------- ٩٦

الفصل الثالث: الفوضى السياسية وتفاقم الصراع على ولاية العهد (١٢٥ـ ١٣٢هـ/ ٧٤٣ـ ٧٥٠م):

١. ولاية العهد في زمن الوليد الثاني بن يزيد (١٢٥ـ ١٢٦هـ/ ٧٤٣ـ ٧٤٤م). ---------- ١٠٢

أ. ثورة يزيد بن الوليد ونهاية الخليفة الوليد الثاني. ---------- ١٠٨

٢. ولاية العهد في زمن يزيد الثالث وإبراهيم ابني الوليد (١٢٦ـ ١٢٧هـ/ ٧٤٢ـ ٧٤٣م). ١١٥

٣. ولاية العهد في زمن مروان بن محمد (١٢٧ـ ١٣٢هـ/ ٧٤٣ـ ٧٥٠م). ---------- ١٢١

٤. شروط وسمات ولاية العهد الأموية. ---------- ١٢٧

الخاتمة ---------- ١٣١ ـ ١٣٣

الملاحق ---------- ١٣٥ ـ ١٤٠

قائمة المصادر والمراجع ---------- ١٤٢ ـ ١٥٣

قائمة الاختصارات

١. د. ت : دون تاريخ.

٢. د. ن: دون ناشر.

٣. د. م: دون مكان نشر.

٤. د. ط: دون طبعة.

٥. ت: تاريخ الوفاة.

٦. ج: الجزء.

٧. ص: رقم الصفحة.

٨. ط: الطبعة.

١٠. N.E: دون طبعة.

١١. vol: المجلد.

١٢. P: الصفحة.

١٣. N.D: دون تاريخ.

المقدمة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من ببعثته أشرقت شمس التاريخ الإسلامي ونُسجت خيوطه الأولى، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم.. أما بعد..

فقد توفي الرسول -صلى الله عليه- سنة ١١هـ/ ٦٣٢م ولم يستخلف من بعده أحد، بل وترك الأمر شورى بين المسلمين ليختاروا الأصلح لهم، وسار خلفاؤه من بعده على نهج الشورى في تولية من يخلفهم.

ولكن ما إن وصل معاوية بن أبي سفيان (٤١- ٦٠هـ/ ٦٦١- ٦٨١م) إلى الخلافة حتى اتخذ خطوة جديدة، ونهج نهجاً لم يكن معروفاً من قبل في الدولة الإسلامية، وتمثل ذلك في تعيينه لابنه يزيد ولياً للعهد من بعده، وبذلك أصبحت دولة بني أمية (٤١- ١٣٢هـ/ ٦٦١- ٧٥٠م) أول دولة وراثية في الإسلام، وأصبحت الأسرة الأموية أول أسرة حاكمة في تاريخ الإسلام.

ونظراً لذلك فإن ولاية العهد ظهرت بصور متعددة في دولة بني أمية، فنجد خليفة مثل معاوية بن أبي سفيان (٤١- ٦٠هـ/ ٦٦١- ٦٨١م) يعهد لابنه من بعده، وآخر مثل مروان بن الحكم (٦٤- ٦٥هـ/ ٦٨٣- ٦٨٤م) يعهد لاثنين من أبنائه، وعبدالملك بن مروان (٦٥- ٨٦هـ/ ٦٨٤- ٧٠٥م) يعهد لاثنين أو أكثر من أبنائه، ونرى سليمان بن عبدالملك (٩٦- ٩٩هـ/ ٧١٤- ٧١٧م) عهد لابن عمه ومن بعده لأخيه، وكذلك لاحظنا انتقال السلطة من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني، وبذلك يمكن القول أن نظام الاستخلاف في الدولة الأموية اتخذ صوراً وأشكالاً متعددة مع ضرورة الإبقاء على السلطة في الأسرة الأموية.

ومن هذا المنطلق تناقش الباحثة في هذه الدراسة نظام ولاية العهد في دولة بني أمية (٤١- ١٣٢هـ/ ٦٦١- ٧٥٠م)، وذلك من خلال تتبع هذا النظام منذ ظهوره لأول مرة في الدولة الأموية حتى سقوطها، والتطرق إلى بعض النقاط التي أثرت على نظام ولاية العهد الأموية مثل: العصبية القبلية، دور قادة الفتوحات الإسلامية في ذلك -لا سيما- في زمن سليمان بن عبدالملك (٩٦-٩٩هـ/ ٧١٤- ٧١٧م)، ودور بعض رجال الدولة والفقهاء في التأثير على الخليفة من أجل البيعة لولي عهد بعينه.

وتكمن أهمية الدراسة في تتبع قضية ولاية العهد منذ أن ظهرت لأول مرة على مسرح الأحداث في الدولة الإسلامية، وردود الأفعال التي واجهتها الدولة الأموية نتيجة لاستحداثها هذا النظام السياسي في تلك الفترة التي كانت لا تزال تعج بنتائج ما خلفته الفتنة الأولى من اختلافات وانقسامات في الدولة الإسلامية.

وتهدف الدراسة إلى الوقوف على نقاط التطور في هذه القضية السياسية التي صارت فيما بعد تقليد من تقاليد الخلافة في الدولة الإسلامية لها طقوس ومراسم متعارف عليها، كما تهدف إلى البحث عن بعض النقاط الهامة في تاريخ نظام ولاية العهد في الدولة الأموية مثل: انتقال السلطة من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني وما الأسباب والظروف التي أدت إلى ذلك؟ وهل كان لمعاوية الثاني بن يزيد وشخصيته دور في أن تنتقل السلطة من بعده إلى الفرع المرواني بدلاً من استمرارها في الفرع السفياني؟. وتهدف أيضاً إلى إبراز بعض المسائل مثل: تولية عبدالملك لأبنائه من بعده، والدور الذي لعبه كل واحد منهم في حذو خطى أبيه عندما حاول إقصاء أخيه عبدالعزيز من ولاية العهد وتولية أبنائه من بعده. وكذلك دور قضية ولاية العهد في التأثير على حركة الفتوحات الإسلامية -سيما - في عهد سليمان بن عبدالملك، أو ما يعرف بـ سياسة سليمان الانتقامية من كبار قادة الفتوحات الإسلامية، و الكشف عن دور القوى والتكتلات في البلاط والإدارة والأقاليم مثل: دور الجيش، دور الفقهاء والمستشارين وشيوخ القبائل في هذه القضية.

وتحتوي هذه الدراسة على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة. الفصل الأول: ولاية العهد في الفترة السفيانية (٤١ـ ٦٤هـ/ ٦٦١ـ ٦٨٣م). وتناول نقاط عدة هي: ظهور مشكلة ولاية العهد وذلك من خلال مبايعة معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد سنة ٥٦ هـ/ ٦٧٦م، ردود الأفعال على إعلان معاوية قرار تولية العهد ليزيد، ولاية العهد في زمن يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد حتى ٦٤هـ/ ٦٨٣م، الحرب الأهلية والظروف التي ساعدت على بروز مروان بن الحكم.

أما الفصل الثاني: ولاية العهد في الفترة المروانية (٦٤ـ ١٢٥هـ/ ٦٨٤ـ ٧٤٣م). فيتناول النقاط التالية: ولاية العهد لأكثر من واحد من خلال تولية مروان بن الحكم لابنيه من بعده سنة ٦٥هـ/ ٦٨٥م، ولاية العهد في زمن عبدالملك بن مروان (٦٥ـ ٨٦هـ/ ٦٨٥ـ ٧٠٥م)، ولاية العهد في زمن الوليد بن عبدالملك (٨٦ـ ٩٦هـ/ ٧٠٤ـ ٧١٤م)، ولاية العهد في زمن سليمان بن عبدالملك (٩٦ـ ٩٩هـ/ ٧١٤ـ ٧١٧م)، تولية

الخلافة لعمر بن عبدالعزيز سنة ٩٩هـ/٧١٧م، ولاية العهد في زمن يزيد الثاني بن عبدالملك (١٠١ ـ ١٠٥هـ/ ٧١٩ـ ٧٢٣م، ولاية العهد في زمن هشام بن عبدالملك (١٠٥ـ ١٢٥هـ/٧٢٣ ـ ٧٤٣م).

وبالنسبة للفصل الثالث والأخير: الفوضى السياسية وتفاقم الصراع على ولاية العهد (١٢٥ـ ١٣٢هـ/ ٧٤٣ـ ٧٥٠م)، فقد تطرق إلى النقاط التالية: ولاية العهد في زمن الوليد الثاني بن يزيد (١٢٥ـ ١٢٦هـ/ ٧٤٣ـ ٧٤٤م)، ولاية العهد في زمن يزيد الثالث وإبراهيم ابني الوليد (١٢٦ـ ١٢٧هـ/ ٧٤٢ـ ٧٤٣م)، ولاية العهد في زمن مروان بن محمد (١٢٧ـ ١٣٢هـ/ ٧٤٣ـ ٧٥٠م)، شروط وسمات ولاية العهد الأموية.

واعتمدت الدراسة على عدد من المصادر التاريخية وكتب التراجم، هي:

١. ابن سعد (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م): الطبقات الكبرى. والذي يترجم للصحابة والفقهاء وموقفهم من بني أمية في مسألة ولاية العهد، وكذلك يترجم لبعض رجال بني أمية مثل: معاوية بن أبي سفيان ومروان بن الحكم.

٢. خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م): تاريخ خليفة بن خياط. وإن كانت الأحداث التي ذكرها موجزة، إلا أنه يعد مصدراً هاماً لموضوع الدراسة؛ كونه من أقدم مؤرخي التاريخ الإسلامي.

٣. ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٨م): الإمامة والسياسة (منسوب إليه). والذي فصّل في الأحداث التي حدثت في عهد الدولة الأموية، وتحدث عن البيعة لكل ولاة العهد في خلافة الأمويين، كما تحدث عن الحركات التي واجهها الخلفاء الأمويين كردود أفعال على مبدأ توريث الحكم في أسرة بني أمية، وأورد أيضاً بعض الخطب والمراسلات بين معاوية بن أبي سفيان وكبار رجال قريش، والتي تعد مهمة لموضوع الدراسة.

٤. البلاذري (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م): جمل من أنساب الأشراف. يعد هذا الكتاب من أهم المصادر التي تحدثت عن تاريخ أفراد الأسرة الأموية، فقد تحدث البلاذري بصورة مطولة في هذا الكتاب عن الخلفاء الأمويين وولاة عهودهم، وأورد بعض النصوص والكتب التي تخص نظام ولاية العهد في الدولة الأموية.

٥. الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك. يعد من أهم المصادر التي تهم الدراسة، وذلك لأن الطبري فصَّل في تاريخ الدولة الأموية وأورد الكثير من النصوص خصوصاً التي تهم موضوع ولاية العهد في الدولة الأموية، وكذلك تحدث بإسهاب عن كل الأحداث والمعارضات التي حدثت في فترة الحكم الأموي.

٦. مؤلف مجهول (القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي): العيون والحدائق في أخبار الحقائق. والذي يعد من أهم المصادر التي يمكن الاعتماد عليها في مقابلة رواياته بروايات الطبري ومقارنتها مع بعضها؛ لأن رواته لم يعتمد عليهم الطبري.

٧. ابن عساكر (٥٧١هـ/ ١١٧٥م): تاريخ دمشق . والذي ترجم لخلفاء بني أمية وأسهب في الحديث عنهم، وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه أرخ لكل من قدم إلى مدينة دمشق، ولذلك اعتمدت عليه الدراسة في الترجمة للوافدين على الخلفاء الأمويين فضلاً عن الترجمة لشخصيات البيت الأموي.

وبالإضافة إلى المصادر السابقة، اعتمدت هذه الدراسة على عدد من المراجع المتعلقة بالموضوع، وبحمد الله لم تواجه الباحثة صعوبات تذكر، سوى صعوبة الحصول على بعض البحوث المنشورة التي اعتمدت عليها الدراسة، مما اضطرها إلى الاعتماد على نسخ غير منشورة.

والله من وراء القصد ،،،

التمهيد

التمهيد:

١. الاستخلاف عند العرب قبل الإسلام.

تعد القبيلة أساس التنظيم السياسي والاجتماعي عند العرب قبل الإسلام، " والقبيلة هي جماعة من الناس ينتمون إلى أصل واحد مشترك، تجمعهم وحدة الجماعة وتربطهم رابطة العصبية للأهل والعشيرة "[(١)].

ولكل قبيلة مجلس شورى يتكون من المتنفذين[(٢)] وهم أهل الحَل والعقد، وهذا المجلس ينتخب شيخ القبيلة أو رئيسها، والذي يكون عادة من أهل العصبية والنفوذ (الشرف) ومن أهل البيت (بيت سدانة الأصنام) ويراعى أيضاً في اختياره كبر السن، والشجاعة، والكرم، والتجربة، والحنكة، والحلم[(٣)]. ويعرف رئيس القبيلة بـ شيخ القبيلة أو سيد القبيلة، فمثلاً يقال: حذيفة بن بدر سيد غطفان، وعمرو بن جعيد سيد ربيعة[(٤)]. ولا يختلف الأمر في المجتمعات الحضرية عنه في البوادي، فمجلس الشورى هو ما يعرف لدى العرب في الحواضر بـ الملأ وهو مجلس يتكون من علية القوم وأشراف القبيلة وكبار أعيانها، ويجتمع الملأ في مجلس يسمى (دار الندوة)[(٥)].

على الرغم من أن اختيار رئيس القبيلة يتم على أساس مبدأ الانتخاب، إلا أن الانتخاب هنا أشبه بالاختيار التلقائي وليس انتخاباً بالمعنى الذي نفهمه اليوم، ومما هو جدير

---

(١) سالم، السيد عبدالعزيز. التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية. (د. ط)، دار النهضة العربية، بيروت، (د. ت)، ص ٩. (سيشار إليه فيما بعد: سالم، التاريخ السياسي).

(٢) من الفعل نفذ والنافذ هو الماضي في جميع أموره، وهو الخارق، وربما يراد بهم الأشراف. انظر: المنجد في اللغة والأعلام. ط٤٢، دار المشرق، بيروت، (د. ت)، ص ٨٢٤. (سيشار إليه فيما بعد: المنجد).

(٣) برو، توفيق. تاريخ العرب القديم. (د. ط)، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م، ص ١٩٥. (سيشار إليه فيما بعد: برو، تاريخ العرب) ؛ فوزي، فاروق عمر. تاريخ النظم الإسلامية، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠م، ص ٢٤. (سيشار إليه فيما بعد: فوزي، تاريخ النظم).

(٤) علي، جواد. المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ج٥، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٠م، ص ١٨٩. (سيشار إليه فيما بعد: علي، المفصل) ؛ بحري، محمد عبدالله. تطور نظام الحكم في الجزيرة العربية منذ بداية العصور التاريخية حتى القرن الثالث (ق.م). (د.ط)، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، أبوظبي، ٢٠٠٧م، ص ١٥١. (سيشار إليه فيما بعد: بحري، تطور نظام الحكم).

(٥) سالم، المرجع السابق، ص ١٣.

بالذكر أن الحكم في القبيلة لا يكون وراثي بحيث ينتقل إلى أكبر أبناء الشيخ، إلا أن يكون ذلك الابن يتسم بالصفات التي تجعله مرضياً ليتولى رئاسة القبيلة [١].

وأورد ابن خلدون في مقدمته أنه من النادر أن تستمر رئاسة القبيلة في أكثر من أربعة آباء في العقب الواحد؛ معللاً ذلك بأن الفضائل التي يتحلى بها الرئيس الأول لا تلبث أن تنحل رويداً رويداً كلما تولى واحد من أعقابه المتتالين إلى أن تضمحل تلك الفضائل في الرئيس الرابع، فتحتقر القبيلة شأنه، وتستبدل به غيره من تلك القبيلة [٢].

كذلك لا بد للابن الذي يُختار خلفاً لأبيه من أن يحقق لنفسه الزعامة، وذلك بأن يكون سلوكه بنفس الصفات التي يجب أن تتوفر في رئيس القبيلة حتى يسودها ويدير شؤونها، ويفصح عن هذا عامر بن الطفيل أحد زعماء القبائل في الجاهلية [٣]:

وإني وإن كنت ابن فارس عامر	وفي السر منها والصريح المهذب
فما سودتني عامر عن وراثة	أبى الله أن أسمو بأمٍ ولا أب
ولكنني أحمي حماها وأتقي	أذاها، وأرمي من رماها بمقنب[٤]

ومن هنا نستدل على أن الاستخلاف عند العرب قبل الإسلام اتخذ صورتين:

١. توريث ابن الرئيس (شيخ القبيلة) السابق، شريطة أن يتسم بالمواصفات التي تؤهله للبقاء في هذا المقام بعد أبيه. وهذا لا يتحقق إلا نادراً.

٢. اختيار أحد رجال القبيلة القديرين على القيام بمسؤولياتها.

ولكن كلتا الصورتين لا يمكن أن تتحققان إلا بموافقة مجلس شورى القبيلة (أهل الحل والعقد)، والذي يعد صاحب الكلمة العليا في اختيار رئيس للقبيلة.

---

(١) برو، تاريخ العرب، ص ١٩٨.

(٢) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن ابي بكر (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م). مقدمة ابن خلدون. تحقيق: حامد أحمد الطاهر، ط١، دار الفجر للتراث، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١٨٠. (سيشار إليه فيما بعد: ابن خلدون، المقدمة).

(٣) العامري، عامر بن الطفيل (ت ١٠هـ/ ٦٣١م). ديوان عامر بن الطفيل. (د. ط)، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٢٨. (سيشار إليه فيما بعد: العامري، ديوان ابن الطفيل).

(٤) المِقْنَب هو وعاء للصائد يجعل فيه ما يصيده، وتعني أيضاً: جماعة من الخيل تجتمع للغارة. انظر: المنجد، ص ٦٥٦.

٢. مفهوم الاستخلاف في القرآن الكريم والسنة النبوية.

أ - القرآن الكريم:

الاستخلاف في اللغة من الفعل خَلَفَ وتعني: ما استُخلِف ممن قبله، والخليفة هو الذي يُستخلَفُ ممن قبله. ويقال: خلف فلان أبيه. وتعني أنه صار في مكان أبيه [١].

وفي الاصطلاح تعني: انعقاد الإمامة بعهد من قبل الخليفة [٢]. وقد ورد ذكر الاستخلاف في مواضع عدة في القرآن الكريم منها:

- قال تعالى: { وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم كما استخلف الذين من قبلهم...}[٣]. أي: ليجعلنهم خلفاء لغيرهم في الأرض يرثوها ويتصرفون فيها تصرف الملوك [٤].

- قال تعالى: { وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء...} [٥]. أي: يأت بخلق غيركم، وأمم سواكم يخلفونكم في الأرض من بعدكم[٦].

- قال تعالى: { ويستخلف ربي قوماً غيركم ولا تضرونه شيئاً }[٧]. أي: يهلككم ربي، ثم يستبدل ربي منكم قوماً غيركم يوحدونه ويخلصون له العبادة [٨].

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م). لسان العرب. ج٩، (د. ط)، دار صادر، بيروت، (د.ت). ص ٨٣. (سيشار إليه فيما بعد: ابن منظور، لسان العرب).

(٢) الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م). الأحكام السلطانية والولايات الدينية. تحقيق: سمير مصطفى رباب، (د. ط)، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ١٥. (سيشار إليه فيما بعد: الماوردي، الأحكام السلطانية).

(٣) سورة النور: الآية ٥٥.

(٤) الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م). جامع البيان في تفسير القرآن. تحقيق: عبدالله التركي، ج١٧، (د. ط)، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٣٢٤. (سيشار إليه فيما بعد: الطبري، جامع البيان) ؛ الصابوني، محمد بن علي. صفوة التفاسير. ج٢، ط١، مكتبة الغزالي، دمشق، ١٩٨٦م، ص ٣٤٧. (سيشار إليه فيما بعد: الصابوني، صفوة التفاسير).

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٣٣.

(٦) الطبري، المصدر السابق، ج١٢، ص ٢٤٥ ؛ الصابوني، المرجع السابق، ج١، ص ٤٢٠.

(٧) سورة هود: الآية ٥٧.

(٨) الطبري، المصدر السابق، ج١٠، ص ٢٤٠ ؛ الصابوني، المرجع السابق، ج٢، ص ٢١.

● قال تعالى: { عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض }[1]. أي: يجعلكم تخلفونهم في أرضهم بعد هلاكهم [2].

● قال تعالى: {... وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه...}[3]. مستخلفين فيه: المال جعلكم جعلكم الله خلفاء بالتصرف فيه [4].

والاستخلاف هو مرادف لما يعرف بـ ولاية العهد. والعهد لغة هو كل ما عوهد الله عليه، وكل ما بين العباد من العهود والمواثيق[5].

أما الولاية فهي: النصرة والإمارة والنقابة (الرئاسة). ويقال: ولي العهد، لأنه ولي الميثاق الذي يؤخذ على من بايع الخليفة [6].

وولاية العهد اصطلاحاً هي: أن يعهد الخليفة السابق إلى شخص ممن تتوفر فيه شروط الخلافة بأن يلي العهد من بعده [7].

كذلك وردت كلمتي العهد و ولاية في القرآن الكريم في مواضع عدة، ونذكر بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر:

● قال تعالى: { رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليّ في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين }[8]. أي: أنت وليي في دنياي على من عاداني وأرادني بسوء بنصرك، وتغذوني فيها بنعمتك، وتليني في الآخرة بفضلك ورحمتك [9].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٢٩.

(٢) الطبري، جامع البيان، ج١، ص ٢٥٩ ؛ الصابوني، صفوة التفاسير، ج١، ص ٤٦٥.

(٣) سورة الحديد: الآية ٧.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ج٢٢، ص ٣٩٨ ؛ الصابوني، المرجع السابق، ج ٣، ص ٣٢١.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج٢٠، ص ٤٤٨.

(٦) القاسمي، ظافر. نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي: الحياة الدستورية. ط٢، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٧م، ص ١٦٧. (سيشار إليه فيما بعد: القاسمي، نظام الحكم).

(٧) النبهان، محمد فاروق. نظام الحكم في الإسلام. (د. ط)، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٧٣م، ص ٥٣٠. (سيشار إليه فيما بعد: النبهان، نظام الحكم).

(٨) سورة يوسف: الآية ١٠١.

(٩) الطبري، المصدر السابق، ج١٠، ص ٢٤٣ ؛ الصابوني، المرجع السابق، ج٢، ص ٦٩.

● قال تعالى: { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض...}[1]. أي: هم يد واحدة وبعضهم أنصار بعض على من خالف دينهم وملتهم [2].

● قال تعالى: { والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا }[3]. أي: ما لكم من ميراثهم من شيء [4]. والمقصود هنا أن ليس لكم أن تخلفوهم في ميراثهم.

● قال تعالى: { وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا }[5]. والعهد هنا: كل ما عوهد الله عليه، وكل ما بين العباد من المواثيق [6].

● قال تعالى: { والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون }[7]. أي: يحفظون عقودهم التي التي عاقدوا الناس عليها [8].

● قال تعالى: { إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً... }[9]. أي: عهد الله الذي عهد إليهم، والعهد هنا الأمانة، ووصية الله التي أوصاهم بها [10].

ب - السنة النبوية:

وردت كلمة الاستخلاف في السنة النبوية في أحاديث عدة بمعانٍ مختلفة، ومنها:

● عن أنس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استخلف ابن مكتوم على المدينة مرتين [11]. وهنا يبدو أن الاستخلاف جاء بمعنى النيابة، حيث أن الرسول - صلى الله

---

(١) سورة المائدة: الآية ٥١.

(٢) الطبري، جامع البيان، ج٨، ص ١٣٠ ؛ الصابوني، صفوة التفاسير، ج ١، ص ٣٤٩.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٧٢.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ج١٩، ص ١٨ ؛ الصابوني، المرجع السابق، ج١، ص ٥١٦.

(٥) سورة الإسراء: الآية ٣٤.

(٦) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٦٩٨.

(٧) سورة المؤمنون: الآية ٨.

(٨) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٦١ ؛ الصابوني، المرجع السابق، ج٢، ص ٣٠٣.

(٩) سورة آل عمران: الآية ٧٧.

(١٠) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٦٥ ؛ الصابوني، المرجع السابق، ج١، ص ٢١٢.

(١١) أبي يعلى، أحمد بن علي (ت ٣٠٧هـ/ ٩١٩م). مسند أبي يعلى الموصلي. تحقيق: حسين أسد، ج٥، (د. ط)، دار المأمون، دمشق، ١٩٨٥م، ص ٤٢٢. (سيشار إليه فيما بعد: أبي يعلى، مسند).

عليه وسلم - أناب عنه ابن مكتوم على المدينة في فترتين من فترات خروجه للغزو أو غيره.

● عن أبي سعيد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قام خطيباً. فكان فيما قال: " إن الدنيا خضرة حلوة، وإن الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون. ألا، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء"[1].

● عن علي قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: " لو كنت مستخلفاً أحداً عن غير مشورة، لاستخلفت ابن أم عبد ". ابن أم عبد هو عبدالله بن مسعود [2].

● أخرج مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - أنها سئلت: من كان النبي عليه الصلاة والسلام مستخلفاً لو استخلف؟ قالت: أبوبكر، قيل لها: ثم من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر، قيل لها: ثم من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح [3].

(١) ابن ماجه، محمد بن يزيد (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م). سنن ابن ماجه. تحقيق: محمد عبدالباقي، ج٢، (د. ط)، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت)، ص ١٣٢٥. (سيشار إليه فيما بعد: ابن ماجه، سنن).

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٩.

(٣) السيوطي، الحافظ جلال الدين (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م). تاريخ الخلفاء. تحقيق: سعيد محمود عقيل، ط١، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٦٣. (سيشار إليه فيما بعد: السيوطي، تاريخ الخلفاء).

٣. الاستخلاف في الدولة الإسلامية حتى وصول الأمويين للسلطة ٤١هـ/ ٦٦١م.

توفي الرسول -صلى الله عليه وسلم- سنة ١١هـ/ ٦٣٢م، ولم يستخلف من بعده أحد بصورة مباشرة، حيث تشير الروايات إلى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أمر أبا بكر أن يصلي بالناس في فترة مرضه الأخير [١]، وبذلك إشارة إلى أنه يقدم أبا بكر لإمامة المسلمين ولكنه لم يعينه خليفة من بعده، بل ترك الأمر شورى للمسلمين [٢].

تولى أبوبكر الصديق -رضي الله عنه- خلافة المسلمين من ١١هـ/ ٦٣٢م حتى ١٣هـ/ ٦٣٤م، وكان يسمى بـ خليفة رسول الله، وعندما أحس أبوبكر الصديق -رضي الله عنه- بدنو أجله عقد لعمر بن الخطاب عقد الخلافة من بعده [٣].

وتشير رواية الطبري عن ابن سعد أنه لما أراد استخلاف عمر من بعده، دعا عبدالرحمن بن عوف وسأله عن عمر، فقال عبدالرحمن: " يا خليفة رسول الله، هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل، ولكن فيه غلظة "[٤]. ثم دعا عثمان وسأله، فأثنى عليه [٥].

ومن هنا يمكن القول أن الخليفة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- استخلف من بعده عمر بن الخطاب، دون أن يكون له في استخلاف عمر مصلحة ذاتية أو قرابة شخصية، بل كان استخلاف عمر بناءاً على مشاورة أهل الرأي من كبار رجال المسلمين آنذاك، والهدف هو اختيار الأصلح ليقوم بشؤون المسلمين على أكمل وجه.

وكان عمر بن الخطاب (١٣- ٢٣هـ/٦٣٤- ٦٤٣م) -رضي الله عنه- أول من تسمى بأمير المؤمنين في الإسلام، وقام بالعديد من التنظيمات في الدولة الإسلامية، وإليه

---

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م). تاريخ الأمم والملوك. ج٢، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٢٣١. (سيشار إليه فيما بعد: الطبري، تاريخ الأمم والملوك) ؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م). الكامل في التاريخ. تحقيق: أبو صهيب الكرمي، ج٢، (د. ط)، بيت الأفكار الدولية، عمان، (د.ت)، ص ٢٧٦. (سيشار إليه فيما بعد: ابن الأثير، الكامل في التاريخ) ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٦٣.

(٢) الملاح، هاشم يحيى. مكانة الشورى في سياسة وإدارة الرسول (ص). مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، دون مجلد، العدد ٣٠، بغداد، ١٩٨٦م، ص ١٧١. (سيشار إليه فيما بعد: الملاح، مكانة الشورى).

(٣) الطبري، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٥٢.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٥٢.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٥٢.

يرجع الفضل في وضع التقويم الهجري، وتمصير الأمصار، وبدء حركة الفتوحات الإسلامية. وما كان يجدر برجل مثل عمر بن الخطاب أن يترك الأمر من بعده دون ضابط وهو الذي شهد اجتماع السقيفة وما حدث فيه من مداولات يوم انتخاب أبي بكر الصديق للخلافة.

وحين طعن أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة، عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قيل له: " يا أمير المؤمنين لو استخلفت! قال: من استخلف؟ لو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً استخلفته، فإن سألني ربي قلت: سمعت نبيك يقول: إنه أمين هذه الأمة، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً استخلفته، فإن سألني ربي قلت: سمعت نبيك يقول: إن سالماً شديد الحب لله"(١).

وروى مسلم أنه قيل لعمر بن الخطاب: " استخلف. فقال: أتحمل أمركم حياً وميتاً؟ لوددت أن حظي منها الكفاف. لا لي ولا علي. فإن استخلف فقد استخلف من هو خير مني (يعني أبا بكر)، وإن أترككم فقد ترككم من هو خير مني، رسول الله صلى الله عليه وسلم "(٢).

و قبيل وفاته رشح عمر ستة أنفار من الصحابة ليكون أحدهم خليفة من بعده، وهم: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف. وعُرفوا بأهل الشورى، وأمر ابنه عبدالله بأن يكون مع الأكثرية إذا اختلف القوم، ومع الحزب الذي يكون فيه عبدالرحمن بن عوف إذا تساوى الطرفين، واشترط أن لا يكون لابنه عبدالله من الأمر شيئاً، وانتهى رأي أهل الشورى إلى اختيار عثمان بن عفان -رضي الله عنه- ثم بايعه الناس في المسجد بيعة عامة (٣).

وبذلك تولى عثمان بن عفان -رضي الله عنه- الخلافة سنة ٢٣هـ/ ٦٤٣م واستمر خليفة للمسلمين حتى قتل سنة ٣٥هـ/ ٦٥٥م عقب أحداث الفتنة الأولى والتي ذهب -رضي الله عنه- ضحيتها، وهنا اجتمع أمر المسلمين على اختيار علي بن أبي طالب -

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص ٥٨٠.

(٢) مسلم، أبي الحسين بن الحجاج (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م). صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ج٣، (د. ط)، دار إحياء التراث العربي، (د.م)، (د. ت)، ص ٣٣. (سيشار إليه فيما بعد: مسلم، صحيح مسلم).

(٣) سالم، التاريخ السياسي، ص ٢٨٧.

رضي الله عنه، وبويع بالخلافة ولكنه ما لبث حتى واجهته مشكلات تمثلت في مطالبات بني أمية بدم عثمان وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان [1].

وقد وصف معاوية بالدهاء بل وأنه استخدم أساليب متعددة من أجل الوصول إلى مُبتغاه، وليس أدل على ذلك من أنه وظف الصراعات التي أعقبت مقتل عثمان لمصلحته، بل ولجأ إلى التحكيم حين رأى أن كفة علي هي الراجحة في معركة صفين سنة ٣٧هـ/٦٥٧م، ولم يكتف بالتحكيم فحسب، بل وصل به الأمر أن اتفق مع عمرو بن العاص - الذي اختاره كممثل له في التحكيم - على تثبيته على الرغم من أن عمرو وأبو موسى الأشعري - ممثل علي - كانا قد اتفقا على أن يخلع كل منهما صاحبه [2].

وتوفي علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - مقتولاً سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م على يد عبدالرحمن بن ملجم، فبويع من بعده ابنه الحسن بالخلافة في الكوفة، وفي نفس العام ٤٠هـ/ ٦٦٠م بويع معاوية بن أبي سفيان بالخلافة في بيت المقدس، وكان قبلها يدعى الأمير وما لبث بعد قتل علي حتى بايعه أنصاره ودعي أمير المؤمنين [3].

وبعد عدة أشهر من تولي الحسن بن علي الخلافة، تنازل عنها لمعاوية بن أبي سفيان بعد مراسلات عدة بين الطرفين، ويُرجع البعض هذا التنازل إلى أسباب عدة منها [4]:

- حب الحسن للسلم وكراهيته للفتنة والحرب.
- إدراكه بأن قضيته مع معاوية خاسرة لعدم توفر المال لديه، ولأن أنصاره لا يمكنه الاعتماد عليهم.

ومما سبق يتضح أن تجربة معاوية كانت أكثر من منافسيه؛ فقد اعترك في ميدان السياسة والحرب أكثر من غيره، وبالإضافة إلى خبرته ودهاءه، أدرك معاوية أن القوة التي ستوصله إلى مُبتغاه هي قوة أهل الشام، فجعلهم سنداً له، وبالمقابل فإن علياً

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٤٦٤.

(٢) فوزي، فاروق عمر. الخلافة الأموية. ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩م، ص ٧٦. (سيشار إليه فيما بعد: فوزي، الخلافة الأموية).

(٣) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٦٤.

(٤) فوزي، المرجع السابق، ص ٨٢.

والحسن اعتمدا على أهل الكوفة غير الموثوق بهم، بالإضافة إلى أن علي خسر بعض جماعته من الخوارج الذين لم يوافقوه على قرار التحكيم [1].

وقد كونت تلك التجارب لدى معاوية خبرة أدرك من خلالها بنفسه لا بتحريض غيره أنه يستطيع أن يصل إلى ما يريد؛ لأن منافسيه وأنصارهم ليسوا قادرين على الصمود، وبعد أن وصل إلى السلطة لم يكتف بها بل استمر يطلبها لتبقى في بني أمية وفي الفرع السفياني، وفي ابنه بالذات وهو يعلم أنه يستطيع تحقيق ذلك [2].

وبتنازل الحسن بن علي عن الخلافة خلا المسرح لمعاوية نسبياً؛ وبذلك ظهرت على مسرح الأحداث السياسية أسرة جديدة هي الأسرة الأموية والتي استمرت في الحكم قرابة تسعين عاماً بلغت فيها الدولة الإسلامية أوج مجدها وعظمتها.

(١) فوزي، الخلافة الأموية، ص ٧٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٧٧.

الفصل الأول

الفصل الأول: ولاية العهد في الفترة السفيانية (٤١-٦٤هـ/ ٦٦١-٦٨٣م):

تولى معاوية بن أبي سفيان مقاليد الأمور في الدولة الإسلامية سنة ٤١هـ/٦٦١م بعد أن تنازل له الحسن بن علي -رضي الله عنه- عن الخلافة، وحصل على مبايعة أهل الكوفة؛ لذلك عرف عام ٤١هـ/٦٦١م بعام الجماعة، لأن معاوية نال فيه بيعة جميع الأمصار واجتمع الناس على خليفة واحد [1].

ولكي يوطد معاوية بن أبي سفيان أركان دولته أتخذ بعض الخطوات منها: الاعتماد على رجال أكفاء كولاة للأمصار من أمثال: عمرو بن العاص في مصر، المغيرة بن شعبة في الكوفة، وزياد بن أبيه في البصرة. القيام بمحاولات عديدة وجهود حثيثة في مجال الفتوحات الإسلامية سيما على الجبهتين الغربية والشمالية الغربية. ولاية العهد لابنه يزيد ليكون خليفته في الحكم، حيث أعلن معاوية قرار البيعة ليزيد سنة ٥٦هـ/ ٦٧٦م، ونتيجة لذلك ظهر نظام ولاية العهد في الدولة الإسلامية لأول مرة، ولاقت هذه الخطوة التي أقدم عليها معاوية ردود أفعال تباينت بين مؤيد ومعارض، وفي هذا الفصل سيتم عرض ولاية العهد في الفترة السفيانية منذ ظهورها ومن ثم تتبع تطورها حتى نهاية الحكم السفياني وظهور مروان بن الحكم على مسرح الأحداث [2].

١. ظهور مشكلة ولاية العهد: مبايعة معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد سنة ٥٦ هـ/ ٦٧٦م.

تعد ولاية العهد في فترة الحكم السفياني من أكثر الأمور إثارة للجدل في الدولة الإسلامية؛ وذلك لأن مسألة وراثة الحكم لم تكن معروفة في الدولة الإسلامية قبل هذه

(١) ابن خياط، أبي عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م). تاريخ خليفة بن خياط. راجعه: مصطفى فواز وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، ص ١٢٣.(سيشار إليه فيما بعد: ابن خياط، تاريخ ابن خياط) ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٩٢ ؛ ماجد، عبدالمنعم. التاريخ السياسي للدولة العربية: عصر الخلفاء الأمويين. ط ٨، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٢٢. (سيشار إليه فيما بعد: ماجد، التاريخ السياسي).

(٢) طهبوب، صلاح. موسوعة التاريخ الإسلامي: العصر الأموي. (د. ط)، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤م، ص ٨. (سيشار إليه فيما بعد: طهبوب، العصر الأموي).

الخطوة التي اتخذها معاوية عندما عهد بالخلافة من بعده لابنه يزيد، وبذلك يعد معاوية أول خليفة بايع ولده في الإسلام، ويأخذ عليه البعض، بل وينعته بأنه " حول الإمامة إلى مُلكاً كسروياً والخلافة إلى منصباً قيصرياً "[1].

وتشير الروايات التاريخية [2]، إلى أن معاوية وحده لم يكن صاحب قرار التعيين، بل أن لبعض المقربين منه دور في اتخاذه لهذا القرار أو حتى لإثارة انتباهه لهذا الجانب، وتذكر الروايات التاريخية أن المغيرة بن شعبة الثقفي - والِ الكوفة من قبل معاوية (٤٢هـ/٦٦٢م - ٥٠هـ/٦٧٠م) - هو أول من أشار [3] على معاوية بتولية يزيد من بعده، لكن معاوية لم ينفذ هذا القرار إلا سنة ٥٦هـ/ ٦٧٦م [4].

ويبدو أن معاوية بن أبي سفيان أراد ذات مرة عزل المغيرة بن شعبة عن عمل الكوفة وتولية بدلاً منه سعيد بن العاص [5]، وعندما علم المغيرة بذلك قدم الشام على معاوية، وأشار عليه بالعهد من بعده ليزيد، وقد أورد ابن قتيبة [6] نص المشورة وهو: " يا أمير المؤمنين، قد علمت ما لقيت هذه الأمة من الفتنة والاختلاف، وفي عنقك الموت، وأنا

---

(١) الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م). رسائل الجاحظ: الرسائل الكلامية. تقديم: علي أبو ملحم، ط١، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٢٤١. (سيشار إليه فيما بعد: الجاحظ، رسائل الجاحظ) ؛ العشماوي، محمد سعيد. الخلافة الإسلامية. ط٢، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ١٣٤. (سيشار إليه فيما بعد: العشماوي، الخلافة الإسلامية) ؛ نوار، صلاح الدين محمد. نظرية الخلافة أو الإمامة وتطورها السياسي والديني. (د. ط)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٦م، ص ١٠٣. (سيشار إليه فيما بعد: نوار، نظرية الخلافة) ؛ شعبان، فوزي. توريث الحكم في الأديان السماوية. (د. ط)، دار الأحمدي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٢٦١. (سيشار إليه فيما بعد: شعبان، توريث الحكم).

(٢) ابن قتيبة، أبي محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٨م). الإمامة والسياسة. (منسوب إليه)، ج١، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ١٣٤. (سيشار إليه فيما بعد: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة) ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص ٢٤٧ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٥٠١ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٠١.

(٣) لا نعلم السنة التي أشار فيها المغيرة بن شعبة على معاوية بتولية يزيد العهد، ولكن الطبري ذكر ذلك في حوادث سنة ٥٦هـ/٦٧٦م، ويبدو أن إشارة المغيرة على معاوية كانت في فترة ولاية الأول على الكوفة بين عامي ٤٢هـ/٦٦٢م و ٥٠هـ/٦٧٠م. انظر: الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٤٧.

(٤) ابن قتيبة، المصدر السابق، ج١، ص ١٣٤ ؛ السيوطي، المصدر السابق، ص ٢٠١ ؛ الملاح، هاشم يحيى. أساليب تداول السلطة في الدولة العربية الإسلامية. مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، دون مجلد، العدد ٧، الموصل (العراق)، ١٩٧٦م، ص ٢٩. (سيشار إليه فيما بعد: الملاح، أساليب تداول).

(٥) هو أحد رجال بني أمية، وكان من صحابة رسول الله، ومن الأمراء الولاة الفاتحين، ولاه عثمان الكوفة ثم المدينة، توفي سنة ٥٩هـ/ ٦٧٩م. انظر: خريسات، محمد عبدالقادر. الدولة الأموية من النهوض إلى السقوط ٤١- ١٣٢هـ. (د. ط)، مؤسسة حمادة، اربد (الأردن)، ٢٠٠٥م، ص ٤٤ (سيشار إليه فيما بعد: خريسات، الدولة الأموية).

(٦) رغم أن بعض روايات ابن قتيبة مشكوك فيها، لكونه لا يعتمد على الطريقة الحديثية (السندية) في توثيق رواياته كالطبري وغيره من المؤرخين الثقات إلا أنني سأعتمد عليه في بعض الروايات المفردة التي لم أجدها في مصادر أخرى.

أخاف إن حدث بك حدث أن يقع الناس في مثل ما وقعوا فيه بعد قتل عثمان، فاجعل للناس بعدك عَلماً يفزعون إليه، واجعل ذلك يزيد ابنك " (١).

وقد أورد ابن الأثير نص لتلك المشورة، فيه قليل من الاختلاف عما أورده ابن قتيبة ولكنه يتفق معه في المضمون، وهو: " يا أمير المؤمنين، قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان، وفي يزيد منك خلف، فاعقد له، فإن حدث بك حادث كان كهفاً للناس وخلفاً منك، ولا تُسفك دماء ولا تكون فتنة " (٢).

كان المغيرة قد دخل على يزيد قبل أن يذهب إلى معاوية وحدثه عن ولاية العهد، قائلاً له: " إنه قد ذهب أعيان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وآله وكبراء قريش وذوو أسنانهم، وإنما بقي أبناؤهم وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأياً وأعلمهم بالسنة والسياسة، ولا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة " (٣).

وبناءاً على ذلك طلب معاوية من المغيرة العودة إلى الكوفة وتعهد المغيرة لمعاوية أن يأخذ البيعة من أهل الكوفة، وبالفعل عمل المغيرة في بيعة يزيد في الكوفة، حيث استمال بعض أهل الكوفة بالمال وحثهم على الذهاب إلى دمشق لمبايعة يزيد (٤).

ولا يمكن معرفة مصلحة المغيرة بن شعبة من وراء هذه المشورة التي أدت إلى فتنة ثانية هي أشبه بالفتنة الأولى في الدولة الإسلامية، ولكن من خلال استعراض تاريخ هذه الشخصية يمكن التوصل إلى شيء من ذلك؛ فهي من ثقيف الطائف التي عادت الرسول - صلى الله عليه وسلم - ورغم ذلك لا يمكن إساءة الظن واتهام المغيرة بن شعبة بأنه يرمي من وراء تلك المشورة إلى شفاء غليله من بني هاشم، وإثارة أضغان جاهلية تتعلق بالعلاقة التاريخية القديمة بين مكة والطائف؛ ذلك لأنه كان من صحابة النبي - صلى الله عليه وسلم - وشهد معه صلح الحديبية وما بعدها، وشهد فتوح الشام واليمامة، وأصيبت عينه يوم اليرموك، وشهد القادسية، وكان سفيراً لسعد بن أبي وقاص عند رستم؛ لأنه كان من دهاة العرب، وولاه عمر بن الخطاب البصرة ولم يزل

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص ١٣٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٥٠١.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص ٥٠٤.

(٤) أرسل المغيرة مع وفد الكوفة ابنه موسى وقيل ابنه عروة. انظر: المصدر نفسه، ج٣، ص ٥٠٩ ؛ عاقل، نبيه. خلافة بني أمية. (د. ط)، دار الفكر، (د.م)، ١٩٧٥م، ص ٩٤. (سيشار إليه فيما بعد: عاقل، خلافة بني أمية) ؛ طهبوب، العصر الأموي، ص ٢٩.

عليها، لكنه عزل فيما بعد لأنه شهد عليه بالفاحشة، ثم ولاه الكوفة فلم يزل عليها حتى قتل عمر، ثم ولاه إياها معاوية أيضاً [1].

وأغلب الظن أن المغيرة بن شعبة كان يطمح من وراء هذه المشورة إلى أن ينال الحظوة عند معاوية أو حتى عند يزيد، فإذا كان المغيرة خسر معاوية عندما فكر في عزله وتولية سعيد بن العاص، فإنه على الأقل سيكسب يزيد، وسينال لديه حظوة وسيحفظ له هذا الجميل إذا تولى الخلافة يوماً ما.

لكن من خلال النظر من جانب آخر نلاحظ أن المغيرة بن شعبة كان قد اعتزل الفتنة الأولى، ورغم هذا ضمه معاوية إلى صفه، فهو الذي نصح علياً بتولية معاوية الشام وأخذ البيعة له بدلاً من عزله إذا أراد أن يتفادى حربه، والمغيرة هو الذي أرسله معاوية إلى العراق من أجل استرضاء الحسن بن علي ونجح المغيرة في مهمته، وتولى عمل الكوفة لمعاوية منذ سنة ٤٢هـ/ ٦٦٢م، وإقليم الكوفة ليس بالإقليم الهين في دولة بني أمية، فهو الإقليم المعادي للسلطة الأموية، ومصدر للكثير من القلاقل، ومعروف تاريخياً أن الكوفة ولاءها علوي بعكس الشام التي كان ولاءها أموي، ورغم ذلك فقد وضع معاوية الرجل المناسب في المكان المناسب حين اختاره لولاية الكوفة، حيث أنه استطاع أن يضبط عمله، ولم يفتش عن أهواء الناس، وعاملهم على ما يظهر منهم، واستخدم في سبيل ذلك كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة لدرجة أن البعض يعده أول من رشا في الإسلام [2].

وفي رأي السيوطي أن " المغيرة بن شعبة ثانِ من أفسد الأمة بعد عمرو بن العاص؛ فعمرو أفسد الأمة حين أشار على معاوية برفع المصاحف وأدى ذلك إلى الفتنة الأولى وافتراق الأمة، والمغيرة حين أشار على معاوية ببيعة يزيد"، فنتج عن ذلك الفتنة الثانية [3].

(١) ابن سعد، محمد بن سعد بن منبج (ت ٢٣٠هـ/٨٨٤م). الطبقات الكبرى. تحقيق: محمد عطا، ج٦، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٩٧. (سيشار إليه فيما بعد: ابن سعد، الطبقات) ؛ الأصبهاني، أبي الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/ ٩٧٦م). الأغاني. ج١٦، (د. ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت)، ص ٤٢. (سيشار إليه فيما بعد: الأصبهاني، الأغاني) ؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م). أسد الغابة في معرفة الصحابة. تحقيق: خالد عبدالفتاح شبل، ج٥، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٢٣٩. (سيشار إليه فيما بعد: ابن الأثير، أسد الغابة).

(٢) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٥، ص ٢٣٩ ؛ بيضون، إبراهيم. ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري. (د. ط)، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩م، ص ١٥٩. (سيشار إليه فيما بعد: بيضون، ملامح التيارات) ؛ ماجد، التاريخ السياسي، ص ٢٧.

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٠١.

إذا تركنا دور المغيرة بن شعبة جانباً يمكن ملاحظة أن معاوية ورّث ابنه الخلافة؛ لأنه في الظاهر كما زعم هو وبعض شيعته كان خائفاً من الفتنة وافتراق الأمة من بعده، وأغلب الظن أن معاوية كان أموياً صرفاً عندما فكر في تولية العهد ليزيد من بعده؛ وذلك لأن معاوية - والذي يعد داهية العرب في الجاهلية والإسلام - ما كان يجدر به أن يولي العهد من بعده أحداً من خارج الأسرة الأموية، وهو الذي صارع الهاشميين فترة من الزمن من أجل الوصول للسلطة [١].

في حين أن البعض يورد أن يزيد بن معاوية نفسه هو صاحب فكرة التعيين، ويذكر أن يزيد أراد أن يختبر مدى تأثير مثل هذه الفكرة على رجالات بني أمية عند سماعهم لها، ولذلك طلب من الشاعر مسكين الدارمي [٢] - أحد شعراء العراق الذين قدموا إلى البلاط الأموي وكان يزيد يؤثره ويصله - أن يتحدث بهذه الفكرة في مجلس معاوية، فأنشد مسكين في مجلس معاوية أبياتاً منها:

ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر ... ومروان أم ماذا يقول سعيد

بني خلفاء الله مهلاً فإنما ... يبوئها الرحمن حيث يريد

إذا المنبر الغربي خلاه ربه ... فإن أمير المؤمنين يزيدُ [٣]

وكانت للأبيات التي " عرض فيها مسكين الدارمي فكرة البيعة ليزيد أهمية، حيث وضعت بنو أمية - لا سيما المعارضين منهم - في موقف لم يستطيعوا فيه الاعتراض على البيعة في مجلس معاوية، وبذلك اطمأن معاوية على موقف أسرته من البيعة " [٤].

---

(١) فوزي، الخلافة الأموية، ص ٩٠.

(٢) ابن قتيبة، أبي محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٨م). الشعر والشعراء. تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج١، (د. ط)، دار المعارف، القاهرة، (د. ت)، ص ٥٤٤. (سيشار إليه فيما بعد: ابن قتيبة، الشعر والشعراء) ؛ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م). تاريخ دمشق الكبير. تحقيق: علي الجنوبي، ج٢٠، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ص ٣٩. (سيشار إليه فيما بعد: ابن عساكر، تاريخ دمشق).

(٣) العقيلي، عمر سليمان. مبايعة يزيد بن معاوية بولاية العهد. مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، مجلد ١٢، العدد ٢، الرياض، ١٩٨٥م، ص ٣٩٣. (سيشار إليه فيما بعد: العقيلي، مبايعة يزيد) ؛ الصلابي، محمد علي. الدولة الأموية: عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ج١، ط١، دار اليقين للنشر والتوزيع، المنصورة (مصر)، ٢٠٠٦م، ص٥٢١. (سيشار إليه فيما بعد: الصلابي، الدولة الأموية).

(٤) جاسم، جاسم محمد. الوفادات على الخلفاء الأمويين. (د. ط)، دار الكتاب الثقافي، إربد (الأردن)، ٢٠٠٥م، ص ٦٥. (سيشار إليه فيما بعد: جاسم، الوفادات).

وبالمقابل هناك وجهات نظر معارضة لفكرة البيعة، والدليل على ذلك ما قاله أحد الشعراء في هجاء معاوية [(١)]:

فَهَنْها أمةً هلكت ضياعاً يزيد يَسوسُها وأبو يزيد

ومما سبق يتبين أن دور المغيرة بن شعبة ليس إلا عامل مساعد لاستخلاف معاوية ليزيد من بعده، وذلك لأن معاوية كان قد أعد يزيد إعداداً جيداً [(٢)]، وأهتم بتعليمه وتربيته وتثقيفه، حتى أن معاوية كان قد سمح ليزيد بالإقامة مع أمه ميسون مع قومها بني كلب بالبادية ليتعلم منهم الفصاحة [(٣)]، وكان معاوية يهيئ يزيد لمهمة قيادة الدولة من بعده من خلال إرساله في بعض الحملات العسكرية كما هو الحال في حصار القسطنطينية الأول سنة ٤٩ هـ/٦٦٩م حيث أرسل معاوية ابنه مع عدد من أبناء الصحابة مثل: عبدالله بن عمر بن الخطاب، عبدالله بن عباس، عبدالله بن الزبير، وأبي أيوب الأنصاري. ولم يكن عمره آنذاك يتجاوز الثامنة عشر، وذاع صيت يزيد في خلافة أبيه حيث أنه كان مشهوراً بـ (فتى العرب)، ويوصف بأنه " من فتيان قريش الذين ينتفع بهم" [(٤)].

مقابل ذلك نجد الكثير من الروايات المشكوك فيها لأنها لا تتماشى مع طبيعة ذلك العصر الذي كان قريب عهد بالإسلام التي تشير إلى مجون يزيد بن معاوية واستهتاره، فيوصف بأنه " أول من أظهر شرب الشراب، والاستهتار بالغناء والصيد، واتخاذ القيان والغلمان، والتفكه [(٥)] بما يضحك منه المترفون من القرود والمعاقرة بالكلاب والديكة " [(٦)].

---

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م). جمل من أنساب الأشراف. تحقيق: سهيل زكار وآخرون، ج٥، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م، ص-٦٤. (سيشار إليه فيما بعد: البلاذري، أنساب الأشراف) ؛ فوزي، الخلافة الأموية، ص ٥٣٩.

(٢) لم يكن يزيد اكبر ابناء معاوية فقد كان لمعاوية ابن أكبر منه اسمه عبدالرحمن وكان يكنى به، وربما السبب في اهتمام معاوية بيزيد لتوليته العهد دون اخيه هو ان عبدالرحمن ابن أم ولد تسمى فاختة، وكان في ذلك الوقت لا تزال مسألة عروبة الدم من كلا الأبوين أمر ضروري لمن يتولى الخلافة، أو لأن عبدالرحمن مات صغيراً. انظر: البلاذري، المصدر السابق، ج٥، ص٢٩٥ ؛ خفاجي، عبدالمنعم وآخرون. معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي. ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ١٤. (سيشار إليه فيما بعد: خفاجي، معارك فاصلة) ؛ شاكر، محمود. العهد الأموي. ط٧، المكتب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ١٠٧. (سيشار إليه فيما بعد: شاكر، العهد الأموي).

(٣) القلقشندي، أحمد بن عبدالله (ت ٨٢١هـ/١٤١٧م). مآثر الإنافة في معالم الخلافة. تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، ج١، (د. ط)، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٤م، ص ١١٦. (سيشار إليه فيما بعد: القلقشندي، مآثر الإنافة).

(٤) ماجد، التاريخ السياسي، ص ٥٧ ؛ فوزي، المرجع السابق، ص٩٠.

(٥) ربما يراد بها المنادمة أو الفكاهة يقال: تفكّه أي تنعّم. انظر: المنجد، ص ٥٩٢.

(٦) البلاذري، المصدر السابق، ج٥، ص ٢٩٩.

وكان " أول من سن الملاهي في الإسلام من الخلفاء، وآوى المغنين، وأظهر الفتك [1] وشرب الخمر، وكان ينادم عليها سرجون النصراني مولاه والأخطل " [2].

وكان لشيخ الإسلام ابن تيمية رأي في يزيد بن معاوية، حيث أنه ينفي عنه ما وصفه به بعض المؤرخين من الكفر والخلاعة، فيقول: " ومن قال أيضاً أنه إنه كان كافراً، وأن أباه معاوية كان كافراً، فهو أيضاً كاذبٌ مفترٍ " [3]. وكذلك لم يرفع ابن تيمية يزيد إلى مرتبة الصحابة والخلفاء الراشدين، فقال: " ومن قال أن يزيد هذا كان من الصحابة فهو كاذب مفترٍ... ومن جعله من الخلفاء الراشدين المهديين فهو أيضاً ضال مبتدع كاذب " [4].

ومن خلال قول ابن تيمية يمكن القول أنه أنصف يزيد بن معاوية نسبياً، حيث أنه لم يرفعه إلى مرتبة أعلى مما كان عليه كشاب عاش في فترة فتنة واضطرابات في الدولة الإسلامية، وخصوصاً أنه رأى كيف وصل أباه للسلطة، وتعلم منه الأساليب التي يستطيع من خلالها التمسك بحقه في الخلافة فيما بعد، وإضافة إلى ذلك لم يتهم ابن تيمية يزيد بالخروج عن الدين والكفر.

نتيجة لهذا التضارب في الروايات التاريخية التي تصور لنا شخصية يزيد بن معاوية؛ فإن محمد خريسات يرى أن هذا الاختلاف حول شخصية يزيد الأول بن معاوية (ت ٦٤هـ/ ٦٨٣م) وجد بسبب تشابه اسمه مع يزيد الثاني بن عبد الملك (ت ١٠٥هـ/ ٧٢٣م)، وبذلك حصل هذا التداخل في وصف شخصية يزيد بن معاوية، حيث ألصقت الكثير من الأعمال التي نسبت إلى يزيد بن عبدالملك بيزيد بن معاوية [5].

والأرجح أن يكون معاوية اتخذ من مشورة المغيرة بن شعبة ذريعة لكي لا يظهر بمظهر المتخذ لقرار التعيين، لأنه كان متخوفاً من نفرة الناس [6]، ولكثرة المرشحين المناسبين للخلافة بين الصحابة والتابعين وحتى من البيت الأموي نفسه، ولذلك كتب

---

(١) فتك الرجل: كان جريئاً يركب ما هم من الأمور ودعت إليه النفس. انظر: المنجد، ص ٥٦٨.

(٢) المسعودي،علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م). مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق: قاسم وهب،ج٢، ط١، منشورات وزارة التراث، دمشق، ١٩٨٨م، ص ٣١٩ (سيشار إليه فيما بعد: المسعودي، مروج الذهب) ؛ الأصبهاني، الأغاني، ج١٧، ص ٢٢٢.

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٧م). سؤال في يزيد بن معاوية. تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط٣، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٦م، ص ١٥. (سيشار إليه فيما بعد: ابن تيمية، سؤال في يزيد).

(٤) المصدر نفسه، ص ١٥.

(٥) خريسات، الدولة الأموي، ص ١٢٩ ؛ فوزي، الخلافة الأموية، ص ٩١.

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٢٤٨.

معاوية إلى عماله بوصف يزيد، وذلك ربما حتى يقضي على دعوى الناس في وصف يزيد بالخلاعة وشرب الخمر[1].

أراد معاوية أن يسير على مبدأ الشورى -ولو ظاهرياً- في مسألة اختياره لابنه ليكون ولياً للعهد؛ وذلك لأنه كان متخوفاً من ردود الأفعال، فاستشار بعض الرجال مثل زياد بن أبيه الذي كان قد ألحقه بنسبه وولاه البصرة، وضم إليه سنة ٥٠هـ/٦٧٠م الكوفة بعد وفاة المغيرة بن شعبة والِ الكوفة، فكان يقيم ستة أشهر في الكوفة وستة أشهر في البصرة حتى وفاته سنة ٥٣هـ/٦٧٣م [2].

كتب معاوية إلى زياد يستشيره فيما عزم عليه، فوافق زياد معاوية في قراره بعد أن استشار سادات القبائل، فتحدث زياد إلى عبيد بن كعب النميري [3] وقال له: " ... إن أمير المؤمنين كتب إلي يزعم أنه قد عزم على بيعة يزيد، وهو يتخوف نفرة الناس ويرجو مطابقتهم ويستشيرني، وعلاقة أمر الإسلام وضمانه عظيم، ويزيد صاحب رسلة ودهاء مع ما قد أولع به من الصيد، فالقَ أمير المؤمنين مؤدياً عني فأخبره عن فعلات يزيد وقل له رويدك بالأمر، فأقمَنُ أن يتم لك ما تريد، ولا تعجل فإن دركاً في تأخير خير من تعجيل عاقبته الفوت " [4].

لكن زياد وجه عبيد إلى دمشق للاجتماع بيزيد سراً ودعوته إلى ترك ما يؤخذ عليه من لهو ومجون، وكتب زياد إلى معاوية يدعوه إلى التمهل وعدم استعجال الأمر، فقبل معاوية نصيحة زياد، وفي نفس الوقت حاول يزيد أن يكف عن كثير مما كان يصنع، وعاد عبيد إلى البصرة، فكافأه زياد وأقطعه أرضاً في العراق. ويبدو أن معاوية عمل بنصيحة زياد ولذلك نراه لم يعلن البيعة ليزيد إلا بعد ثلاث سنوات من وفاة زياد سنة ٥٦هـ/ ٦٧٦م [5].

---

(١) ماجد، التاريخ السياسي، ص ٥٨.

(٢) ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص ١٢٨ ؛ السيد، محمود. تاريخ الدولة الأموية. (د. ط)، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٣٧. (سيشار إليه فيما بعد: السيد، تاريخ الدولة الأموية) ؛ الصلابي، الدولة الأموية، ج١، ص ٥٢٠.

(٣) أحد رجال القبائل القيسية في العراق. انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٢٤٨ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٠، ص ١٥٤.

(٤) ابن عساكر، المصدر السابق، ج٤٠، ص ١٥٤ ؛ الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٤٨.

(٥) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٤٨ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٥٠٥ ؛ عاقل، خلافة بني أمية، ص ٩٤.

ورغم ذلك لا يمكن الجزم على أن سنة إعلان البيعة هي سنة ٥٦هـ/ ٦٧٦م؛ وذلك لأن المصادر اختلفت حول السنة التي أعلن فيها معاوية قرار البيعة ليزيد بولاية العهد، كالتالي [١]:

- ذكر ابن قتيبة [٢]، والسيوطي [٣]، أن ذلك كان سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م.
- ذكر خليفة بن خياط [٤]، والذهبي [٥]، أن ذلك كان في سنة ٥١هـ/ ٦٧١م.
- ذكر ابن عبد ربه [٦]، أنه كان سنة ٥٥هـ/ ٦٧٤م.
- ذكر الطبري [٧]، وابن الأثير [٨]، وابن كثير [٩]، أن ذلك كان سنة ٥٦هـ/ ٦٧٦م.

ومن هنا فالأرجح أن تكون سنة إعلان البيعة بشكل نهائي هي ٥٦هـ/ ٦٧٦م [١٠]، وبالمقابل استبعاد كل من سنة ٥٠هـ/٦٧٠م ، ٥١هـ/ ٦٧١م و٥٥هـ/ ٦٧٥م، وذلك للأسباب التالية:

- أن سنة ٥١هـ/ ٦٧١م هي سنة وفاة الحسن بن علي [١١]، وبالتالي فإن أغلب الظن أن معاوية الداهية ما كان ليتخذ هذا القرار ويعلنه أمام الناس بعد فترة

(١) الصلابي، الدولة الأموية، ج١، ص ٥٢٩.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص ١٩٣.

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٩٣.

(٤) ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص ١٣١.

(٥) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٦م). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: عهد معاوية بن أبي سفيان. تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٩م، ص ١٤٧. (سيشار إليه فيما بعد: الذهبي، تاريخ الإسلام).

(٦) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م). العقد الفريد. تحقيق: محمد عبدالقادر شاهين، ج ٥، (د. ط)، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ١١١. (سيشار إليه فيما بعد: ابن عبد ربه، العقد الفريد).

(٧) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ١٧٤.

(٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٥٠١.

(٩) ابن كثير، أبو الفدا الحافظ الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م). البداية والنهاية. تحقيق: أحمد جاد، ج٨، (د.ط)، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٧٩. (سيشار إليه فيما بعد: ابن كثير، البداية والنهاية).

(١٠) Muir, William. The Caliphate. (N.E), Draft Published LTD, London, 1984, P 315. (It's will pointed to later: Muir, The Caliphate).

(١١) تشير بعض المصادر أنه توفي سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م. انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٨٧ ؛ ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء هذا الزمان. تحقيق: يوسف طويل وآخرون، ج٢، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٥٣. (سيشار إليه فيما بعد: ابن خلكان، وفيات الأعيان).

قصيرة من وفاة الحسن. وكذلك كان مقتل حجر بن عدي [1]، وهذا أيضاً يجعلنا يجعلنا نستبعد هذا الرأي؛ لأن في إعلان قرار كهذا إثارة لشيعة علي وآل البيت.

- أن زياد بن أبيه لم يكن قد توفي في تلك السنة، وكان قد أشار على معاوية بعدم الاستعجال في اتخاذ قراره.
- إن إعلان القرار كان في فترة ولاية مروان بن الحكم على الحجاز، والمعلوم أن مروان تولى ولاية الحجاز مرتين الأولى من سنة ٤٢هـ/ ٦٦٢م إلى ٤٩هـ/ ٦٦٩م، والثانية من ٥٤هـ/ ٦٧٣م إلى ٥٧هـ/ ٦٧٧م وبالتالي هذا يؤكد استبعاد سنتي ٥٠هـ/ ٦٧٠م، و٥١هـ/ ٦٧١م [2].
- أما فيما يتعلق بسنة ٥٥هـ/ ٦٧٥م، فمن الأرجح أن تكون أوردت بسبب تداخل بعض أحداثها مع أحداث ٥٦هـ/ ٦٧٦م، كما هو الحال بين أي عامين متتاليين.

مما سبق ترجح الباحثة أن هذا الاختلاف وجد بسبب الأحداث التي حدثت في كل سنة من السنوات السابقة، والتي تخص الإجراءات التي اتخذها معاوية من أجل التهيئة للإعلان النهائي لقرار ولاية العهد ليزيد، ولذلك فمن الأرجح أن تكون سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م هي سنة اجتماع الوفود عند معاوية في الشام، وذلك لأن خطب رؤساء القبائل المجتمعين تدلنا على أن الحسن ما يزال على قيد الحياة، وكما هو معلوم أن الحسن توفي سنة ٥١هـ/ ٦٧١م. والظن أن سنة ٥٦هـ/ ٦٧٦م هي السنة التي تم فيها الإعلان النهائي لقرار تولية يزيد العهد، في حين أن السنوات التي ذكرت آنفاً، ربما تكون تمت فيها مشاورات بشأن هذا القرار.

وفي هذا المقام لابد لنا من أن نقارن بين شخصية كلّ من علي ومعاوية في مسألة الاستخلاف، ذلك أن علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- قتل في ١٧ من رمضان سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م ولم يوصِ لأحد، بل وحين سئل عن الحسن وبيعته أجاب " لا آمركم ولا

---

(١) حجر بن عدي الكندي صحابي من أنصار علي، شهد معه وقعتي الجمل وصفين، خرج على معاوية فقتله سنة ٥١هـ/ ٦٧١ في موقعة مرج عذراء في إحدى قرى دمشق. انظر: ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص ١٣١ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٥٠ ؛ الزركلي، خير الدين. الأعلام. ج٢، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٦٩. (سيشار إليه فيما بعد: الزركلي، الأعلام).

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص ٢٨ ؛ الصلابي، الدولة الأموية، ج١، ص ٥٣٠ ؛ العقيلي، محمد أرشيد. مروان بن الحكم ينقذ الحكم الأموي. مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، مجلد١٤، العدد٤٥، دمشق، ١٩٩٣م، ص ١٤. (سيشار إليه فيما بعد: العقيلي، مروان بن الحكم) ؛ عبدالعال، محمد. الحالة السياسية للمدينة المنورة إبان الحكم الأموي. ط١، مكتبة العلم والإيمان، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٤٥. (سيشار إليه فيما بعد: عبدالعال، الحالة السياسية) ؛ The Encyclopaedia of Islam: New edition. Edited by: C. E BOSWERTH and others, vol 5, New edition, E. J. Brill, Leiden, 1999, P 621. (It's will pointed to later: The Encyclopaedia of Islam).

أنهاكم وأنتم بأموركم أبصر "[1]. وهذا ما لا نجده في شخصية معاوية بن أبي سفيان الذي جعلها وراثية في أهل بيته حين استخلف ابنه يزيد وهو لا يزال على قيد الحياة، رغم أن علياً بن أبي طالب ابن عم الرسول -صلى الله عليه وسلم- وربما كان أحد أصحاب الحق في الخلافة إذا لم تخرج من أهل بيت الرسول.

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ١٥٧ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٣٩١ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٤٢٥ ؛ فوزي، الخلافة الأموية، ص ٧٨.

٢. ردود الأفعال على إعلان معاوية قرار تولية العهد ليزيد.

عندما أعلن معاوية بن أبي سفيان قرار البيعة ليزيد بولاية العهد في بلاد الشام، لم يلقَ معارضة من قبل أهل الشام لقرار البيعة، حيث أنه عقد اجتماعاً في دمشق حضره بعض رجال بني أمية بالإضافة إلى شيوخ القبائل العربية في بلاد الشام من أمثال: الضحاك بن قيس الفهري، وثور بن معن السلمي، وعبدالله بن عصام الأشعري، وعبدالله بن مسعدة الفزاري، وعبدالرحمن بن عثمان الثقفي، وحسان بن مالك بن بحدل الكلبي. كما حضر محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري في وفد من أهل المدينة المنورة، والأحنف بن قيس التميمي، والجَون بن قتادة العبشمي، وجارية بن قدامة السعدي في وفد من أهل البصرة [1].

وكان هذا الاجتماع أشبه بمكان للمشاورة، والبيعة الخاصة لأن معاوية عرض قضيته وكل المجتمعين وافقوا معاوية على قرار البيعة عدا الأحنف بن قيس الذي دعا معاوية إلى مراعاة مصلحة المسلمين، والأجدر استعراض ما قاله كل هؤلاء الرجال، فيما يلي:

أ- الضحاك بن قيس الفهري [2]: كان مما قاله الضحاك بن قيس: " ... وقد رأينا من دعة يزيد بن أمير المؤمنين، وحسن مذهبه، وقصد سيرته... مع ما قسم الله له من المحبة في المسلمين، والشبه بأمير المؤمنين في عقله وسياسته وشيمه المرضية، ما دعانا إلى الرضا به في أمورنا، والقنوع به في الولاية علينا. فليوله أمير المؤمنين - أكرمه الله - عهده، وليجعله لنا ملجأ ومفزعاً [3] بعده. نأوي إليه إن كان كون (حدث حادث) فإنه ليس أحد أحق بها منه..." [4].

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص ١٣٥ ؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ١٠١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٥٠٨.

(٢) زعيم قبائل قيس عيلان، ومن انصار معاوية، وكان ممن آزر عبدالله بن الزبير، قتل بمرج راهط سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م. انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٦، ص١٤٩ ؛ البلاذري، المصدر السابق، ج١١، ص ٤٦.

(٣) مفزع تعني ملجأ، فيقال: فلان مفزع للناس أي ملجأ لهم إذا داهمهم أمر. انظر: المنجد، ص ٥٨١.

(٤) ابن قتيبة، المصدر السابق، ج١، ص ١٣٥ ؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣، ص ٥٠٨.

ب - عبدالرحمن بن عثمان الثقفي [1]: قام عبدالرحمن بن عثمان وأبدى رأيه - وهو لا يختلف كثيراً عن رأي الضحاك بن قيس - قائلاً: "... ويزيد بن أمير المؤمنين قد عرفنا سيرته، وبلونا علانيته، ورضينا ولايته، وزادنا ذلك انبساطاً، وبه اغتباطاً، ما منحه الله من الشبه بأمير المؤمنين والمحبة في المسلمين، فاعزم على ذلك، ولا تضق به ذرعاً، فالله تعالى يقيم به الأود [2]، ويردع به الألد [3]، وتؤمن به السبل، ويجمع به الشمل، ويعظم به الأجر، ويحسن به الذخر" [4].

ج - ثور بن معن السلمي [5]: قام ثور السلمي، مؤيداً قرار البيعة ليزيد، وكان مما قاله: "... ويزيد بن أمير المؤمنين أقدمنا شرفاً ... وقد دعانا إلى الرضا به والقنوع بولايته، والحرص عليه والاختيار له، ما قد عرفنا من صدق لسانه ووفائه، وحسن بلائه، فاجعله لنا بعدك خلفاً، فإنه أوسعنا كنفاً، وأقدمنا سلفاً، وهو رتق لما فتق، وزمام لما شعب، ونكال لمن فارق ونافق، وسلم لمن واظب وحافظ للحق، اسأل الله لأمير المؤمنين أفضل البقاء والسعادة والخيرة فيما أراد، والتوطن في البلاد، وصلاح أمر جميع العباد" [6].

د - عبدالله بن عصام الأشعري [7]: وكان مما قال: "... وأنت يا أمير المؤمنين مسؤول مسؤول عن رعيتك، ومأخوذ بولايتك، وأنت أنظر للجماعة، وأعلى عيناً بحسن الرأي لأهل الطاعة، وقد هديت ليزيد في أكمل الأمور، وأفضلها رأياً، وأجمعها رضا، فاقطع بيزيد قالة الكلام، ونخوة المبطل، وشغب المنافق، واكبت به الباذخ المعادي، فإن ذلك ألمّ للشعث... فاعزم على ذلك ولا تترامى بك الظنون" [8].

---

(١) في تاريخ دمشق هو ابن أم الحكم بنت أبي سفيان أخت معاوية، ولاه معاوية الكوفة سنة ٥٧هـ/ ٦٧٧م، ولكن يذكر ابن خياط أن عبدالرحمن بن عثمان الثقفي هو عم عبدالرحمن بن أم الحكم الثقفي. انظر: ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص ١٣٠ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٧، ص ٣٠.

(٢) الأود تعني الاعوجاج فيقال: عود أود أي أعوج. انظر: المنجد، ص ٢٠.

(٣) الألد هو الخصم شديد الخصومة. انظر: المرجع نفسه، ص ٧١٨.

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ، ج١، ص ١٣٦.

(٥) من أصحاب الضحاك بن قيس، وكان موالياً لمعاوية، وممن دعا إلى بيعة ابن الزبير قتل بمرج راهط. انظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج١١، ص ٢٢٨.

(٦) ابن قتيبة، المصدر السابق، ج١، ص ١٣٦.

(٧) لم أجد له ترجمة في تاريخ دمشق.

(٨) المصدر نفسه، ج١، ص ١٣٧.

هـ - عبدالله بن مسعدة الفزاري [١]: "... ويزيد ابن أمير المؤمنين أحسن الناس برعيك [٢] رافةً، وأحقهم بالخلافة بعدك، قد ساس الأمور، وأحكمته الدهور، ليس بالصغير الفقيه ولا بالكبير السفيه... وأشد الناس في العدو نكاية، وأحسنهم صنعاً في الولاية، وأنت أغنى بأمرك، وأحفظ لوصيتك، وأحرز لنفسك..." [٣].

و- الأحنف بن قيس التميمي [٤]: "...ويزيد ابن أمير المؤمنين نعم الخلف، وقد حلبت الدهر أشطره يا أمير المؤمنين، فاعرف من تسند إليه الأمر من بعدك، ثم أعص أمر من يأمرك، لا يغررك من يشير عليك، ولا ينظر لك وأنت أنظر للجماعة، وأعلم باستقامة الطاعة، مع أن أهل الحجاز وأهل العراق لا يرضون بهذا، ولا يبايعون ليزيد ما كان الحسن حياً " [٥].

ويبدو أن كلام الأحنف بن قيس لم يعجب بعض الحاضرين ومنهم الضحاك بن قيس، وهذا دليل على أن الضحاك بن قيس وبعض الحاضرين كانوا يؤيدون معاوية تأييداً شديداً في قراره هذا، ويدل على مدى تأييد الضحاك بن قيس لقرار البيعة الرد اللاذع الذي رد به على الأحنف بن قيس: "... إن أهل النفاق من أهل العراق، مروءتهم في أنفسهم الشقاق، وألفتهم في دينهم الفراق، يرون الحق على أهوائهم، كأنما ينظرون بأقفائهم، اختالوا جهلاً وبطراً، لا يرقبون من الله راقبة، ولا يخافون وبال عاقبة، اتخذوا إبليس لهم رباً، واتخذهم إبليس حزباً، فمن يقاربوه لا يسروه، ومن يفارقوه لا يضروه، فادفع رأيهم يا أمير المؤمنين في نحورهم، وكلامهم في صدورهم، ما للحسن وذوي الحسن في سلطان الله الذي استخلف به معاوية في أرضه؟ هيهات لا تورث الخلافة عن كلالة، ويحجب غير الذكر العصبة، فوطنوا أنفسكم يا أهل العراق على المناصحة لإمامكم، وكاتب نبيكم وصهره، يسلم لكم العاجل، وتربحوا من الآجل " [٦].

(٦)

(١) كان من سبي فزارة، ووهبه النبي لفاطمة ابنته فأعتقته، ناصر معاوية في صفين، وبعثه يزيد على جند دمشق يوم الحرة، وبايع مروان بالجابية. انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٥، ص ٣٣.

(٢) هكذا في الأصل، وربما المقصود بها رعيتك. انظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص ١٣٧.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ١٣٧.

(٤) سيد بني تميم في البصرة، من دهاة العرب وقادتهم في صدر الإسلام، توفي سنة ٧٢هـ/ ٦٩١م. انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج١٢، ص ٣٢٤ ؛ الزركلي، الأعلام، ج١، ص ٢٧٦.

(٥) ابن قتيبة، المصدر السابق، ج١، ص ١٣٨ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٥٠٩.

(٦) ابن قتيبة، المصدر السابق، ج١، ص ١٣٨ ؛ البلاذري، المصدر السابق، ج١٢، ص ٣٢٤ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٧٩.

فقام الأحنف بن قيس مرة أخرى وخطب قائلاً: " يا أمير المؤمنين، إنا قد فررنا عنك قريشا، فوجدناك أكرمها زنداً، وأشدها عقداً، وأوفاها عهداً، وقد علمت أنك لم تفتح العراق عنوة، ولم تظهر عليها قصعاً، ولكنك أعطيت الحسن بن علي من عهود الله ما قد علمت، ليكون له الأمر من بعدك، فإن تف فأنت أهل الوفاء، وإن تغدر تعلم، والله إن وراء الحسن خيولاً جياداً، وأذرعاً شداداً، وسيوفاً حداداً، وإن تدن له شبر من غدر، تجد وراءه باعاً من نصر، وإنك تعلم أن أهل العراق ما أحبوك منذ أبغضوك، ولا أبغضوا علياً وحسناً منذ أحبوهما، وما نزل عليهم في ذلك غير من السماء، وإن السيوف التي شهروها عليك مع علي في صفين لعلى عواتقهم، والقلوب التي أبغضوك بها لبين جوانحهم، وأيم الله إن الحسن لأحب إلى أهل العراق من علي" [(1)].

وبعد ذلك قام معاوية خطيباً، فقال: " أيها الناس، إن لإبليس من الناس إخواناً وخلاناً بهم يستعد، وإياهم يستعين، وعلى ألسنتهم ينطق، إن رجوا طمعاً أوجفوا، وإن استغني عنهم أرجفوا، ثم يلحقون الفتن بالفجور، ويشققون لها حطب النفاق، عيابون مرتابون، إن ولوا عروة أمر حنقوا، وإن دعوا إلى غي أسرفوا، وليسوا أولئك بمنتهين ولا بمقلعين ولا متعظين، حتى تصيبهم صواعق خزي وبيل، وتحل بهم قوارع أمر جليل، تجتث أصولهم كاجتثاث أصول الفقع، فأولى لأولئك ثم أولى، فإنا قد قدمنا وأنذرنا إن أغنى التقدم شيئاً أو نفع النذر" [(2)].

ثم دعا معاوية الضحاك فولاه الكوفة، ودعا عبدالرحمن الثقفي فولاه الجزيرة الفراتية، ثم قام الأحنف بن قيس فقال: " يا أمير المؤمنين، أنت أعلمنا بليله ونهاره (يقصد يزيد)، وبسره وعلانيته، فإن كنت تعلم أنه خير لك فوله واستخلفه، وإن كنت تعلم أنه شر لك، فلا تزوده الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة، فإنه ليس لك من الآخرة إلا ما طاب، وأعلم أنه لا حجة لك عند الله إن قدمت يزيد على الحسن والحسين، وأنت تعلم من هما، وإلى ما هما، وإنما علينا أن نقول: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير" [(3)].

ويشير العقيلي، إلى أهمية هذا الاجتماع الذي عقده معاوية من خلال تثمين أقوال المتحدثين فيه، قائلاً: " إن المتمعن في أقوال المتحدثين في ذلك الاجتماع، وهي أقوال

(1) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص 138.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص 139.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص 139 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص 508 ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص 112.

صدرت عن أناس عركتهم الحياة، وعلمتهم التجارب، سوف يلمس أن كل واحد منهم كان يبغي النفع للصالح العام لأفراد الأمة الإسلامية "[1].

وكان ممن وافق معاوية أيضاً على قراره هذا في الاجتماع عمرو بن سعيد بن العاص[2] والمعروف بـ الأشدق، ويزيد بن المقنع العذري[3] الذي تكلم في الاجتماع وأنهى كلامه بقوله: " أمير المؤمنين هذا "، وأشار إلى معاوية، " وإذا مات فهذا "، وأشار إلى يزيد، " ومن أبى فهذا "، وأشار إلى السيف. ثم أنشد[4]:

معاوية الخليفة لا تمارى   فإن تهلك فسائسنا يزيد

فمن غلب عليه الشقاء جهلاً   تحكم في مفارقه الحديد

ومما سبق يتبين أن أهل الشام وافقوا معاوية على قرار البيعة، وذلك للأسباب التالية:

- لم تكن قضية توريث الحكم جديدة على أهل الشام؛ وذلك نظراً للاتصال الجغرافي والتاريخي بينهم وبين الدولة البيزنطية.
- حب أهل الشام لمعاوية ولبني أمية وتعصبهم لهم دون غيرهم.
- رغبة الشاميين في بقاء ثقل الدولة الإسلامية ومركزها في بلادهم وما يتبع ذلك من موارد مالية ومصالح اقتصادية من العطاء والرزق، وذلك لأن الخلافة لو آلت من بعد معاوية للحسن أو حتى لأحد من أبناء الصحابة فإن العاصمة لن تكون دمشق بالطبع، بل ستنتقل إلى الحجاز أو العراق.

---

(١) العقيلي، مبايعة يزيد، ص ٤٠٥.

(٢) أحد رجال بني أمية، ولي مكة والمدينة لمعاوية وابنه يزيد، ثار على عبدالملك بن مروان فقتل سنة ٧٠هـ/ ٦٩٠م. انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ١٦٥ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٥١٠ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٩٨ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٩، ص ٢٢ ؛ الزركلي، الأعلام، ج٥، ص ٧٨.

(٣) لم أجد له ترجمة، ولكن يبدو أنه كان أحد رجال القبائل الموالية لبني أمية.

(٤) القالي، أبي علي إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م). كتاب الأمالي. تحقيق: صلاح هلل وآخرون، ج١، (د. ط)، المكتبة العصرية، صيدا (لبنان)، ٢٠٠٦م، ص ١٥٩. (سيشار إليه فيما بعد: القالي، الأمالي).

- طول فترة حكم معاوية لبلاد الشام، حيث أنه وليها لعمر بن الخطاب منذ سنة ١٨هـ/ ٦٣٨م بعد أن توفي أخيه يزيد بن أبي سفيان متأثراً بطاعون عمواس، مع العلم أن معاوية كان قبل ذلك والياً على الأردن [١].

أرسل معاوية إلى مروان بن الحكم - واليه على المدينة - كتاب فيما يلي نصه: " إني قد كبرت سني، ودق عظمي، وخشيت الاختلاف على الأمة بعدي، وقد رأيت أن أتخير لهم من يقوم بعدي، وكرهت أن أقطع أمراً دون مشورة من عندك، فأعرض ذلك عليهم، وأعلمني بالذي يردون عليك " [٢]. وعرض مروان قرار معاوية على الناس، فقالوا: أصاب ووُفق، وقد أحببنا أن يتخير لنا فلا يألو. فكتب مروان إلى معاوية بذلك، فأعاد إليه الجواب يذكر يزيد، فقام مروان وخطب: " إن أمير المؤمنين قد أختار لكم فلم يألُ، وقد استخلف ابنه يزيد بعده. فقام عبدالرحمن بن أبي بكر فقال: كذبت والله يا مروان، وكذب معاوية! ما الخيار أردتما لأمة محمد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل " [٣].

كتب مروان إلى معاوية: " إن قومك أبوا إجابتك إلى بيعتك ابنك ". فعزله معاوية، وولى بدلاً منه سعيد بن العاص. ثم كتب معاوية إلى سعيد بن العاص وهو على المدينة يأمره أن يدعو أهل المدينة إلى بيعة يزيد، فأظهر سعيد لهم الغلظة والشدة، فأسرع الناس إليه عدا القليل ومنهم بني هاشم، فكتب سعيد يخبر معاوية بذلك [٤].

ومما سبق يبدو أن مروان بن الحكم عارض الفكرة بدايةً، وأغلب الظن أنه عارض بسبب أنه كان أكبر بني أمية سناً في ذلك الوقت، ولا يمكن مقارنته بيزيد الذي

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ٢١ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص ٣٦٠ ؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٦م). العبر في خبر من غبر. تحقيق: محمد بسيوني، ج١، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١٦. (سيشار إليه فيما بعد: الذهبي، العبر) ؛ خفاجي، معارك فاصلة، ص ١٢ ؛ Encyclopaedia of Islam (1). Edited by: M. TH. HOUTSMA and others, vol 5, old edition, E. J Brill, Leiden, 1927, P 617. (It's will pointed to later: First Encyclopaedia).

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٥٠٥ ؛ حمادة، محمد ماهر. الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي. (د. ط)، مؤسسة الرسالة، (د. م)، (د.ت)، ص ١٣١. (سيشار إليه فيما بعد: حمادة، الوثائق السياسية).

(٣) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣، ص ٥٠٥.

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص ١٤٢.

يصغره بأكثر من عقدين من الزمان [1]، وربما أن مروان كان يطمع بالخلافة من بعد معاوية، ولكنه بعد ذلك رضي بالأمر [2].

وبعد أن حصل معاوية على بيعة أهل الشام وأهل العراق من خلال لقاءه بوفود القبائل، ورسله إلى عماله، قرر الاتجاه إلى الحجاز، وهو الإقليم المعارض لسلطة بني أمية، ويذكر أنه كان برفقة معاوية ألف فارس، ولما دنا من المدينة لقي الحسين بن علي - رضي الله عنه - وكان أول من لقيه من الناس، وقد ذكر ابن الأثير ذلك اللقاء في رواية دون سند يشير فيها إلى شدة معاوية وغلظته حين قابل الحسين على مشارف المدينة، ومما جاء في الرواية: " فلما نظر إليه قال معاوية: لا مرحباً ولا أهلاً! بدنة [3] يترقرق [4] دمها والله مهريقه [5]! قال الحسين: مهلاً، فإني والله لست أهلاً لهذه المقالة! قال: بلى ولشر منها " [6]. ثم لقيه كل من ابن الزبير، وعبدالرحمن بن أبي بكر، وابن عمر، وقابلهم معاوية بنفس الصورة التي لقى بها الحسين، فأقبلوا معه لا يلتفت إليهم حتى دخل المدينة، فجاءوا عند بابه ولم يأذن لهم، ولم يروا منه ما يحبون، فخرجوا إلى مكة وأقاموا بها [7].

وبرأي الباحثة أن رواية ابن الأثير السابقة ضعيفة، لأنها ليس لها وجود عند الطبري ولا عند غيره، بالإضافة إلى أنه لا يعقل أن يقابل معاوية الحسين بتلك الصورة خصوصاً وأنه في حاجة إلى تأييد الحسين في قرار البيعة ليزيد بولاية العهد.

وقبل خروج الحسين ومن معه خطب معاوية في أهل المدينة، وحضر الحسين وأصحابه الخطبة، ويورد ابن قتيبة [8] النص، كما يلي: " يا أهل المدينة، لقد هممت ببيعة يزيد، وما تركت قرية ولا مدرة إلا بعثت إليها في بيعته، فبايع الناس جميعاً وسلموا، وأخرت المدينة بيعته... وكان الذين أبوا البيعة منهم من كان أجدر أن يصله، ووالله لو علمت مكان أحد هو خير للمسلمين من يزيد لبايعت له، فقام الحسين فقال:

---

(1) حيث أن مروان ولد سنة ٢هـ/ ٦٢٣م، ويزيد ولد سنة ٢٥هـ/ ٦٤٥م. انظر: العقيلي: مبايعة يزيد، ص ٤٠٣.

(2) المرجع نفسه، ص ٤٠٣ ؛ خماش، نجدة. خلافة بني أمية في الميزان. ط١، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ٢٠٠١م، ص ٢٢. (سيشار إليه فيما بعد: خماش، خلافة بني أمية).

(3) البدنة هي الناقة أو البقرة السمينة. انظر: المنجد، ص ٢٩.

(4) يتلألأ دون أن يسيل. انظر: المرجع نفسه، ص ٢٧٤.

(5) أي مسيله وهي كناية عن القتل. انظر: المرجع نفسه، ص ٨٦٣.

(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٥٠٩.

(7) المصدر نفسه، ج٣، ص ٥٠٩.

(8) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص ١٥٢.

والله لقد تركت من هو خير منه أباً وأماً ونفساً، فقال معاوية: كأنك تريد نفسك؟ فقال الحسين: نعم، أصلحك الله. فقال معاوية: إذن أخبرك، أما قولك خير منه أماً، فلعمري أمك خير من أمه، ولو لم تكن إلا أنها امرأة من قريش، لكان لنساء قريش فضلهن، فكيف وهي ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم فاطمة في دينها وسابقتها، فأمك لعمر الله خير من أمه، وأما أبوك فقد حاكم أباه إلى الله، فقضى لأبيه على أبيك. فقال الحسين: حسبك جهلك، آثرت العاجل على الآجل. فقال معاوية: وأما ما ذكرت من أنك خير من يزيد نفساً، فيزيد والله خير لأمة محمد منك. فقال الحسين: هذا هو الإفك والزور، يزيد شارب الخمر، ومشتري اللهو خير مني؟ فقال معاوية: مهلاً عن شتم ابن عمك، فإنك لو ذكرت عنده بسوء لم يشتمك. ثم ألتفت معاوية إلى الناس وقال: أيها الناس، قد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض، ولم يستخلف أحداً. فرأى المسلمون أن يُستخلف أبابكر، وكانت بيعته بيعة هدى، فعمل بكتاب الله وسنة نبيه، فلما حضرته الوفاة رأى أن يستخلف عمر، فعمل بكتاب الله وسنة نبيه، فلما حضرته الوفاة رأى أن يجعلها شورى بين ستة نفر، أختارهم من المسلمين. فصنع أبوبكر ما لم يصنعه رسول الله، وصنع عمر ما لم يصنعه أبوبكر، كل ذلك يصنعونه نظراً للمسلمين، فلذلك رأيت أن أبايع ليزيد لما وقع الناس فيه من الاختلاف، ونظراً لهم بعين الإنصاف. فرد عليه ابن الزبير: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض فترك الناس إلى كتاب الله، فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبابكر، ثم رأى أن يستخلف عمر، وهو أقصى قريش منه نسباً، ورأى عمر أن يجعلها شورى بين ستة نفر اختارهم من المسلمين، وفي المسلمين ابنه عبدالله، وهو خير من ابنك، فإن شئت أن تدع الناس على ما تركهم رسول الله، فيختارون لأنفسهم، وإن شئت أن تستخلف من قريش كما استخلف أبوبكر خير من يعلم، وإن شئت أن تصنع مثل ما صنع عمر، تختار رهطاً من المسلمين، وتزويها عن ابنك، فافعل " (١).

ثم أنذر معاوية من يخالفه ويشق عصا المسلمين، وتمثل بأبيات منها (٢):

قد كنت حذرتك آل المصطلق وقلت يا عمرو أطِعني وانطلق

إنــك إن كلفتني ما لــم أطق ساءك مـا سرك مني من خلق

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص ١٥٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٥٠٩.

والملحوظ من حوار الحسين بن علي، وعبدالله بن الزبير مع معاوية بن أبي سفيان، أن معاوية ظهر بمظهر المتزن العاقل الحليم، وبالمقابل ظهر الحسين بن علي بمظهر المندفع المتحمس الذي يستثار غضبه بسرعة، وهذا من شأنه أن يخدم معاوية خصوصاً في هذا اللقاء التاريخي بين معاوية بن أبي سفيان وأهل المدينة.

وبعد أن ألقى معاوية خطبته اتجه إلى بيت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها، وشكا إليها أمر الحسين وأصحابه، فنصحته أن يرفق بهم " فارفق بهم فإنهم يصيرون إلى ما تحب إن شاء الله ". ثم خرج معاوية إلى مكة (١).

وحين وصل معاوية بن أبي سفيان إلى مكة طاف بالبيت، ثم دخل منزله، ويروي الطبري (٢)، أن معاوية قرأ على الناس كتاب البيعة، فاستجاب له الناس على البيعة ليزيد غير خمسة نفر وهم:

أ - عبدالله بن العباس: يذكر الطبري (٣) أن عبدالله بن عباس كان أحد الخمسة الذين رفضوا البيعة ليزيد، ويبدو أن ابن عباس أعتزل الفتنة فيما بعد وانشغل بالعلم والتفسير ورواية الحديث الشريف (٤).

ب - الحسين بن علي: أرسل إليه معاوية للحضور فلما حضر، قال له: " يا ابن أخي، قد استوثق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر أنت تقودهم، يا ابن أخي، فما إربك إلى الخلاف؟ قال: أنا أقودهم؟! قال: نعم، أنت تقودهم. قال: فأرسل إليهم، فإن بايعوا كنت رجلاً منهم، وإلا لم تكن عجلت علي بأمر، قال: وتفعل؟ قال: نعم..." (٥).

ج - عبدالله بن الزبير: أرسل معاوية إليه فلما حضر، قال له: " يا ابن الزبير إنما أنت ثعلب رواغ كلما خرج من جحر دخل آخر، وإنك عمدت إلى هذين الرجلين، فنفخت في مناخرهما وحملتهما على غير رأيهما ". فتكلم ابن الزبير، قائلاً: " إن كنت قد

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٥٠٩.
(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٢٤٨.
(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٤٨.
(٤) ماجد، التاريخ السياسي، ص ٧٤.
(٥) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٤٨.

مللت الإمـارة فاعتزلهـا، وهلـم ابنـك فلنبايعـه، أرأيـت إذا بايعنـا ابنـك معـك لأيكمـا نسـمع؟! لأيكما نطيع؟! لا نجمع البيعة لكما والله أبداً " [١].

د - عبدالله بـن عمـر: حـين جـاء قـال لـه معاويـة: " أمـا بعـد يـا ابـن عمـر، فإنـك قـد كنـت تحـدثني أنـك لا تحـب أن تبيـت ليلـة سـوداء لـيس عليـك أميـر، وإنـي أحـذرك أن تشـق عصـا المسـلمين، وأن تسـعى فـي فسـاد ذات بيـنهم". فـتكلم ابـن عمـر، قـائلاً: "...قـد كانـت قبلـك خلفـاءهم أبنـاء [٢] لـيس ابنـك بخيـر مـن أبنـائهم، فلـم يـروا فـي أبنـائهم مـا رأيـت أنـت فـي ابنـك، ولكـنهم اختـاروا للمسـلمين حيـث علمـوا الخيـار، وإنـك تحـذرني أن أشـق عصـا المسـلمين، وأن أسـعى فـي فسـاد ذات بيـنهم، ولـم أكـن لأفعـل، إنمـا أنـا رجـل مـن المسـلمين، فإذا اجتمعوا على أمر فإنما أنا رجل منهم " [٣].

هـ - عبـدالرحمن بـن أبـي بكـر: أرسـل إليـه معاويـة، وحـين جـاءه أخـذ فـي الكـلام، فقطـع عليـه كلامـه، وقـال: " إنـك والله لـودِدت أنـا وكلنـاك فـي أمـر ابنـك إلـى الله، وإنـا والله لا نفعـل، والله لتُـردن هـذا الأمـر شـورى فـي المسـلمين، أو لنعيـدنها عليـك جذعـةً [٤] ". ثـم وثب ومضى [٥].

ولـم يجـد معاويـة وسـيلة سـوى إشـاعة أن هـؤلاء النفـر قـد بـايعوا ليزيـد، فصـعد المنبـر وحمـد الله وأثنـى عليـه، ثـم قـال: " إنـا وجـدنا أحاديـث النـاس ذوات عـوار، زعمـوا أن ابـن عمـر، وابـن الزبيـر، وابـن أبـي بكـر الصـديق، لـم يبـايعوا يزيـد! قـد سـمعوا وأطـاعوا وبـايعوا لـه. فقـال أهـل الشـام: لا والله لا نرضـى حتـى يبـايعوا علـى رؤوس النـاس وإلا ضـربنا أعنـاقهم، فقـال معاويـة: سـبحان الله، مـا أسـرع النـاس إلـى قـريش بالسـوء، لا أسـمع هـذه المقالـة مـن أحـد بعـد اليوم، ثـم نـزل. فقـال النـاس: بـايع ابـن عمـر وابـن الزبيـر وابـن أبـي بكـر، وهـم يقولـون: لا والله مـا بايعنـا. والنـاس يقولـون: بلـى لقـد بـايعتم. وعنـد ذلـك ارتحـل معاوية إلى الشام " [٦].

ومـن هنـا يمكـن القـول أن معاويـة اسـتطاع أن يجعـل النـاس يبـايعون ليزيـد بولايـة العهـد مـن بعـده بالحيلـة، واسـتخدام أسـلوبي الإقنـاع والإرهـاب فـي آن واحـد، وهنـا تتضـح بصـورة

(١) ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص ١٣١.

(٢) كذا في الأصل، وربما هي (خلفاء لهم أبناء). انظر: المصدر نفسه، ص ١٣١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣١.

(٤) جذعة من الفعل جذع وتعني أول ما يُبتدأ في الشيء. فيقال: إن شئتم أعدنا الحرب عليكم جذعة. انظر: المنجد، ص ٨٣.

(٥) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٩٤.

(٦) ابن خياط المصدر السابق، ص ١٣٢.

جلية شخصية معاوية الداهية المحنك، أو ما يعرف بـ شعرة معاوية، والذي استطاع باستخدامه لها تطويع أهل الحجاز والعراق حتى انقادوا له، ووافقوه على ما لم تتقبله عقولهم ولا تألفه نفوسهم قبل وصول معاوية للحكم.

ويرى ابن خلدون، أن الذي دعا معاوية إلى إيثار يزيد دون سواه بولاية العهد هو مراعاة المصلحة العامة " في اجتماع الناس عليه، واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذٍ من بني أمية، إذ بنو أمية يومئذٍ، لا يرضون سواهم، وهم عصابة قريش، وأهل الملة أجمع، وأهل الغلب منهم..." (١).

ومما سبق نجد أن ابن خلدون يرى أن بني أمية لا يرضون سواهم، وهذا طبيعي لأن معاوية وغيره من شيوخ بني أمية كمروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، ما كانوا ليسلموا الخلافة، وهي أعلى منصب دنيوي، لغيرهم من قريش أو غيرها من العرب بعد أن صارعوا لفترة من الزمان من أجل الوصول إليه، بل بالطبع سيظلوا متشبثين بها يتداولوها بينهم حتى يأذن الله بهلاك دولتهم.

ويصور الشاعر عبدالله بن همام السلولي (٢) المذهب الذي ابتدعه معاوية تصويراً شنيعاً، حيث يقول (٣):

فإن تأتوا برملة أو بهندٍ ... نبايعها أميرة مؤمنينا
إذا ما مات كسرى قام كسرى ... نعد ثلاثة متناسقينا
أيا لهفاً لو أن لنا رجالاً ... ولكنا نعود كما عنينا
إذاً لضُربتم حتى تعودوا ... بمكة تلعقون بها السخينا
حشينا الغيظ حتى لو شربنا ... دماء بني أمية ما روينا (٤)

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٦٧.

(٢) شاعر مشهور من فحول الشعراء من أهل الكوفة، يقال له العطار وذلك لحسن شعره، وكان وجيهاً عند آل أبي سفيان. انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٥، ص ٢٤٠.

(٣) الجبيلي، سجيع جميل. البيت السفياني في الشعر الأموي. ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٧٦. (سيشار إليه فيما بعد: الجبيلي، البيت السفياني).

(٤) المرجع نفسه، ص ٧٦.

ويبدو أن معاوية قضى السنوات الأخيرة من عمره في التمهيد من أجل العهد ليزيد، وفي سنة ٦٠هـ/ ٦٨١م ـ وهو العام الذي توفي فيه معاوية ـ حضر إلى الشام وفد من أهل العراق مع عبيدالله بن زياد، فأخذ منهم معاوية البيعة لابنه، وفي العام نفسه وقبل وفاته كتب وصيته إلى يزيد [١].

ويورد الطبري [٢]، وصية معاوية ليزيد في روايتين:

أ ـ رواية أبي مخنف:

يذكر أن معاوية لما مرض مرضه الأخير دعا يزيد، فقال له [٣]: " يا بني، إني قد كفيتك الرحلة والترحال، ووطّأت لك الأشياء، وذللت لك الأعداء، وأخضعت لك أعناق العرب، وجمعت لك من جمع واحد، وإني لا أتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذي استتب لك إلا أربعة نفر من قريش: الحسين بن علي، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، وعبدالرحمن بن أبي بكر؛ فأما عبدالله بن عمر فرجل وقذته [٤] العبادة، وإذا لم يبق أحد غيره بايعك، وأما الحسين بن علي فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه، فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه فإن رحماً له ماسة وحقاً عظيماً؛ وأما ابن أبي بكر فرجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثلهم، ليس له همة إلا في النساء واللهو، وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد، ويراوغك مراوغة الثعلب، فإذا أمكنته فرصة وثب، فذاك ابن الزبير، فإن هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعه إرباً إرباً " [٥].

ب ـ رواية عوانة بن الحكم:

يختلف عوانة في روايته عن أبي مخنف، في أن الأول ذكر أن يزيد كان غائباً حين حضرت معاوية الوفاة، وأن معاوية أملى وصيته على الضحاك بن قيس الفهري وكان

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٢٦٠.

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٦٠.

(٣) يورد البلاذري نص شبيه بهذا النص من وصية معاوية، ولكن برواية عوانة بن الحكم عن الهيثم بن عدي. انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ١٥٢.

(٤) وقذته تعني ضربته حتى أثخنته فأشرف على الموت. وهي كناية عن كثرة تعبده وتدينه حتى أثر ذلك على سلوكه وطباعه. انظر: المنجد، ص ١٩٢.

(٥) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٦٠.

صاحب شرطته، ومسلم بن عقبة المري وكان على حرسه [١]، فقال: " بلغا يزيد وصيتي، انظر أهل الحجاز فإنهم أصلك، فأكرم من قدم عليك منهم، وتعاهد من غاب، وانظر أهل العراق، فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل، فإن عزل عامل أحب إلي من أن تشهر عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك [٢]، فإن نابك شيء من عدوك فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم؛ وإني لست أخاف من قريش إلا ثلاثة: حسين بن علي، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير؛ فأما ابن عمر فرجل قد وقذه الدين، فليس ملتمساً شيئاً قبلك، وأما الحسين بن علي فإنه رجل خفيف، وأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه، وخذل أخاه، وإن له رحماً ماسة، وحقاً عظيماً، وقرابةً من محمد صلى الله عليه وسلم، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه، فإن قدرت عليه فاصفح عنه، فإني لو أني صاحبه عفوت عنه، وأما ابن الزبير فإنه خب [٣] ضب، فإذا شخص لك فالبد له، إلا أن يلتمس منك صلحاً، فإن فعل فاقبل، وأحقن دماء قومك ما استطعت "[٤].

وحين النظر إلى الرواية التي أوردها أبي حنيفة الدينوري عن وصية معاوية ليزيد، نجدها كالآتي: " مرض معاوية مرضه الذي مات فيه، فأرسل إلى ابنه يزيد، وكان غائباً عن مدينة دمشق، فلما أبطأ عليه دعا الضحاك بن قيس الفهري، وكان على شرطته، ومسلم بن عقبة، وكان على حرسه، فقال لهما: أبلغا يزيد وصيتي، واعلماه أني آمره في أهل الحجاز أن يكرم من قدم عليه منهم، ويتعهد من غاب عنه من أشرافهم، فإنهم أصله، وإني آمره في أهل العراق أن يرفق بهم ويداريهم ويتجاوز عن زلاتهم، وإني آمره في أهل الشام أن يجعلهم عينيه وبطانته، وألا يطيل حبسهم في غير شامهم، لئلا يجْروا على أخلاق غيرهم. واعلماه أني لست أخاف عليه إلا أربعة رجال: الحسين بن علي، وعبدالله بن عمر، وعبدالرحمن بن أبي بكر، وعبدالله بن الزبير. فأما الحسين بن علي فأحسب أهل العراق غير تاركيه حتى يخرجوه، فإن فعل، فظفرت به، فاصفح عنه، وأما عبدالله بن عمر فإنه رجل قد وقذته العبادة، وليس بطالب للخلافة إلا أن تأتيه عفواً، وأما عبدالرحمن بن أبي بكر فإنه ليس له في نفسه من النباهة والذكر

(١) يورد البلاذري نص الوصية برواية عوانة بن الحكم عن المدائني ولكنه لا يذكر في هذا الموضع أن يزيد كان غائباً، على الرغم من أنه يذكر في موضع آخر أن يزيد كان غائباً حين توفي أبيه. انظر البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ١٠٨.

(٢) العيبة هي موضع سر الرجل. انظر: المنجد، ص ٥٤٠.

(٣) الخب هو المخادع الهياج المضطرب، وربما يراد به الجحر للضب. انظر: المرجع نفسه، ص ١٦٦.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٢٦٠ ؛ فوزي، الخلافة الأموية، ص ٦٣٠.

عند الناس ما يمكنه طلبها ويحاول التماسها إلا أن تأتيه عفواً، وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك روغان الثعلب، فإن أمكنته فرصة وثب فذاك عبدالله بن الزبير، فإن فعل وظفرت به، فقطعه إرباً إرباً إلا أن يلتمس منك صلحاً، فإن فعل فاقبل منه، واحقن دماء قومك بجهدك، وكف عاديتهم بنوالك، وتغمدهم بحلمك " (١).

وأورد الجاحظ في كتابه البيان والتبيين نص الوصية برواية الهيثم بن عدي تحت عنوان (خطبة معاوية)، وهي كما يلي: " لما حضرت معاوية الوفاة ويزيد غائب دعا معاوية مسلم بن عقبة المري، والضحاك بن قيس الفهري، فقال: أبلغا عني يزيد وقولا له: أنظر إلى أهل الحجاز فهم أصلك وعِترتُك، فمن أتاك منهم فأكرمه، ومن قعد عنك فتعهده. وانظر إلى أهل العراق، فإن سألوك عزل عامل لهم في كل يوم فاعزله عنهم، فإن عزل عامل أهون عليك من سل مائة ألف سيف ثم لا تدري على ما أنت عليه منهم. ثم انظر إلى أهل الشام فاجعلهم الشعار (٢) دون الدثار (٣) فإن رابك من عدوك ريب فارمهم بهم، فإن أظفرك الله بهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم ولا يقيموا في غير بلادهم فيتأدبوا بغير أدبهم. لست أخاف عليك غير عبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، وحسين بن علي، فأما عبدالله بن عمر فرجل قد وقذه الورع، وأما الحسين فإني أرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه، وأما ابن الزبير فإنه خب ضب " (٤).

وترجح الباحثة أن تكون رواية الطبري عن عوانة بن الحكم هي أقرب الروايات إلى الصحة؛ وذلك لأنه ذكر أن يزيد كان غائباً حين حضرت أبيه الوفاة، وقد اتفقت المصادر على ذلك، وكذلك لأنها تتفق مع كل الروايات الأخرى في المعنى مع اختلاف بسيط فقط في السياق.

ومن خلال ذلك نلاحظ ما يلي:

١. أن معاوية يتوقع أن تقوم ثورات ضد يزيد أو حتى معارضات لخلافته من قبل الرجال الذين ذكرهم في وصيته وهم الحسين بن علي، عبدالله بن الزبير، عبدالله بن عمر، عبدالرحمن بن أبي بكر.

---

(١) الدينوري، أبي حنيفة أحمد بن داؤود (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م). الأخبار الطوال. تحقيق: عبدالمنعم عامر، (د. ط)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، (د. ت)، ص ٢٢٦. (سيشار إليه فيما بعد: الدينوري، الأخبار الطوال).

(٢) الشعار هو ثوب يلبس تحت الثياب الخارجية. انظر: المنجد، ص ٣٩١.

(٣) الدثار هي الثياب فوق الشعار. انظر: المرجع نفسه، ص ٢٠٦.

(٤) الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م). البيان والتبيين. تحقيق: درويش جويدي، ج٢، (د. ط)، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ٢٩٦. (سيشار إليه فيما بعد: الجاحظ، البيان).

٢. أن نص الوصية الذي رواه الطبري عن عوانة بن الحكم، وكذلك نص الوصية لدى الجاحظ، لم يذكر فيه عبدالرحمن بن أبي بكر، مما يدلنا على أن عبدالرحمن بن أبي بكر لم يكن يشكل خطراً على يزيد من وجهة نظر معاوية كبقية المذكورين.

٣. لا نجد اسم عبدالله بن عباس ضمن أسماء هؤلاء الأشخاص الذين يذكرهم معاوية ليزيد من أجل الحذر منهم، وكيفية التعامل معهم. وربما لأن ابن عباس كان قد أعتزل هذه الأمور وانشغل لطلب العلم والتفسير ورواية الحديث.

٤. أن معاوية يطمئن ابنه على الموقف المتوقع من عبدالله بن عمر وذلك لأنه رجل قد هذبته العبادة، وسيطرت على عقله وكيانه وبالتالي فإنه لن يشق عصا الأمة، ويشتت شمل المسلمين.

٥. أما الحسين بن علي فرغم أنه من أكثر المعارضين صيتاً، وقدرة على الاستحواذ على شغف المسلمين وعطفهم، بيد أن خطره زائل لا محالة، وذلك لأن معاوية يعرف أن شيعته سيخذلونه كما خذلوا أبيه وأخيه من قبل.

٦. يظهر أن أكثر من يتخوف منه معاوية هو عبدالله بن الزبير، فهو رجل ذو مكانة، أكسبته الحياة خبرات عميقة، ومعاوية يعلم بأن ابن الزبير سيعتمد على أهل الحجاز وبالتالي فإن أنصاره أوفى من أنصار الحسين ولذلك فهو يخاف على يزيد منه، ويدعوه إلى الانقضاض عليه إن ظفر به.

٧. رغم أن معاوية قد حذر يزيد من تلك الشخصيات إلا أنه جعل مجالاً للصلح؛ فهو ينصحه بالعفو لكل من يطلب الصلح، وكذلك ينصحه بحقن دماء قومه.

٨. يحاول معاوية قدر الإمكان أن ينقل ليزيد خبراته من خلال وصف أهل الأمصار، فيوصيه بأهل الحجاز خيراً، والامتثال لمطالب أهل العراق، ويوصيه بأهل الشام، وهذا طبيعي فأهل الشام هم عماد الدولة الأموية، وخصوصاً القبائل اليمانية. ويلفت معاوية انتباه يزيد إلى بعض النواحي التي يجب أن لا يغفلها، مثل تجمير البعوث، وهو ترك الجند على خط النار لمدة تزيد عن ثلاثة أو أربعة أشهر، فهو يحذره من الوقوع في هذا الخطأ؛ لأن الجند يمتعضون من هذا وقد يؤدي بعد ذلك إلى ما لا تحمد عقباه.

وهناك الكثير ممن يعترضون على ولاية العهد ليزيد، بحجة أن معاوية لم تكن الشرعية إلى جانبه عندما تولى، وإن كان معاوية قد حاول بكل ما أستطاع من قوة أن

يبرهن على وجود الشرعية إلى جانبه وذلك من خلال المطالبة بدم عثمان، واعتبار نفسه وريثه في الأخذ بحقه، واختلاق أحاديث على لسان الرسول - صلى الله عليه وسلم - في أن الحكم لمعاوية، وتجنيد الوعاظ لتمجيد معاوية في مساجد الشام. ولكن المعارضين يرون أن شرعية معاوية ناقصة لسببين هما [١]:

- عصيانه لعلي ومحاربته له، باسم مبدأ إسلامي هو الأخذ بثأر عثمان المقتول، ويشير ابن قتيبة أن عثمان قد فوض له ذلك عندما اشتد عليه أمر المعارضة [٢].
- تاريخ الأسرة الأموية سواء قبل الهجرة أم بعدها حتى عام الفتح ٨هـ/ ٦٢٩م، فمعاوية كان ينعت بأنه الطليق بن الطليق [٣]، ومروان بن الحكم كان ينعت بأنه ابن الطريد [٤]، والملعون وهو في صلب والده الحكم، الذي لعنه الرسول صلى الله عليه وسلم.

هنا نتساءل: ما الهدف الذي دفع معاوية لاستخلاف يزيد من بعده؟!

وهنا يمكن القول أن معاوية بن أبي سفيان أراد أن يضمن بقاء الحكم في أسرته من خلال العهد ليزيد ابنه من بعده، وبذلك تظل الخلافة وراثية في أسرته من بعد يزيد، ويؤيد يوسف العش هذا الرأي حيث يقول: " إن ما ينطبق على الأفراد من حب البقاء يسري على الدول، وهكذا كان على الحكم الأموي أن يسعى إلى البقاء، ويعمل له، ويضع كل قوته في سبيله " [٥].

وبما أن معاوية يريدها وراثية في أسرته من بني أمية، فإنه لا يرى أحداً أحق بالخلافة من بعده أكثر من يزيد رغم وجود الكثيرين ممن هم جديرين بالخلافة أكثر عن يزيد، هذا فضلاً عن أنه أراد أن يجنب يزيد الوقوع فيما وقع فيه هو من صراعات ومخاطر من أجل الوصول للسلطة.

---

(١) العشي، عمار. تاريخ بلاد الشام في القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري. ج١، ط١، دار الينابيع، دمشق، ٢٠٠٩م، ص ٢٤٧. (سيشار إليه فيما بعد: العشي، تاريخ بلاد الشام).

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص ٣٥.

(٣) وذلك لأن أبي سفيان أسلم يوم الفتح وكان ضمن الذين قال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم: "اذهبوا فأنتم الطلقاء". انظر: بطاينة، محمد ضيف الله. دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين. ط١، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩م، ص ١٩. (سيشار إليه فيما بعد: بطاينة، دراسة في تاريخ).

(٤) كان الرسول قد طرد الحكم بن أبي العاص من المدينة إلى الطائف، ولعنه. انظر: المرجع نفسه، ص ١٥.

(٥) العش، يوسف. الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءً من فتنة عثمان. ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م، ص ٣٣٩. (سيشار إليه فيما بعد: العش، الدولة الأموية).

ولكي ننصف معاوية حين النظر لقضية استخلاف يزيد من جانب محايد، فإنه يمكن القول أن معاوية من خلال نظره الثاقب، ودهائه أراد -ولو ظاهرياً- من تولية العهد ليزيد من بعده أن يمنع وقوع فتنة أخرى بعد وفاته، وبتعيينه يزيد يحسم الأمر، ويوحد كلمة المسلمين، ويلم شعثهم من بعده.

ويؤيد ذوقان ذلك حيث أشار إلى أن معاوية " قد سعى إلى إيجاد نظام جديد يضمن من خلاله عملية نقل سلمية للسلطة، ويستطيع من خلالها أن يحافظ على استقرار نظام الحكم من ناحية وعلى وحدة الأمة من ناحية أخرى" [(١)].

وتوافق الباحثة معاوية على فكرة تعيين شخص ولي عهده؛ وذلك لأن التعيين سيحسم النزاع ويمنع وقوع الفتنة بعد موت معاوية، ولكنها تخالفه في اختيار يزيد بالذات ليكون ولي للعهد؛ وذلك نظراً لوجود أشخاص سواء من قريش أو حتى من بني هاشم أو بني أمية خاصة من هم أجدر بتولي أمور المسلمين أكثر من يزيد بن معاوية، ولذلك يمكن القول أن الاعتراض لم يكن على التعيين بحد ذاته بقدر ما كان اعتراضا على شخص يزيد، ولو تركها معاوية شورى للمسلمين ليختاروا ولياً للعهد لما حصلت تلك الفتن التي شهدتها الدولة الإسلامية عقب وفاة معاوية.

ويقول ابن العربي في ذلك: " إن معاوية ترك الأفضل في أن يجعلها شورى، ولا يخص بها أحداً من قرابته، فكيف ولداً؟! ثم يقول: فعدل إلى ولاية ابنه، وعقد له البيعة، وبايعه الناس، وتخلف عنها من تخلف، فانعقدت البيعة شرعاً..." [(٢)].

ولذلك يمكن وصف معاوية في هذا الموضع بأنه شخصية سياسية من الطراز الأول وبامتياز وذلك لأنه مارس السياسة دون الالتزام بالمُثل والأخلاقيات، واعتمد الخداع والمراوغة والحيلة من أجل إبقاء السلطة في أسرته مهما كانت العواقب.

---

(١) ذوقان، وجيه لطفي طالب. ولاية العهد في العصر الأموي (٤١هـ/ ٦٦١م - ١٣٢هـ/ ٧٥٠م). رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس (فلسطين)، ٢٠٠٥م، ص ٥٢. (سيشار إليه فيما بعد: ذوقان، ولاية العهد).

(٢) ابن العربي، القاضي أبي بكر (ت ٥٤٣هـ/١١٤٨م). العواصم من القواصم. تحقيق: عمار طالبي، ط١، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٩٢م، ص ٣٣٣. (سيشار إليه فيما بعد: ابن العربي، العواصم).

٣. ولاية العهد في زمن يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد حتى ٦٤هـ/ ٦٨٣م.

توفي معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - في ١٥ من شهر رجب سنة ٦٠هـ/ ٦٧٩م، وبويع من بعده لابنه يزيد الأول بن معاوية بالخلافة، وكان معاوية قد أرسى له دعائم دولته، وضمن له ولاء قبائل الأمصار، ولكن إقليم الحجاز ليس بالإقليم الذي سيدين ليزيد بالولاء بتلك السرعة، وخصوصاً أن الحجاز يضم رجال هم أحق بالخلافة من يزيد، من وجهة نظر أهل الحجاز، وهؤلاء الرجال لا يتقدمون على يزيد في المكانة فحسب، بل حتى في السن والتدين والعلم والورع؛ فهم شيوخ قريش، وأعلامها، وأكثر رجالها حنكة وتجربة ومقاماً. لذلك " لم يكن ليزيد هِمّة حين ولي الأمر إلا بيعة النفر الذين أبوا إجابة معاوية إلى بيعة يزيد حين دعا الناس إلى بيعته، وأنه ولي عهده بعده، والفراغ من أمرهم " (١).

ولم يكد يزيد يلتقط أنفاسه بعد توليه الخلافة حتى كتب إلى ابن عمه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان - والِ المدينة المنورة - كتاباً، هو: "من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أما بعد، فإن معاوية كان عبداً من عباد الله، أكرمه الله واستخلفه، وخوّله، ومكّن له، فعاش بقدر، ومات بأجل... أما بعد، فخذ حسيناً وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا، والسلام" (٢).

واستشار الوليد بن عتبة مروان بن الحكم، فأشار عليه أن يسرع في أخذ البيعة من الحسين وابن الزبير على الأقل قبل أن يعلما بوفاة معاوية، قال: " فإني أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة، فإن فعلوا قبلت منهم، وكففت عنهم، وإن أبوا ضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية... أما ابن عمر فإني لا أراه يرى القتال، ولا يحب أن يُولى على الناس إلا أن يُدفع إليه هذا الأمر عفواً " (٣).

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٢٦٩.

(٢) ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص ١٤٤ ؛ الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٦٩.

(٣) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٢٨ ؛ الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٧٠ ؛ عاقل، خلافة بني أمية، ص ١٠٠.

وحين النظر إلى الرواية السابقة نلاحظ أن مروان بن الحكم تسرع حين أشار على الوليد بن عتبة بضرب أعناق الرافضين للبيعة. ويظهر أن الوليد تأخر بإنجاز ما أشار به عليه مروان، ففر كل من الحسين وابن الزبير [1] إلى مكة - وهي البلد الحرام التي لا يقاتل فيها [2] - في أواخر رجب سنة ٦٠هـ/ ٦٧٩م، أما بالنسبة لابن عمر، فلم يكن في ذلك الوقت بالمدينة، ولما عاد إليها بايع كبقية الناس، وكذلك بايع ابن عباس، ويذكر أن عبدالله بن عمر لقي الحسين وابن الزبير وهو عائد إلى المدينة، بعد أن خرجا منها، فنصحهما قائلاً: " اتقيا الله، ولا تفرقا جماعة المسلمين " [3]. ونتيجة لأن الوليد بن عتبة لم يقم بما كان ينشده يزيد، فإنه عزله وولى بدلاً منه عمرو بن سعيد بن العاص الملقب بـ الأشدق [4].

أ - خروج الحسين بن علي:

كان الحسين بن علي أول الخارجين على يزيد بن معاوية، وحين نستعرض تاريخ الصراع السياسي بين الحسن ومعاوية، فإنه يبدو لنا أن الحسين لم يكن راضياً عن موقف أخيه الحسن وتنازله عن الخلافة لمعاوية، ولكن الحسين لم ينقض العهد الذي قطعه أخوه لمعاوية، فظل طوال خلافة معاوية ملتزماً بالبيعة، وذلك لسببين ذكرهما نبيه عاقل [5]، هما:

- أن أخاه الحسن كان حياً وهو صاحب الحق الأول بالخلافة بعد أبيهما علي.
- أن الحسين كان قد بايع معاوية حين بايعه الحسن، حتى أن حجر بن عدي عاتبه على بيعة معاوية، وحرضه على نقضها، فقال له الحسين: " إنا قد بايعنا وعاهدنا، ولا سبيل إلى نقض بيعتنا " [6].

(١) قريب الله، حسن الشيخ. الحرب الأهلية في صدر الإسلام. (د. ط)، دار الجيل، بيروت، (د. ت)، ص ٣٨. (سيشار إليه فيما بعد: قريب الله، الحرب الأهلية).

(٢) رغم أن الحجاج بن يوسف نصب المجانيق في مكة وضرب الكعبة سنة ٧٣هـ/ ٦٩٢م. انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٥٣٨.

(٣) ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص ١٤٤ ؛ الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٧٠ ؛ عاقل، خلافة بني أمية، ص ١٠٠.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٧٠ ؛ عاقل، المرجع السابق، ص ١٠٠.

٥ عاقل، المرجع السابق، ص ١٠٠.

٦ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٢٠.

ولكن موت معاوية جعل الحسين بن علي يشعر أنه في حل من بيعة بني أمية، خصوصاً أنه أحق أهل البيت بهذا الأمر بعد وفاة أخيه الحسن، وزاده تحمساً تشجيع أهل الكوفة ودعوتهم له للخروج، وذلك حين اجتمع شيعة الحسين في الكوفة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي (١)، وكتبوا إلى الحسين، يسألونه القدوم ليسلموا الأمر إليه (٢). ويرى عبدالمنعم ماجد (٣) أن خروج الحسين بن علي كان لأسباب أخرى، بالإضافة إلى تشجيع أهل الكوفة له، منها:

- تحمس الحسين لحق أسرته في الخلافة، وذلك لأن الكثير من روايات الشيعة الموضوعة، تورد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أوصى بالخلافة إلى علي، لتكون في عقبه إلى يوم القيامة، وذلك في أثناء حجة الوداع (٤) بقرب غدير خم خم بين مكة والمدينة، أو حتى يذكر أنه ورد في اتفاق الحسن مع معاوية أن تكون الخلافة للحسن بعده (٥)، وبهذا يكون الحسين أولى بها من يزيد ما دام أن أن الحسن قد توفي سنة ٥١هـ/ ٦٧١م (٦).
- كان الحسين يرى نفسه أفضل من يزيد لأنه ابن بنت رسول الله أولاً، وربما لكبر سنه، وتجربته ثانياً، حيث أن فارق السن بينه وبين يزيد قرابة عشرين عاماً، ولأنه كان يعرف بين العرب بـ السيد، وكان معروفاً بورعه وتقواه، وبالمقابل يزيد كان يتهم بالمجون وشرب الخمر.
- أن الحسين يرى أن الخلافة إذا بقيت في البيت الأموي، فإن نفوذ بني هاشم سيقضى عليه.

(١) أحد أنصار الحسين، تزعم حركة بعد مقتل الحسين ندماً على خذلانهم للحسين عرفت باسم حركة التوابين ولكن الحركة انتهت بمقتل سليمان في موقعة عين الوردة سنة ٦٤هـ/ ٦٨٤ وقيل ٦٥هـ/ ٦٨٥م. انظر: ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص ١٦٣ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٣٩٠ ؛ فوزي، الخلافة الأموية، ص ١٧٣ ؛ بيضون، ملامح التيارات، ص ٢٠٥ ؛ بطاينة، دراسة في تاريخ، ص ٣٨٦ ؛ السرجاني، راغب. الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي. ج١، ط١، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ١٨٦. (سيشار إليه فيما بعد: السرجاني، الموسوعة الميسرة).

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٠١.

(٣) ماجد، التاريخ السياسي، ص ٦١.

(٤) رغم أن نص خطبة الوداع لا يرد فيه أي شيء مما يقوله أصحاب هذا الرأي. انظر: ابن هشام، أبي محمد عبدالملك المعافري (ت ٢١٣هـ/ ٨٣١م). السيرة النبوية. ج٣، (د. ط)، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٦٠٣. (سيشار إليه فيما بعد: ابن هشام، السيرة) ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٣٠٠.

(٥) بطاينة، محمد ضيف الله. وصول بني أمية إلى منصب الخلافة. (بحث غير منشور)، ص ٣١. (سيشار إليه فيما بعد: بطاينة، وصول بني أمية).

(٦) لا يتفق فاروق عمر فوزي مع الرواية التي تقول أنه ورد في اتفاق الحسن ومعاوية أن الأخير عهد للحسن بالخلافة من بعده، ويبرر ذلك بأن فكرة ولاية العهد (التعيين) لم تكن متبلورة بعد في تلك الفترة. انظر: فوزي، فاروق عمر. الهاشميون الأوائل. ط١، دار مجدلاوي، عمان، ٢٠٠٩م، ص ١١١. (سيشار إليه فيما بعد: فوزي، الهاشميون).

ومهما يكن السبب الذي أخرج الحسين، فإنه أرسل ابن عمه مسلم بن عقيل إلى أهل الكوفة؛ لكي يرى الوضع بنفسه ويكتب له ، قائلاً له: " يا ابن عم، قد رأيت أن تسير إلى الكوفة، فتنظر ما اجتمع عليه رأي أهلها، فإن كانوا على ما أتتني به كتبهم، فعجِّل علي بكتابك لأسرع القدوم عليك، وإن تكن الأخرى، فعجِّل الانصراف " [1]. ، وفي البداية استطاع مسلم أن يجمع الأتباع، وخطب في مسجد الكوفة على مرأى ومسمع من النعمان بن بشير الأنصاري، وكان والي الكوفة آنذاك، ولكن يزيد حين وصلته أخبار الكوفة والتفاف الناس حول مسلم بن عقيل وضعف النعمان عزله، وجمع لعبيد الله بن زياد - واليه على البصرة - الكوفة إضافة إلى البصرة، وأمره بالتوجه إلى الكوفة. وهذا أعاق جهود مسلم بن عقيل في تأسيس حركة تؤيد الحسين، ولم يلبث مسلم أن قتل على يد عبيد الله بن زياد في ذي الحجة من سنة ٦٠هـ/ ٦٧٩م [2].

خرج الحسين متوجهاً إلى الكوفة، رغم أن بعض أهل بيته مثل: أخيه محمد بن علي (ابن الحنفية)، وعبدالله بن عباس، نصحوه بأن يبقى في الحجاز ويلوذ بمكة البلد الحرام، وإن رأى أنه لا محالة من الخروج، فليخرج إلى اليمن؛ لكونها أرض واسعة فيها حصون وشعاب، ولأن الكوفة بلدة شؤم فيها قتل أباه، وخذل أخاه، لكن الحسين لم يسمع لنصيحتهم، بل يصفه البعض بالرجل الخفيف، حتى أنه لم ينتظر رد مسلم بن عقيل، بل سار إلى العراق وليس معه سوى عدد قليل لا يزيد على السبعين [3]. وقد لقي الفرزدق الشاعر في طريقه، فسأله عن خبر الناس في العراق، فقال: " قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء " [4].

قام عبيدالله بن زياد بمهمته على أكمل وجه، حيث منع الدخول والخروج إلى الكوفة، واتجه بجيش نحو الحسين، وحين سمع الحسين بمقتل ابن عمه مسلم بن عقيل، قرر العودة، ولكنه لم يتمكن من ذلك لأن قوات الأمويين كانت قد أحاطت به، وهنا تفاوض الحسين مع الأمويين على ثلاثة خيارات: أن يتركوه يذهب إلى الثغور للجهاد في سبيل الله، أو يتوجه لمقابلة يزيد بن معاوية، أو يعود من حيث أتى. لكن خياراته قوبلت

---

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٣٠.

(٢) خريسات، الدولة الأموية، ص ١٣٨ ؛ فوزي، الخلافة الأموية، ص ١٧٢ ؛ الفقي، عصام الدين عبد الرءوف. معالم تاريخ الإسلام. ط١، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٩٠م، ص ١٦٩. (سيشار إليه فيما بعد: الفقي، معالم).

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٣٩.

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص ٣٩.

بالرفض، فحدثت معركة بين طرفين غير متكافئين، ومُنع الحسين وأتباعه من الماء، فخطب في أتباعه، وأعلن استياءه من أهل الكوفة الذين خذلوه، فقتل -رضي الله عنه- مع أبنائه وإخوته وأبناء عمومته، ولم يبق منهم سوى ابنه علي الأصغر المعروف بـ زين العابدين، وبعض نساء أهل بيته [1].

وكان مقتل الحسين وأصحابه في أرض كربلاء، وهي أرض سهلية لا ماء فيها، ولذلك تسمى أرض كرب وبلاء، وكان قائد الجيش الأموي هو عمر بن سعد بن أبي وقاص، ويذكر أن رجل يسمى شمر بن ذي الجوشن [2]، حز رأس الحسين الشريف، وحملت رأسه ورؤوس أصحابه إلى يزيد في دمشق، وبذلك انتهى خروج الحسين بمقتله في يوم الاثنين الموافق العاشر من محرم سنة ٦١هـ/ ٦٨٠م [3].

وقد أسهب المؤرخون المحدثون -خصوصاً أولئك الذين اعتمدوا بشكل كبير على المصادر الشيعية- في وصف شناعة موقف يزيد بن معاوية حين جيء إليه برأس الحسين في دمشق، بل ونسبوا إليه أبياتاً، وزعموا أنه تمثل بها حين رأى رأس الحسين، وكان يزيد يرى أن بطشه بالحسين في كربلاء هو ثأراً من بني هاشم في قتلهم لأجداده في غزوة بدر، والأبيات هي [4]:

ليت أشياخي ببدر شهدوا　　جزع الخزرج من وقع الأسل

قد قتلنا الكبش من أقرانهم　　وعدلناه ببدر فاعتدل

ولكن لشيخ الإسلام ابن تيمية جواب على القائلين بذلك، ومن الأفضل أن نورد هنا النص وهو: " ... فيزيد لم يأمر بقتل الحسين، ولا حمل رأسه إلى بين يديه، ولا نكت بالقضيب على ثناياه، بل الذي جرى منه هو عبيدالله بن زياد... ولا طيف برأسه في الدنيا، ولا سبي أحد من أهل الحسين... " [5].

وترى الباحثة أنه ليس من المتوجب علينا أن نؤمن بما قاله ابن تيمية على أساس أنه الصحيح الذي لا يشوبه خطأ، بل توافقه في بعض قوله مثل أنه لا يمكن أن يكون يزيد

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٢٩٨ ؛ فوزي، الهاشميون، ص ١١٧.

(٢) ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص ١٤٦.

(٣) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م). تاريخ اليعقوبي. ج٢، (د. ط)، مطبعة بريل، ليدن (هولندا)، ١٨٨٣م، ص ٢٩١. (سيشار إليه فيما بعد: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي) ؛ ماجد، التاريخ السياسي، ص ٦٨.

(٤) ابن تيمية، سؤال في يزيد، ص ١٦.

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٧.

يتشفى من بني هاشم ثأراً لأشياخه في بدر، ولكنها تخالفه في إلقاء كل اللوم على ابن زياد، وذلك لأن ابن زياد لو كان يعلم أن يزيد سيعاقبه على فعلته تلك لما فعلها، وما كان أعد الجيوش لملاقاة الحسين، وكذلك لم تثبت في المصادر التاريخية التي وصلت إلينا أي وصية أو تحذير من يزيد لابن زياد بعدم قتل الحسين، وإن كانت هناك وجهة نظر أخرى تقول أنه ربما الحسين تحرك بسرعة بحيث لم يترك المجال حتى ليزيد ليرسل أوامره لابن زياد، ومهما كانت الظروف فإن الباحثة ترى أن الذنب لا يقع على ابن زياد وحده لأن ابن زياد مأمور أكثر من كونه آمر.

ب ـ خروج عبدالله بن الزبير:

حين نرجع إلى وصية معاوية لابنه يزيد، نجد أنه وصف ابن الزبير بقوله: " إنه الرجل الذي يجثم جثوم الأسد، ويراوغ مراوغة الثعلب..." (١).

ويظهر أن ابن الزبير كان أدهى من الحسين، أو أشد حنكة ومعرفة بالسياسة وشؤونها؛ وذلك لأن المصادر تذكر أن ابن الزبير كان من الذين حرضوا الحسين على الخروج من الحجاز، والكثير من المؤرخين المحدثين يتهمون ابن الزبير بأنه ما فعل ذلك مع الحسين إلا ليخلو له الجو، ويصبح سيد الموقف في الحجاز؛ لأنه يعلم أنه لن يستطع الحصول على الخلافة والحسين على قيد الحياة. ورغم هذا ليس بالإمكان الجزم على صحة هذا الكلام دون معرفة الظروف التي عاشها الاثنان معاً في الحجاز في تلك الفترة، وربما أن ابن الزبير كان يؤيد الحسين في الخروج، ويرى أن في خروج الحسين إلى العراق أمل في النجاة أكثر من بقائه في الحجاز، بعكس ابن عباس وابن عمر اللذين كانا يخالفان الحسين في وجهة نظره.

ويرى نبيه عاقل أن ابن الزبير برهن على دهاءه وتبصره " حين اعتصم بالبيت الحرام، وحين بقي في الحجاز ولم يخرج منها؛ لأنه من الصعب على يزيد أن يبطش بعائذ بالكعبة في مدينة كمكة حُرّم القتال فيها، ومنعت إراقة الدماء على أديمها الطاهر" (٢).

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ٢٢٦.

(٢) عاقل، خلافة بني أمية، ص ١٠٦.

لكن الباحثة لا تتفق مع نبيه عاقل في وجهة نظره هذه حول موقف ابن الزبير مع الحسين، لأن ابن الزبير قد يكون نصح الحسين بالخروج لأنه بالفعل يرى أن الخروج أفضل للحسين في ذلك الحين، ولكن حين خذل الحسين من قبل أهل الكوفة، فإن ابن الزبير تعلم من درس الحسين، فضلاً عن أن أهل الكوفة لا يؤيدون ابن الزبير.

كذلك ربما أن ابن الزبير كان يرى أن أهل الكوفة سينصرون الحسين لأنهم شيعة أبيه وأخيه، لكنه يظن أنهم لن يؤيدوه لو خرج إليهم حتى ولو لم يكن الحسين حياً لأنهم سيتجهون إلى أحد العلويين بدلاً منه، ومن هنا فالأرجح أن يكون ابن الزبير يرى أن الحسين إذا خرج فإن شيعته سيستقبلونه بالتأييد، وبالعكس يرى أن بقاءه هو في مكة أجدى من خروجه لأن أهل الكوفة لن يشيعوه كالحسين بن علي، لهذا فإنه من الأفضل أن لا يوضع ابن الزبير في محل اتهام على أساس أنه حرض الحسين للخروج لكي يتخلص منه ويخلو له الجو في الحجاز.

ومهما يكن من نية ابن الزبير فإنه لما قتل الحسين، قام في مكة وعاب على أهل الكوفة خذلانهم إياه، وأعتبر ابن الزبير نفسه ولي الحسين، ونصب نفسه مطالباً بدمه كما فعل معاوية بعد مقتل عثمان، وأعلن نفسه أمير المؤمنين، وأخذ يعرّض بيزيد ويذكر مساوئ بني أمية، وبالمقابل يمدح الحسين، فقام إليه أصحابه، وقالوا له: " أيها الرجل أظهر بيعتك فإنه لم يبق أحد إذ هلك الحسين ينازعك هذا الأمر" (١).

وحين سمع يزيد بأمر ابن الزبير أقسم أن يقيده في سلسلة، فبعث سلسلة من فضة إلى مروان بن الحكم وهو بالمدينة، ولكن مروان رأى أن في هذا إهانة لابن الزبير، وبالفعل رفض ابن الزبير أن يبر بقسم يزيد، وعند ذلك كتب إليه أهل المدينة يدعونه بإعلان حقه، وثاروا على يزيد وخلعوه (٢).

وفي تلك الأثناء أمر يزيد عامله على المدينة آنذاك وهو عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق أن يبعث جيشاً إلى مكة لإخضاع ابن الزبير، وفعلاً أرسل الأشدق جيشاً بقيادة عمرو بن الزبير - أخو عبدالله وكان بينهم مشاحنات - ولكن عبدالله انتصر على أخيه وسجنه (٣).

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٣٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٤٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص ١٠٧.

وحين فشل الجيش الذي أرسله الأشدق، بعث يزيد جيشاً آخر بقيادة مسلم بن عقبة المري سنة ٦٣هـ/ ٦٨٢م، والتقى بأهل المدينة في موقعة الحرة الشهيرة، وتمكن من هزيمتهم، ثم أباح المدينة المنورة للجند ثلاثة أيام (١).

وبعد موقعة الحرة قرر مسلم الاتجاه إلى مكة ولكنه توفي في الطريق قبل أن يصل إلى مكة، فتولى بعده الحصين بن نمير السكوني، وقد رمى الحصين الكعبة بالمجانيق من أجل إفزاع ابن الزبير، وفي أثناء حصار الحصين لابن الزبير جاءه خبر وفاة يزيد، وكان ذلك في شهر ربيع الأول سنة ٦٤هـ/٦٨٣م، فتفاوض الحصين مع ابن الزبير على أن يفك الحصار، ويذهب به إلى الشام؛ حتى يقطع الطريق على الراغبين في الخلافة من بني أمية، شرط أن يتنازل عن المطالبة بدماء قتلى الحرة، لكن ابن الزبير رفض أن يخرج من الحجاز، وطلب من الحصين أن يبايع له هناك، وكان الحصين يكلم ابن الزبير سراً، فيرد عليه جهراً، ويذكر أن الحصين قال له: " لقد كذب من زعم أنك من دهاة العرب، أكلمك سراً وتكلمني علانية، وأدعوك إلى الخلافة وتدعوني إلى الحرب" (٢). وعاد الحصين إلى الشام ومعه الأمويين دون أن يبايع ابن الزبير (٣).

حين توفي يزيد أُستخلف من بعده ابنه معاوية وهو ابن ثمانية عشر عاماً، ويبدو أن يزيد كان قد بايع معاوية ابنه في حياته، وعهد إليه بولاية العهد من بعده، فيذكر البلاذري أن يزيد مرض بعد سنتين من ولايته في كبده، فلما برئ قال لحسان بن مالك بن بحدل (٤): " أريد البيعة لابني معاوية، وبايعه بولاية العهد ومن ثم بايع ابن بحدل والناس " (٥).

---

(١) ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص ١٤٨ ؛ العرينان، حمد محمد. إباحة المدينة وحريق الكعبة في عهد يزيد بن معاوية بين المصادر القديمة والحديثة. مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، مجلد ٥، دون عدد، الرياض، ١٩٧٧م، ص ٧٩. (سيشار إليه فيما بعد: العرينان، إباحة المدينة) ؛ فوزي، الخلافة الأموية، ص ٩٣.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٦٨ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٥٣٤.

(٣) الدينوري، المصدر السابق، ص ٢٦٨ ؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٣٠٢ ؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٤، ص ٥٣٤ ؛ الأزرقي، أبي الوليد محمد بن عبدالله (ت ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م). أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار. تحقيق: رشدي ملحس، ج٢، (د. ط)، دار الأندلس للطباعة والنشر، (د. م)، (د. ت)، ٦٩. (سيشار إليه فيما بعد: الأزرقي، أخبار مكة) ؛ شاكر، العهد الأموي، ص ١٢٩.

(٤) أمير بادية الشام، وكان من قادة معاوية يوم صفين توفي سنة ٦٥هـ/ ٦٨٥م. انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ٣٨٠ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٦٥.

(٥) البلاذري، المصدر السابق، ج٥، ص ٣٨٠.

ويذكر أن الشاعر عبدالله بن همام السَّلولي قال محرضاً يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية [١]:

خلافة ربكم كونوا عليها كما كنتم عنابسة[٢] أسوداً

تلقفها يزيد عن أبيه فخذها يا معاوي عن يزيدا

فقد علقت بكم فتلقفوها ولا ترموا بها الغرض البعيدا[٣]

ظل الخليفة معاوية الثاني بن يزيد شهرين [٤] محتجباً عن الناس، ثم خرج وخطب في الناس قائلاً: " أيها الناس، إني نظرت بعدكم فيما صار إلي من أمركم، وقُلدته من ولايتكم، فوجدت ذلك لا يسعني فيما بيني وبين ربي، أن أتقدم على قوم فيهم من هو خير مني، وأحقهم بذلك، وأقوى على ما قلدته، فاختاروا مني إحدى خصلتين: إما أن أخرج منها واستخلف عليكم من أراه لكم رضا ومقنعا، ولكم علي ألا آلوكم نصحاً في الدين والدنيا. وإما أن تختاروا لأنفسكم وتخرجوني منها " [٥].

وأورد ابن الأثير نص الخطبة كما يلي: " أما بعد، فإني ضعفت عن أمركم، فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه أبوبكر فلم أجده، فابتغيت ستة مثل ستة الشورى فلم أجدهم، فأنتم أولى بأمركم فاختاروا له من أحببتم " [٦].

فطلب الناس منه أن يمهلهم، ولم يلبث إلا أياماً بعد أن خطب هذه الخطبة حتى توفي، وقيل أن بعض من دخلوا عليه وهو على فراش الموت، قال له: استخلف على الناس من تراه لهم رضا. فقال لهم: عند الموت تريدون ذلك؟ لا والله لا أتزودها. ما سعدت بحلاوتها، فكيف أشقى بمرارتها. ثم هلك ولم يستخلف أحد. ويذكر أنه كان يكنى بـ أبو

(١) انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٣٠٦.

(٢) عنابسة جمع عنبسة وهو الأسد. انظر: النص، إحسان. نصوص من الشعر الإسلامي والأموي. (د. ط)، دار الفكر، (د. م)، ١٩٧٥م، ص ٧٦. (سيشار إليه فيما بعد: النص، نصوص من الشعر).

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٢١ ؛ النص، المرجع السابق، ص ٧٦.

(٤) يذكر البعض أن مدة خلافته كانت شهر ونصف، أو اربعين يوماً، أو ثلاثة أشهر وعشرون يوماً، أو أربعة أشهر. انظر: ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص ١٥٨ ؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج٨، ص ٢٣٠.

(٥) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص ١٨٩.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٢٩.

ليلى، لأنه كان ضعيفاً، ركيكاً ولينا [١]، حتى قيل أن مروان بن الحكم حين توفي معاوية بن يزيد قال: هو أبو ليلى الذي قال فيه أرثم الفزاري [٢]:

إني أرى فتنة تغلي مراجلها والمُلك بعد أبي ليلى لمن غلبا

ويقول محمد خريسات: " تعتبر فترة حكمه من أكثر الفترات غموضاً في الأسرة السفيانية، وأكثرها قصراً حيث تراوحت ما بين أربعين إلى ستين يوماً، ثم توفي، وفي موته ثلاث روايات:

١. أنه سقي السم فمات.
٢. أنه مات حتف أنفه.
٣. أنه أصيب بمرض الطاعون" [٣].

ويرجح خريسات أنه كان مريضاً بالطاعون، ويوافقه محمد بطاينة على ذلك، ويستدلا على ذلك من أن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان قد صلى عليه، ولما كبر التكبيرة الأولى سقط ميتاً من مرض الطاعون [٤].

ويرى عبدالله الخراشي أن فترة خلافة معاوية بن يزيد " من أشد الفترات حرجاً وخطورة على الخلافة الأموية، وذلك لأن فترة حكمه، واعتلال صحته، ووفاته المبكرة، وامتناعه من استخلاف أحد من بني أمية، وظهور بيعة ابن الزبير بالحجاز، كل ذلك يعني نهاية مبكرة للحكم الأموي، أو كادت أن تكون كذلك! " [٥].

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ٣٨٠.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص ١٨٩ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٣٣٠ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٢٩.

(٣) خريسات، الدولة الأموية، ص ١٦٢.

(٤) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٢٩ ؛ بطاينة، دراسة في تاريخ، ص ٩٢ ؛ خريسات، المرجع السابق، ص ١٦٢.

(٥) الخراشي، عبدالله عثمان. بيعة معاوية بن يزيد ونهاية حكم العهد السفياني للأمويين. مجلة الدارة، مجلد ٣٣، العدد ٢، الرياض، ٢٠٠٧م، ص ٤٠. (سيشار إليه فيما بعد: الخراشي، بيعة معاوية).

٤. الحرب الأهلية والظروف التي ساعدت على بروز مروان بن الحكم.

بوفاة معاوية الثاني بن يزيد سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م، انتهى عهد الحكم السفياني في الدولة الأموية، وهذا فتح الباب لظهور فرع آخر على مسرح الأحداث السياسية في الدولة الأموية، وكان هذا الفرع هو الفرع المرواني من الأسرة الأموية [١].

وتذكر المصادر أنه بعد وفاة معاوية الثاني قاد الناس في دمشق الضحاك بن قيس الفهري، وكان يدعو إلى ابن الزبير سراً، وفي حمص بايع النعمان بن بشير الأنصاري لابن الزبير، وفي فلسطين كان حسان بن مالك بن بحدل الكلبي عاملاً لمعاوية ومن ثم ليزيد، وكان يهوى هوى بني أمية، ويميل إلى خالد بن يزيد، فاستخلف روح بن زنباع على فلسطين، وتوجه إلى الأردن ليكون قريباً من دمشق من أجل مراقبة الأحداث. وفي غيابه ثار على روح بن زنباع ناتل بن قيس الجذامي، وخلعه وبايع لابن الزبير [٢].

ومن أعظم الاضطرابات التي حدثت في تلك الفترة هي الاضطرابات التي أحدثها زفر بن الحارث الكلابي، وزفر أحد رجال قبائل قيس التي كانت تقيم في شمال الجزيرة الفراتية، وعلى جانبي الفرات في قنسرين [٣]، وقرقيسيا [٤]، وحران [٥]. وكانت هذه القبائل تشعر بالمرارة ضد بني أمية؛ لأن معاوية بن أبي سفيان كان قد قدّم بني كلب عليهم، وسلّم رئاسة القبائل إلى ابن بحدل الكلبي خال يزيد، ووصل الأمر بهذه القبائل أن عين عليها سعيد بن بحدل كعامل، وهو كلبي (يماني) وهي قيسية، فشق ذلك على قبائل قيس، وطردوا سعيد من قنسرين، وبايعوا لابن الزبير بتحريض من زعيمهم زفر بن الحارث، الذي كان قد انضم إلى ابن الزبير، وحارب جيش يزيد، وكذلك بايع قيسية الشام ابن الزبير لأنهم رأوا قيسية العراق بايعوا له [٦].

(١) انظر: شجرة نسب الأمويين (الملحق ١).

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ٣٨٣ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٣٧٩.

(٣) مدينة ببلاد الشام بين حلب ومعرة النعمان، فتحها أبو عبيدة بن الجراح سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م. انظر: واصف بك، امين. معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية. (د، ط)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٩٦. (سيشار إليه فيما بعد: واصف بك، معجم الخريطة).

(٤) مدينة بالجزيرة الفراتية تقع على مصب نهر الخابور بالفرات. انظر: المرجع نفسه، ص٩٤.

(٥) قصبة ديار مضر بين الرها والرقة، فتحت في خلافة عمر. انظر: المرجع نفسه، ص٤٧.

(٦) عاقل، خلافة بني أمية، ص ١٢٢.

أ ـ مؤتمر الجابية [١]:

مما سبق يتبين أن الناس انقسموا إلى فريقين: فريق مع ابن الزبير وعلى رأسهم الضحاك بن قيس الفهري، وفريق يوالي بني أمية وعلى رأسهم حسان بن مالك بن بحدل الكلبي. وكان الضحاك يتجنب المجاهرة بالخصومة للأمويين، ولم يكن يشا أيضاً فض التحالف مع الأمويين، لذلك استدعى الضحاك الأمويين إلى دار الإمارة، " فاعتذر إليهم وذكر حسن بلائهم ... وأنه ليس يريد شيئاً يكرهونه " [٢]، وأقترح دعوة حسان من الأردن، والنزول في الجابية ومبايعة رجل منهم [٣].

وكان أبرز المجتمعين في المؤتمر قبائل كلب، وغسان، والسكاسك، والسكون، وطيء، والقين، وتنوخ، وجذام، وعذرة، وفزارة، ومذحج. وهي كلها قبائل يمانية (قحطانية)، وكان رئيس القبائل اليمانية في المؤتمر هو حسان بن مالك بن بحدل، والذي كان يميل إلى خالد بن يزيد، وكانت بني كلب تريد بقاء الخلافة في بيت معاوية، ولكن لم يكن سن أحد منهم كافٍ لتولي هذا المنصب [٤]. لكن ظهر مروان بن الحكم الأكثر تأييداً في في المؤتمر، وكان يؤيده بنو أمية ومن معهم [٥].

ومن الأفضل استعراض رواية عوانة بن الحكم، التي تصور لنا مؤتمر الجابية خير تصوير، والرواية تقول [٦]: " كانت الأهواء بالجابية مختلفة: حصين بن نمير السكوني السكوني يهوى أن يولي مروان بن الحكم، ومالك بن هبيرة السكوني يهوى أن يولي خالد بن يزيد، فقال مالك بن هبيرة للحصين: هلم نبايع خالد بن يزيد، فقد عرفت منزلتنا من أبيه، فقال الحصين: لا والله، لا تأتينا الناس بشيخ، ونأتيهم بصبي، فقال مالك: ويحك! إن مروان وآل مروان يحسدونك على سوطك، وشِراك نعلك، وظل شجرة تستظل بها، ومروان أبو عشرة، وأخو عشرة، وعم عشرة، وإن بايعتموه كنتم

(١) الجابية هي إحدى قرى الجولان السوري، تقع غربي دمشق، نزل فيها الخليفة عمر بعد فتح الشام فكان يوم الجابية وكانت خطبة الجابية، وفيها بويع مروان بن الحكم. انظر: العقيلي، عمر سليمان. أسلوب تعاقب بني أمية على منصب الخلافة وأثره في سقوط دولتهم. مجلة الدارة، مجلد ٢٠، العدد ٣، الرياض، ١٩٧٥م، ص ١٦. (سيشار إليه فيما بعد: العقيلي، أسلوب تعاقب بني أمية) ؛ المنجد، ص ١٩٤.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٣٨٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٨٠ ؛ بيضون، إبراهيم. تاريخ بلاد الشام. ط١، دار المنتخب العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ص ١٤٨. (سيشار إليه فيما بعد: بيضون، تاريخ).

(٤) شعبان، محمد عبدالحي. صدر الإسلام والدولة الأموية. (د. ط)، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧م، ص ١٠٥. (سيشار إليه فيما بعد: شعبان، صدر الإسلام) ؛ بيضون، المرجع السابق، ص ١٥٥.

(٥) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٨٠ ؛ فوزي، فاروق عمر. الجيش والسياسة في العصر الأموي ومطلع العصر العباسي ٤١ ـ ٣٣٤هـ. ط١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٥م، ص ٦٠. (سيشار إليه فيما بعد: فوزي، الجيش والسياسة).

(٦) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٨١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٤٣.

عبيداً لهم، ولكن عليكم بابن أختكم خالد، فقال: مروان شيخ قريش، والطالب بدم الخليفة المظلوم، وهو يدبرنا ويسوسنا، ولا يحتاج إلى أن ندبره ونسوسه، وغيره يحتاج إلى أن يدبر ويساس..." (١).

وذكر أبو حنيفة الدينوري (٢)، أن مروان بن الحكم نفسه كان على وشك اللحاق بابن الزبير ليبايعه وينضم إليه بعد أن رأى الناس في دمشق مختلفين في من يتولى الخلافة، ولكن عبيدالله بن زياد قدم من العراق بعد أن أخرجوه أهلها هارباً إلى الشام، فعاتبه، وقال له: " أنت سيد قومك وأحق الناس بهذا الأمر، فمد يدك أبايعك. ثم خرج ابن زياد إلى الناس، وحملهم على بيعة مروان، فاجتمعوا وبايعوه " (٣).

وكان روح بن زنباع ممن ساعد عبيدالله بن زياد في إقناع القوم بالمبايعة لمروان، فقد قام في الناس خطيباً، وقال: " يا أهل الشام هذا مروان بن الحكم شيخ قريش، والطالب بدم عثمان، والمقاتل لعلي بن أبي طالب يوم الجمل، ويوم صفين، فبايعوا الكبير، واستنيبوا للصغير، ثم لعمرو بن سعيد " (٤). فبايع الناس لمروان بن الحكم، ثم لخالد بن يزيد، ثم لعمرو بن سعيد بن العاص. على أن تكون إمرة دمشق لعمرو، وإمرة حمص لخالد بن يزيد، واشترط زعيم قبيلة كلب أن يفرض لـ ٢٠٠٠ رجل ٢٠٠٠ درهم من العطاء لكل واحد منهم، وكانت بيعة مروان بن الحكم في الجابية في ذي القعدة من سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م (٥).

ويرجح إبراهيم بيضون أن تكون كفة مروان رجحت في مؤتمر الجابية بسبب عنصري كبر السن، والتجربة اللذين يفتقران إليهما المرشحان الآخران وهما: خالد بن يزيد بن معاوية، وعمرو بن سعيد بن العاص (الأشدق) (٦).

وتتفق الباحثة مع بيضون في نقطة أن كفة مروان رجحت بسبب عاملي السن والتجربة، ولكنها تختلف معه في نقطة أن عمرو بن سعيد الأشدق يفتقر إلى هذين

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٣٨١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٤٣ ؛ عبداللطيف، عبدالشافي محمد. العالم الإسلامي في العصر الأموي. ط١، دار الوفاء للطباعة، (د. م)، ١٩٨٤م، ص ١٤١. (سيشار إليه فيما بعد: عبداللطيف، العالم الإسلامي) ؛ عطوان، حسين. الأمويون والخلافة. ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٠٩. (سيشار إليه فيما بعد: عطوان، الأمويون) ؛ العقيلي، مروان بن الحكم، ص ١٧.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٨٥.

(٣) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٤، ص ١٤٣.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٣٠٥ ؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٤، ص ١٤٣.

(٥) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٤، ص ١٤٣ ؛ فوزي، الجيش والسياسة، ص ٦٠.

(٦) بيضون، تاريخ، ص ١٦٥ ؛ العزام، صبحي محمود. خلافة مروان بن الحكم ٦٤-٦٥هـ. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٦م، ص ١٨٨. (سيشار إليه فيما بعد: العزام، خلافة مروان).

العاملين؛ ذلك لأن عمرو آنذاك كان بنفس سن مروان بن الحكم تقريباً، حيث أن مروان ولد سنة ٢هـ/٦٢٣م، وعمرو ولد سنة ٣هـ/ ٦٢٤م وبالتالي فإن الأشدق لم يكن يفتقر للعاملين اللذين ذكرهما بيضون [١].

ورغم أن مؤتمر الجابية خرج بحل لمشكلة الخلافة، وأعاد الدولة في ظل سلطة بني مروان، إلا أنه فشل في تحقيق السلام القيسي - الكلبي، وأدى إلى تفجير الصراع القبلي في بلاد الشام ومن ثم امتداده إلى مناطق أبعد [٢].

ب - معركة مرج راهط [٣]:

تعد معركة مرج راهط من أهم المعارك التي عرفها تاريخ الصراع القبلي بين اليمانية والقيسية، وذلك لأن النزاع في مرج راهط هو مظهر من مظاهر الصراع بين حزبين قبليين سياسيين هما: القيسية متمثلة في شخص الضحاك بن قيس الفهري ومن والاه من قبائل، واليمانية متمثلة في شخص حسان بن مالك بن بحدل الكلبي وأتباعه [٤].

يذكر أن مروان بن الحكم بعد أن عقد له في الجابية، خرج إلى مرج راهط وعلى يمينه عمرو بن سعيد، وعلى ميسرته عبيدالله بن زياد، ومعهم القبائل الموالية سيما اليمانية. تم اللقاء بين مروان والضحاك بن قيس، وتقابل الجيشان، وفي أثناء المعركة جاءت أخبار من دمشق تقول أن رجلاً من غسان كان مختبئاً بدمشق وخرج وثار على عامل الضحاك بن قيس وأخرجه، واستولى على بيت المال، وأعلن مبايعته لمروان، وكان لهذا الخبر أثر كبير على معنويات جند الشام، وبالمقابل انهيار معنويات القيسية، واستمر القتال مدة عشرين يوماً، وانتهى بهزيمة القيسية ومقتل الضحاك بن قيس، وهروب زفر بن الحارث الكلابي من قنسرين وتحصنه بقرقيسيا، وهروب ناتل بن قيس الجذامي عن فلسطين، ولحق بابن الزبير بمكة، واستعمل مروان بعده على فلسطين روح بن زنباع وبذلك حسم الموقف لصالح بني أمية وبالمقابل هزيمة أنصار

(١) الزركلي، الأعلام، ج٥، ص ٧٨.

(٢) بيضون، تاريخ، ص ١٦٥.

(٣) راهط: بكسر الهاء، وطاء مهملة. موضع في الغوطة من دمشق. انظر: الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م). معجم البلدان. ج٣، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٢١. (سيشار إليه فيما بعد: الحموي، معجم البلدان).

(٤) عاقل، خلافة بني أمية، ص ١٢٣ ؛ الناطور، شحادة علي. جند الأردن ودور القبائل اليمنية في استرداد سلطة بني أمية. مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، دون مجلد، العدد ٣٠، بغداد، ١٩٨٦م، ص ١٦٣ (سيشار إليه فيما بعد: الناطور، جند الأردن) ؛ خفاجي، معارك فاصلة، ص ٢٣.

ابن الزبير، وأصبح كل الشام بيد مروان، وكان ذلك في نهاية سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م، وقيل في شهر محرم من سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م [١].

وتخليداً لانتصار اليمانية في مرج راهط، يقول أحد شعراء كلب:

رددنا لمروان الخلافة بعد ما ... جرى للزبيريين كل بريد
فإلا يكـــن منا الخليفة نفسه ... فما نالها إلا ونحن شهود [٢]

وبالمقابل قال زفر بن الحارث - أمير قنسرين (بلدة في الشام بين حلب ومعرة النعمان) وأحد أنصار ابن الزبير - حين سمع بهزيمة القيسية:

أريني سلاحي - لا أباً - لك إننـــي ... أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا
أتانـــي عن مـروان بـالغيب أنـه ... مقيد دمـــي أو قاطـع من لسانيا
فلا تحسبونـــي إن تغيبت غافـــلاً ... ولا تفرحـــوا إن جئتكم بلقائيا
فقد ينبت المرعى على دِمن[٣] الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا
أتذهب كلــب لـم تنلها رمـــاحنا ... وتترك قتلى راهــط هي ما هيا
لعمري لقد أبقت وقيعـــة راهـــط ... لحسان بيننا صدعـــاً بيناً متنائيا
فـلا صلح حتى تنحِط[٤] الخيل بالقنا ... وتثأر مـــن نسوان كلـب نسائيا[٥]

وفي الطريقة التي تولى بها مروان بن الحكم الخلافة يقول المسعودي: " وكان مروان أول من أخذها بالسيف كرهاً على ما قيل بغير رضا من عصبة الناس، بل كان خوفه

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٣٨٢ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٥٠ ؛ الناطور، جند الأردن، ص ١٦٥ ؛ بيضون، تاريخ، ص ١٧١.

(٢) المسعودي.علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م). التنبيه والإشراف. (د. ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١م، ص ٢٨٣. (سيشار إليه فيما بعد: المسعودي، التنبيه والإشراف).

(٣) الدمن هو الحقد القديم الثابت في الصدر. انظر: المنجد، ص ٢٢٥.

(٤) النحيط هو صوت الخيل من الثقل والإعياء. انظر: المرجع نفسه، ص ٧٩٥.

(٥) إبراهيم، محمد أبو الفضل وآخرون. أيام العرب في الإسلام. ط٤، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٣٢٢. (سيشار إليه فيما بعد: إبراهيم، أيام العرب).

إلا عدداً يسيراً حملوه على وثوبه عليها، وقد كان غيره ممن سلف، أخذها بعددٍ وأعوان، إلا مروان، فإنه أخذها على ما وصفنا " (١).

وهنا يتضح مدى أهمية موقعة مرج راهط في إبقاء الخلافة في البيت الأموي بعد أن كادت أن تخرج منهم إلى أيدي ابن الزبير، وفي ذلك يقول المسعودي: " فكانت هذه الوقعة سبب رد ملك بني أمية وقد كان زال عنهم إلى بني أسد بن عبد العزى " (٢).

ومما سبق يمكن القول أن بني أمية اتبعوا نظام ولاية العهد من أجل إبقاء منصب الخلافة في أسرتهم، ويتمثل نظام ولاية العهد في " أن يعهد الخليفة بمنصب الخلافة من بعده لأحد أبنائه أو إخوانه أو أبناء عمومته، شريطة أن لا يتجاوز هذا العهد الأسرة الأموية " (٣). ومن هذا المنطلق تقول غيداء كاتبي: " أن مبدأ الوراثة المباشرة (تولية الابن بعد الأب مباشرة) لم يتركز، بل كان الاتجاه إلى تركيز مبدأ الأفضل والأصلح من بني أمية ليتولى الخلافة. فالتأكيد كان على حفظ الخلافة في بني أمية واستمرار السلطة فيهم دون إلتزام بآل أبي سفيان، هذا إضافة إلى رفض نقل الخلافة إلى مركز آخر غير الشام، وهكذا اختير الخليفة من الفرع الثاني للأمويين " (٤). أي الاعتماد على مبدأ التوريث غير المباشر وحصر الخلافة في بني أمية دون غيرهم.

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٣٣٨ ؛ ابن العبري، جريجوريوس بن أهرون (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م). تاريخ مختصر الدول. تحقيق: أنطون اليسوعي، (د. ط)، دار الرائد اللبناني، بيروت، ١٩٨٣م، ص ١٩١. (سيشار إليه فيما بعد: ابن العبري، تاريخ مختصر).

(٢) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٨٣.

(٣) العقيلي، أسلوب تعاقب بني أمية، ص ٩.

(٤) كاتبي، غيداء خزنة. انتقال الخلافة من السفيانيين إلى المروانيين. مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، مجلد ٢٠، العدد ٦٧، دمشق، ١٩٩٩م، ص ٧٥. (سيشار إليه فيما بعد: كاتبي، انتقال الخلافة).

الفصل الثاني

الفصل الثاني: ولاية العهد في الفترة المروانية (٦٤-١٣٥هـ/ ٦٨٤-٧٤٣م):

تقلد مروان بن الحكم مقاليد الخلافة بعد مؤتمر الجابية الذي عقد في ذي القعدة من سنة ٦٤هـ/ ٦٨٤م، وبذلك ظهر على مسرح الأحداث السياسية في الدولة الأموية فرع آخر غير الفرع السفياني السابق، والفرع الجديد هو الفرع المرواني وكلا الفرعين أمويان يلتقيان عن عبد شمس؛ ومن ذلك الوقت تعاقب الخلفاء من أبناء الفرع المرواني على حكم الدولة الإسلامية حتى سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م (١).

وما إن تولى مروان بن الحكم الخلافة سنة ٦٤هـ/ ٦٨٤م حتى شرع في محاولة القضاء على وجود عبدالله بن الزبير، وذلك من خلال انتزاع الأقاليم البعيدة مثل: مصر؛ وذلك من أجل إضعاف النفوذ الزبيري أولاً، ومن ثم يتيسر له القضاء عليه نهائياً ثانياً (٢).

وتدل هذه الخطوة على ذكاء مروان؛ وذلك لأن استيلاءه على مصر آنذاك سيقوي موقفه في مواجهة ابن الزبير، بالإضافة إلى أن " الاستيلاء على مصر ليس صعباً؛ لأن معظم المصريين هواهم (ميولهم) مع بني أمية، وبيعتهم لابن الزبير لم تكن خالصة " (٣).

وحين اتجه الخليفة مروان إلى مصر، كان عليها عبدالرحمن بن جحدم القرشي والياً من قبل ابن الزبير، وكان مروان قد دعا أنصار بني أمية في مصر سراً، ومن ثم سار إليها بجيشه ومعه ابنه عبدالعزيز، وعمرو بن سعيد الأشدق، وخالد بن يزيد، وحسان بن مالك الكلبي، وفي مصر دارت بين مروان وابن جحدم عدة معارك، كان النصر فيها حليف الخليفة مروان وهرب ابن جحدم، ثم جاء إلى مروان طالباً العفو على أن يخرج إلى مكة، فعفا عنه، وبذلك نجح مروان في جمادي الآخرة من سنة ٦٥هـ/

(١) انظر: شجرة نسب الأمويين (الملحق ١).

(٢) الصلابي، الدولة الأموية، ج١، ص ٧٢٦.

(٣) ابن الوردي، عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م). تاريخ ابن الوردي. ج١، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، ص ١٦٧. (سيشار إليه فيما بعد: ابن الوردي، تاريخ)؛ عبداللطيف، العالم الإسلامي، ص ١٤٤.

٦٨٥م من استرداد مصر، وأقام مروان في مصر شهرين لترتيب الأوضاع، ثم عاد إلى بلاد الشام وعين ابنه عبدالعزيز والياً عليها [(١)].

وبعد رجوع مروان بن الحكم من مصر أقدم على تجهيز حملتين ضد ابن الزبير في محاولة منه لإعادة العراق والحجاز، فكانت الحملة الأولى ضد العراق بقيادة عبيدالله بن زياد، وكانت مهمتها محاصرة زفر بن الحارث الكلابي المتحصن بقرقيسيا والتخلص منه، ثم التقدم نحو العراق حيث مصعب بن الزبير، ولكن هذه الحملة لم تحقق أهدافها في عهد مروان، إذ توفي الخليفة مروان وهي في طريقها لمحاصرة زفر في قرقيسيا، وعند مجيء عبدالملك أقر هذه الحملة [(٢)].

أما فيما يتعلق بالحجاز؛ فقد جهز مروان جيشاً من فلسطين يقدر بستة آلاف وأربعمائة فارس بقيادة حبيش بن دلجة، وكان في الجيش الحجاج بن يوسف وأبيه، واتجه هذا الجيش نحو الحجاز، ولما وصل إلى وادي القرى هرب عامل ابن الزبير على المدينة، واستمرت الحملة إلى عهد عبدالملك. إضافة إلى ذلك وجه مروان جيشاً آخر إلى الجزيرة الفراتية وعلى رأسه ابنه محمد بن مروان، ولكن مروان عاجلته المنية قبل إتمام مشروعه للقضاء على ابن الزبير نهائياً [(٣)].

ولم يكن مشروع مروان للقضاء على ابن الزبير هو الشيء الوحيد الذي فعله مروان في فترة خلافته القصيرة، بل اتجه للعمل في جوانب أخرى، منها على سبيل المثال: محاولة إبقاء السلطة في أبنائه، وذلك من خلال تولية العهد لابنيه عبدالملك وعبدالعزيز [(٤)].

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٣٨٤ ؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. ج١، (د. ط)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ١٧٢. (سيشار إليه فيما بعد: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة) ؛ الصلابي، الدولة الأموية، ج١، ص ٧٣٤.

(٢) شاكر، العهد الأموي، ص ١٤٨ ؛ الصلابي، المرجع السابق، ج١، ص ٧٣٤.

(٣) شاكر، المرجع السابق، ص ١٤٨ ؛ الصلابي، المرجع السابق، ج١، ص ٧٣٤.

(٤) Hawting, G.R. The first dynasty of Islam: The Umayyad caliphate. (N.E), Croom Helm, London, 1986, P 59. (It's will pointed to later: Hawting, The first dynasty).

١. ولاية العهد لأكثر من واحد: تولية مروان بن الحكم لابنيه من بعده سنة ٦٥هـ/ ٦٨٥م.

ختم الخليفة مروان بن الحكم أعماله بعقد البيعة لولديه عبدالملك وعبدالعزيز، وكما هو معلوم أن مروان كان قد وعد عمرو بن سعيد الأشدق وخالد بن يزيد في مؤتمر الجابية بالخلافة من بعده؛ ولكي يبايع مروان لولديه من بعده ويتخلص من المرشحين السابقين، اتبع خطة من أجل استبعاد عمرو بن سعيد الأشدق وخالد بن يزيد، وتمثلت أولى خطواته بأن تزوج أم خالد بن يزيد وهي فاختة بنت أبي هاشم بن عتبة، وعمل على الحصول على موافقة حسان بن مالك بتولية العهد لولديه، فوافقه حسان على ذلك [(١)].

وقد نتساءل هنا: لماذا حسان بن مالك بالذات؟!

وللإجابة على هذا السؤال يمكن القول أن ذلك بسبب تأثير العصبية القبلية على سياسة الدولة الأموية، وذلك نتيجة للدور الذي لعبته اليمانية في بلاد الشام من أجل إبقاء السلطة في البيت الأموي، ومن خلال استشارة مروان بن الحكم لحسان بن مالك نلمس أن قبيلة كلب ممثلة في زعيمها حسان بن مالك، لعبت دوراً سياسياً كبيراً في البلاط الأموي، والدليل على ذلك أن الخليفة الأموي ما كان ليتخذ قراراً سياسياً هاماً كهذا دون الرجوع إليه، ومما سبق يؤكد لنا بالفعل أن القبائل اليمانية في الشام هي عماد الدولة الأموية.

والدليل على أن الكلبية كان لهم دور كبير في إقامة ملك بني مروان، ما قاله خراش بن بحدل الكلبي في حضرة عبدالملك بن مروان ذات يوم [(٢)]:

أعبد المليك ما شكرت بلادنا   فكل في رخاء العيش ما أنت آكل

فجابية الجولان لولا ابن بحدل   لكنت وما يسمع لقيلك قائل

وكنت إذا دارت عليك عظيمة   تضاءلت، إن الخاشع المتضائل

---

(١) ابن خياط، تاريخ ابن خياط ص ١٦٢ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٦٥ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٥٠ ؛ ابن الوردي، تاريخ، ج١، ص ١٦٧ ؛ الصلابي، الدولة الأموية، ج١، ص ٧٣٤.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م). مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر. تحقيق: مأمون الصاغرجي، ج٨، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م، ص ٣٩. (سيشار إليه فيما بعد: ابن منظور، مختصر).

ويـذكر أن مـروان حصـل علـى موافقـة حسـان بـن مالـك عنـدما كـان عمـرو بـن سـعيد الأشدق عائـداً مـن فلسـطين بعـد أن أرسـله مـروان مـن أجـل قتـال مصـعب بـن الزبيـر الـذي حـاول إعـادة نائـل بـن قـيس الجـذامي إلـى فلسـطين فهزمـه عمـرو، وبعـد عـودة عمـرو مـن فلسـطين بلـغ مـروان أن عمـراً يقـول: أن الأمـر لـي بعـد مـروان. وهنـا دعـا مـروان حسـان بـن مالـك، وأخبـره بمـا بلغـه عـن عمـرو، فقـال حسـان: " أنـا أكفيـك عمـراً، ولمـا اجتمـع النـاس عنـد مـروان عشـياً، قـام حسـان، فقـال: إنـه قـد بلغنـا أن رجـالاً يتمنـون أمـانيّ، قومـوا فبايعوا لعبدالملك وعبدالعزيز من بعده، فبايعوا عن آخرهم " (١).

ويـرى الصـلابي أن مـن أهـم أعمـال مـروان بـن الحكـم، توليـة العهـد لولديـه مـن بعـده؛ وذلـك لأنـه بهـذا العمـل حفـظ الخلافـة فـي البيـت المروانـي، ووضـع حـد للتنـافس علـى الخلافـة بـين بنـي أميـة، ومنـع وقـوع مشـاكل يمكـن أن تحـدث كمـا هـو الحـال عقـب وفـاة معاويـة بـن يزيد، رغم أن المشاكل ظلت قائمة بين أفراد الأسرة الأموية نفسها (٢).

وممـا سـبق يمكـن القـول أن مـروان بـن الحكـم تملـص مـن وعـوده السـابقة فـي مـؤتمر الجابيـة عنـدما نحـى وليـي العهـد عمـرو بـن سـعيد وخالـد بـن يزيـد، وجعلهـا لولديـه بـدلاً منهما.

ولكـن حـين يـتم تنـاول الموضـوع مـن جانـب آخـر يمكـن أن يُطـرح سـؤال هنـا: لمـاذا وافـق حسـان بـن مالـك مـروان بـن الحكـم فـي توليـة العهـد لابنيـه؟! وحسـان يعلـم أن توليـة عبـدالملك وعبـدالعزيز يترتـب عليهـا تنحيـة خالـد بـن يزيـد، رغـم أن خالـد أقـرب للكلبيـين من مروان وابنيه، وذلك لأن بني كلب هم أخوال يزيد بن معاوية.

ومـن أجـل الإجابـة علـى هـذا السـؤال يجـب الرجـوع إلـى مـا حصـل فـي مـؤتمر الجابيـة، حيـث أن أغلـب المجتمعـين فـي المـؤتمر قـدموا مـروان بـن الحكـم، لأنـه شـيخ بنـي أميـة - آنـذاك وكبيـرهم - ويـذكر أن حسـان بـن مالـك دعـا خالـد بـن يزيـد، وقـال لـه: " يـا ابـن أختـي، إن النـاس قـد أبـوك لحداثـة سـنك، وإنـي والله مـا أريـد هـذا الأمـر إلا لـك ولأهـل بيتـك، ومـا

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٤٢٣ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ١٨٥ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١، ص ١٧٢ ؛ العيدروس، محمد حسن. الدولة الإسلامية الثالثة. (د. ط)، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٣٢. (سيشار إليه فيما بعد: العيدروس، الدولة الإسلامية).

(٢) الصلابي، الدولة الأموية، ج١، ص ٧٣٥ ؛ ذوقان، ولاية العهد، ص ٦٣.

أبايع مروان إلا نظراً لكم. فقال خالد: بل عجزت عنا، قال: لا والله ما عجزت عنك، ولكن الرأي لك ما رأيت " [(١)].

ومن هنا فإن أغلب الظن أن حسان بن مالك رأى في عبدالملك وعبدالعزيز ابني مروان صلاحية للخلافة أكثر من خالد بن يزيد، ربما بسبب صغر سنه مقارنة بأبناء مروان [(٢)]، أو ربما لأن حسان وغيره رأوا أن اهتمام خالد بن يزيد بالخلافة لم يكن كبيراً، حيث أنه عرف عنه أنه كان يهتم بالعلوم، وخاصة الكيمياء، إضافة إلى أنه في ذلك الوقت انشغل بالحروب مع أخواله (بني كلب) ضد القيسية، أو ربما أن حسان بن مالك أراد الحفاظ على علاقته الطيبة مع مروان بن الحكم ولذلك لم يخالفه من أجل الاحتفاظ بالامتيازات التي كان يحصل عليها هو وقبيلته [(٣)].

ويرى العقيلي أن مروان بن الحكم أخذ حسان بالترغيب والترهيب من أجل أن يوافقه لكي يبايع لعبدالملك وعبدالعزيز، ويتنازل عن حق خالد بن يزيد، ويستدل على ذلك من خلال ما أورده الطبري، من أن حسان كان يريد الخلافة لخالد بن يزيد [(٤)].

ولكي يبرر مروان شرعية قراره في البيعة لولديه بولاية العهد، عمل على تصغير صورة خالد بن يزيد أمام الآخرين، وأشاع أنه لا يصلح للخلافة، وحاول مروان فرض سيطرته عليه، وإظهاره أمام أهل الشام بأنه ضعيف ولا يستطيع تحمل مسؤولية الحكم. أما الأشدق فيبدو أنه قبل بالوضع بصورة مؤقتة حتى توفي مروان، ولا ندري لما قبل بالوضع في عهد مروان، ولم يقم بثورة وربما ذلك يعود لقصر فترة خلافة مروان، ولكنه ثار في عهد عبدالملك بن مروان، وسيتم التطرق إلى ثورته لاحقاً إن شاء الله [(٥)].

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٣٨٢ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٤٩.

(٢) حيث ان عبدالملك بن مروان ولد سنة ٢٦هـ/ ٦٤٦م، وبالمقابل خالد بن يزيد آنذاك كان صبياً، والدليل ان ابيه يزيد ولد سنة ٢٥هـ/ ٦٤٥هـ. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٢٠ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢١٠ ؛ عبداللطيف، العالم الإسلامي، ص ١٤٦ ؛ ماجد، التاريخ السياسي، ص ٩٠ ؛ الصلابي، الدولة الأموية، ج١، ص ٧٣٨.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ٣٨٥ ؛ المبرد، محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م). الكامل في اللغة والأدب. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١، (د. ط)، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٢٤٩. (ميشار إليه فيما بعد: المبرد، الكامل في اللغة) ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٨، ص ٢٢٦ ؛ ماجد، المرجع السابق، ص ٩٤ ؛ المنجد، ص ٢٢٨.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٤٢٣ ؛ العقيلي، مروان بن الحكم، ص ٢٣.

(٥) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص ١٩٢ ؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج٨، ص ٢٥١ ؛ ذوقان، ولاية العهد، ص ٦٣.

وتشير الروايات إلى أن موت مروان بن الحكم المفاجئ في الثالث من رمضان سنة ٦٥هـ/٦٨٥م كان بتدبير من زوجته أم خالد بن يزيد التي أرادت الانتقام لخلع ابنها من ولاية العهد، إذ يبدو أنها هي الأخرى لم تتزوجه إلا لتبقي على الخلافة لابنها [(١)].

ومما سبق يمكن ملاحظة ما يلي:

١. أن أولو النفوذ من أفراد البيت الأموي لم يكن شغلهم الشاغل إبقاء منصب الخلافة في فرع دون آخر بقدر ما كان اهتمامهم ببقاء هذا المنصب في الأسرة الأموية، ولذلك لم يقبلوا بخالد بن يزيد -وهو سفياني- حين رأوه لا يصلح للخلافة، واختاروا رجلاً آخر رأوه قديراً ليتولي هذا المنصب رغم أنه من فرع آخر غير الفرع السفياني السابق.

٢. أن مروان بن الحكم سار على نهج سابقيه (معاوية الأول وابنه يزيد) في عقد ولاية العهد لولديه، وبذلك صارت ولاية العهد أحد مراسم الخلافة في الدولة الإسلامية.

٣. أن النساء لعبن دوراً في التدخل في شؤون الحكم في الدولة الأموية، وهذا رد على الذين يقولون أن العباسيين وحدهم هم الذين سمحوا للنساء بالتدخل في أمور الحكم، وخير دليل على ذلك هو دور فاختة أم خالد بن يزيد ومحاولاتها من أجل إبقاء ابنها ولي للعهد، ومن ثم انتقامها له بقتل الخليفة مروان حين خلعه من ولاية العهد.

٤. أن الأمويون بدأوا منذ عهد مروان بن الحكم محاولاتهم الأولى من أجل نقض الشرعية، والدليل على ذلك ما قام به مروان من نقض اتفاق مؤتمر الجابية وخلع خالد بن يزيد، وعمرو بن سعيد الأشدق من ولاية العهد واستبدالهما بعبدالملك وعبدالعزيز.

---

(١) الزبيري، المصعب بن عبدالله (ت ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م). نسب قريش. ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٣م، ص ١٢٩. (سيشار إليه فيما بعد: الزبيري، نسب قريش) ؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ٣٨٩ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٤٢٣ ؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م). الوافي بالوفيات. تحقيق: محمد الحجيري، ج١٣، (د. ط)، مركز الطباعة الحديثة، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٢٧٣. (سيشار إليه فيما بعد: الصفدي، الوافي بالوفيات) ؛ فروخ، عمر. تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية. ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٤٣. (سيشار إليه فيما بعد: فروخ، تاريخ صدر الإسلام) ؛ ماجد، التاريخ السياسي، ص ٩٠.

٢. ولاية العهد في زمن عبدالملك بن مروان (٦٥- ٨٦هـ/ ٦٨٥- ٧٠٥م).

بويع عبدالملك بن مروان بالخلافة بعد وفاة أبيه في الثالث رمضان من سنة ٦٥هـ/ ٦٨٥م، وما إن تولى عبدالملك الخلافة حتى واجهته الكثير من الصعوبات، حيث كان كل من: الحجاز، والعراق، وفارس، وخراسان بيد ابن الزبير. وكذلك كان الروم البيزنطيين يهددون بلاد الشام من الشمال، وخرج عليه المختار بن أبي عبيدالله الثقفي [1]، وغلب على الكوفة، وأخذ يدعو لمحمد بن الحنفية [2]، بالإضافة إلى ذلك شهد بداية عهد عبدالملك خروج نجدة بن عامر الحنفي [3] وغيره من الخوارج، ولكن الأهم في هذا الموضع هو أن عبدالملك وجه اهتمامه إلى اضطرابات الشام أولاً قبل أن يلتفت للأقاليم الأخرى، حيث استطاع إخماد حركة زفر بن الحارث في قرقيسيا، وحاول كسب القيسية إلى جانبه وصالحهم، وجعلهم جزء من جيشه، وبعد أن أخمد عبدالملك فتن الشام قرر الاتجاه إلى العراق، ولكنه فوجئ بخروج عمرو بن سعيد الأشدق عليه في سنة ٦٩هـ/ ٦٨٩م [4].

وقبل التطرق إلى ثورة عمرو الأشدق يجدر بنا الإشارة إلى موقف خالد بن يزيد من خلافة عبدالملك، ويبدو أن خالد رضي بالأمر وبايع عبدالملك، ذلك لأن المصادر لا تشير إلى امتناع خالد عن بيعة عبدالملك، بل ويذكر أنه انشغل بطلب العلم حتى قيل: " خالد قد عَلِمَ عِلم العرب والعجم " [5]. وتذكر بعض المصادر أن خالد انشغل بعلم الكيمياء (الصنعة) عن طلب الخلافة، بالإضافة إلى أنه انشغل بالحروب مع أخواله (بني كلب) ضد القيسية، وظل كذلك حتى توفي سنة ٩٠هـ/ ٧١٠م [6].

---

(١) أحد الثائرين على بني أمية، ثار في الكوفة مطالباً بدم الحسين، انتصر قائده إبراهيم بن الأشتر في معركة الخازر، ولكنه قضى عليه مصعب بن الزبير بعد حصاره في الكوفة. انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٤٣٣ ؛ الكتبي، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م). فوات الوفيات. تحقيق: إحسان عباس، ج٤، (د. ط)، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص ١٢٣. (سيشار إليه فيما بعد: الكتبي، فوات الوفيات).

(٢) هو أحد أبناء علي بن أبي طالب، أمه خولة الحنفية، رأى بعض الشيعة إمامته بعد مقتل الحسين. انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص ٦٧.

(٣) هو زعيم الخوارج النجدات، خرج واستولى على البحرين، ووصل إلى عُمان، لكنه قتل سنة ٦٧هـ/ ٦٨٧م على يد أصحابه. انظر: ابن خياط، تاريخ ابن خياط ص ١٦٤ ؛ فوزي، الخلافة الأموية، ص ١٠٢.

(٤) ابن خياط، المصدر السابق، ص ١٦٣ ؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١٩٣ ؛ فوزي، المرجع السابق، ص ١٠٠.

(٥) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٨، ص ٢٢٠.

(٦) البلاذري، المصدر السابق، ج٥، ص ٣٨٥ ؛ المبرد، الكامل في اللغة، ج١، ص ٢٤٩ ؛ ابن عساكر، المصدر السابق، ج١٨، ص ٢٢٦.

أ ـ ثورة عمرو بن سعيد الأشدق:

لم يلبث الخليفة عبدالملك بن مروان يلتقط أنفاسه من ثورات الشام حتى خرج عليه أحد أفراد بيته، وكان ذلك هو عمرو بن سعيد بن العاص، والمعروف بـ الأشدق. أما سبب خروج عمرو؛ فهو أنه كان مرشحاً كولي ثانٍ للعهد بعد خالد بن يزيد في مؤتمر الجابية، ولكن مروان بن الحكم أخلف وعوده لهما، وبايع لابنيه، بل ويذكر أن عبدالملك حين توفي أبيه، قام فبايع لنفسه، وامتنع الأشدق عن بيعته، لذلك وعده عبدالملك أن يستخلفه، فبايعه الأشدق، وأقاما بالشام [1]، على أن " يكونا مشتركين في الملك بأن يكون لكل واحد منهم عمال من قبله، على أن يكون اسم الخلافة لعبدالملك، فإن مات فالخليفة بعده عمرو بن سعيد " [2].

وأغلب الظن أن عمرو بن سعيد لم يعد يثق بعبدالملك أن يوليه العهد من بعده، لذلك ثار سنة ٦٩هـ/ ٦٨٩م، وقيل سنة ٧٠هـ/ ٦٩٠م [3]. ولو كان واثقاً من أن عبدالملك سيفي بوعده له لصبر حتى يقضي الله أمراً، وتؤول إليه الخلافة، خصوصاً وأن عمرو كان قد تعرض لخيانة سابقة من مروان بن الحكم حين نقل ولاية العهد إلى ولديه عبدالملك وعبدالعزيز بعد أشهر قليلة من وعوده التي قطعها على نفسه في مؤتمر الجابية.

وبدأت أحداث خروجه بأن اتجه إلى دمشق وكان عليها عبدالرحمن بن أم الحكم الثقفي [4] مستخلفاً من قبل عبدالملك الذي خرج منها للسير إلى زفر بن الحارث، وعندما سمع عبدالرحمن بقدوم عمرو هرب عنها، ودخلها عمرو فاستولى على خزائنها، وهدم دار عبدالرحمن، وأغلق أبوابها، واجتمع الناس إليه ودعاهم إلى بيعته، " فخطب فيهم، ومناهم ووعدهم " [5].

وعندما سمع عبدالملك بثورة الأشدق، عاد إلى دمشق، وانقسم أهل الشام إلى قسمين: فرقة مع عبدالملك، وفرقة مع عمرو، واستمر القتال بينهم أياماً، ومن ثم تدخل بني أمية بينهما، واصطلحا، وأعطاه عبدالملك الأمان، ودخل عبدالملك دمشق، وبعد دخوله

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص ١٩٢.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٨٩ ؛ ماجد، التاريخ السياسي، ص ٩٥.

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٩، ص ٢٢.

(٤) هو ابن أم الحكم بنت أبي سفيان أخت معاوية، ولاه معاوية الكوفة سنة ٥٧هـ/ ٦٧٧م. انظر: المصدر نفسه، ج٣٧، ص ٣٠.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٢٩٥.

دمشق بأربعة أيام، استدعى عمرو وغدر به حيث قتله قتلة شنيعة، وتذكر المصادر أن عمراً ناشد عبدالملك الرحم، لكن عبدالملك أمر به وذُبح، ثم ألقى برأسه مع الأموال إلى العامة [1].

ويرى عبدالمنعم ماجد أن عبدالملك بتصرفه مع عمرو بن سعيد، قطع الطريق على كل من يجرؤ على الخروج عليه من أهل بيته، وبالفعل حقق ما قاله في خطبته الأولى التي قالها حين تولى الخلافة: " ما أنا بالخليفة المصانع (يقصد معاوية الذي يصانع أقاربه)، ولا بالخليفة المستضعف (يقصد عثمان الذي يضعف لأقاربه)" [2]. وقد رثا أحد الشعراء عمرو بن سعيد بأبيات، منها [3]:

أعيني جودا بالدمع على عمرو ... عشية تُبتز الخلافة بالغدر

كأن بني مروان إذ يقتلونه ... بُغاث من الطير اجتمعن على صقر

غدرتم بعمرو يا بني خيط باطل ... وأنتم ذوو قربى به وذوو صهر

ب ـ القضاء على ابن الزبير:

بعد أن قضى مصعب بن الزبير على المختار الثقفي سنة ٦٧هـ/٦٨٧م، وجه ولاته إلى بعض أقاليم العراق، وأقام هو بالكوفة، من أجل إعادة الأمور فيها إلى نصابها بعد أن عمتها الفوضى بسبب التمردات التي حدثت فيها، عند ذلك عزل عبدالله بن الزبير أخيه عن البصرة، وولاها لابنه حمزة، ولكن حمزة لم يظهر أي كفاءة في ولايته للبصرة التي امتدت سنة مما جعل أبيه يعزله، ويعيد مصعب إليها، وفي تلك الأثناء خرج عبدالملك في جيش من الشام قاصداً العراق، والتقى جيش عبدالملك بجيش مصعب في معركة غير متكافئة سنة ٧١هـ/ ٦٩١م في مكان يسمى (دير الجاثليق) بقرب مسكن [4] هزم فيها مصعب وقتل سنة ٧٢هـ/ ٦٩٢م بعد أن غدروا به أصحابه من أهل

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٥٠٦ ؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٣٢٢ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٣٤٦ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٣٠١ ؛ ماجد، التاريخ السياسي، ص ٩٦.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ٢١٤ ؛ ماجد، المرجع السابق، ص ٩٦.

(٣) الزبيري، نسب قريش، ص ١٧٩.

(٤) هو موضع على نهر دجيل، وبه قبر مصعب بن الزبير. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ١٢٧.

هزم فيها مصعب وقتل سنة ٧٢هـ/ ٦٩٢م بعد أن غدروا به أصحابه من أهل العراق وانفضوا عنه، وبذلك أعاد عبدالملك العراق إلى حظيرة الدولة الأموية (١).

بعد أن قضى عبدالملك على مصعب واسترد العراق، قرر التوجه لمحاربة عبدالله بن الزبير في الحجاز، وأوكل عبدالملك مهمة القضاء على ابن الزبير إلى الحجاج بن يوسف الثقفي (٢). ويذكر أن الحجاج هو الذي طلب من عبدالملك أن يوليه أمر القضاء على عبدالله بن الزبير، حيث قال لعبدالملك: " إني رأيت في منامي أني أخذت عبدالله بن الزبير فسلخته، فابعثني إليه، وولني قتاله " (٣).

جهز عبدالملك جيشاً كثيفاً لمواجهة ابن الزبير، وسار الحجاج على رأس الجيش سنة ٧٢هـ/٦٩١م، ونزل الطائف، وأقام فيها شهراً يعمل على مناوشة ابن الزبير في أطراف مكة، وبعد أن انقضى الشهر تقدم الحجاج إلى مكة، ونصب المجانيق على جبل أبي قبيس (٤)، وفي تلك الأثناء أرسل إليه عبدالملك خمسة آلاف مقاتل لتعزيز جيشه (٥).

حاصر الحجاج ابن الزبير في المسجد، وتولى الحجاج إمرة الحج في ذلك العام، وتوقف مؤقتاً عن القتال في موسم الحج، كذلك استطاع الحجاج استرداد المدينة المنورة من ابن الزبير، وهذا ساعده في تأمين مؤخرة جيشه. وحين طال الحصار على ابن الزبير، قرر الخروج وقتال الحجاج، وانتهى خروج ابن الزبير بأن سقط قتيلاً بعد أن انفض عنه الكثير من أنصاره، وكان مقتله في جمادي الآخرة من سنة ٧٣هـ/٦٩٢م، وحمل رأسه إلى عبدالملك، وصلب جسده. وأخذ الحجاج يرتب الأمور في مكة، وأخذ البيعة لعبدالملك (٦). وبذلك استطاع الحجاج أن يعيد الحجاز التي صمدت في وجه الخلافة الأموية منذ زمن يزيد بن معاوية، وقد حفظ عبدالملك للحجاج هذا الجميل، وعينه أميراً على العراق والمشرق كله.

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٣١٧ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٥١٩ ؛ عاقل، خلافة بني أمية، ص ١٥٣ ؛ خماش، خلافة بني أمية، ص ٥٢ ؛ Encyclopedia of Islam and the Muslim World. Edited by: Richard C. Martin, vol 1, (N.E), Thomson Gale, USA, 2003, P 223. (It's will pointed to later: Encyclopedia).

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ١٠٩.

(٣) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٥٣٠.

(٤) هو جبل مشرف على مسجد مكة. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٣٠٨.

(٥) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص ١١٨ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٣٤٨.

(٦) عاقل، المرجع السابق، ص ١٥٨ ؛ عبدالغفار، حسن. الحجاج بن يوسف الثقفي: دراسة تاريخية. ط١، مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٩٩. (سيشار إليه فيما بعد: عبدالغفار، الحجاج).

ج ـ البيعة للوليد وسليمان بولاية العهد:

تمت الإشارة سابقاً إلى أن مروان بن الحكم بايع لعبدالملك ومن ثم لعبدالعزيز من بعده، وولى عبدالعزيز مصر، ويروي الطبري عن الواقدي في حوادث سنة ٨٥هـ/٧٠٣م، أن عبدالملك أراد أن يخلع أخيه من ولاية العهد، إلا أن أحد رجاله وهو قبيصة بن ذؤيب نصحه بأن لا يخلعه، فلعل الموت يأتيه فيستريح منه [١].

وكما أن معاوية بن أبي سفيان ولى يزيد العهد بسبب تأثير بعض المقربين منه وعلى رأسهم المغيرة بن شعبة الثقفي، فإن عبدالملك ولى ابنيه العهد بعد أن وقع تحت تأثير بعض رجاله المقربين، وعلى رأسهم روح بن زنباع الجذامي، حيث يقول عنه الطبري بأنه " كان أجلّ الناس عند عبدالملك " [٢].

ولم يكن روح بن زنباع فقط وراء الإشارة على عبدالملك بتولية أحد أبنائه، بل كان للحجاج بن يوسف الثقفي دور في ذلك، إذ تشير رواية ابن الأثير إلى ذلك، ونصها كالتالي: " إن الحجاج كتب إلى عبدالملك يزّين له بيعة الوليد، وأوفد في ذلك وفداً... " [٣].

وقد نال الحجاج حظوة كبيرة عند الوليد بن عبدالملك حين آلت إليه الخلافة، وحفظ الوليد للحجاج هذا الجميل، وليس أدل على ذلك مما يشير إليه صاحب العيون والحدائق: " وقال الوليد يوماً: كان أبي يقول الحجاج جلدة ما بين عيني، وأنا أقول الحجاج جلدة وجهي " [٤].

ويروي البلاذري أن عبدالملك أرسل إلى أخيه: " إن رأيت أن تصيِّر هذا الأمر لابن أخيك ولدك " [٥]. فأبى فكتب إليه يسأله أن يجعلها للوليد من بعده، ويقول له: لولا أن

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٦٦٤ ؛ الجهشياري، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ/ ٩٤٢م). كتاب الوزراء والكتاب. تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط٢، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٣٤. (سيشار إليه فيما بعد: الجهشياري، كتاب الوزراء).

(٢) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٦٦٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص ٦٦٤ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٥١٣.

(٤) مؤلف مجهول (القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي). العيون والحدائق في أخبار الحقائق. ج٣، (د.ط)، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٧١م، ص ١٣: (سيشار إليه فيما بعد: مجهول، العيون والحدائق) ؛ فروخ، عمر. الحجاج بن يوسف الثقفي. (د.ط)، مطبعة الكتاب، بيروت، ١٩٤١م، ص١٤. (سيشار إليه فيما بعد: فروخ، الحجاج).

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ٢٥٣.

أن الوليد أعز الخلق على أمير المؤمنين لم يسألك هذا له، فكتب إليه: " إني أرى في أبي بكر بن عبدالعزيز مثل الذي ترى في الوليد " (١).

ويبدو أن عبدالعزيز قد أغضب عبدالملك بهذا الرد، وأن عبدالملك كتب إليه يطلب منه أن يرسل إليه خراج مصر، لكن عبدالعزيز استعطف أخيه وقال له: " يا أمير المؤمنين، إنا قد بلغنا سناً لم يبلغها أحد من أهل بيتك، إلا كان بقاؤه بعدها قليلاً، وإنا لا ندري أينا يأتيه الموت أولاً، فإن رأيت أن لا تغثث (٢) علي بقية عمري، فافعل " (٣). فرقّ (رحمه وحن عليه) عبدالملك له وتركه، وقال للوليد وسليمان: " إن يرد الله أن يعطيكما الخلافة، لا يقدر أحد من العباد على رد ذلك " (٤).

ويرى ذوقان أن عبدالملك لم يكن يعنيه ما يمكن أن يحدث من تجدد للصراع في الأسرة الأموية على السلطة إذا تمت عملية خلع عبدالعزيز، بقدر ما كان همه أن يجعل السلطة في أبنائه من بعده (٥).

وتتفق الباحثة مع ذوقان في رأيه، ولعل خير دليل يمكن أن يؤكد ذلك هو قول روح بن زنباع، حين أشار على عبدالملك بخلع عبدالعزيز، حيث قال: " لو خلعته ما انتطح فيه عنزان " (٦).

وساعدت وفاة عبدالعزيز بن مروان (٧) في فتح الطريق أمام عبدالملك لتحقيق هدفه في تولية ابنيه العهد، حيث أجمع عبدالملك على بيعة الوليد ومن ثم البيعة لسليمان من بعده، وكتب إلى الحجاج ليبايع لهما بالعراق، فلم يختلف عليه أحد، وبويع لهما بالشام ومصر واليمن، وكتب عبدالملك إلى هشام بن إسماعيل - عامله على المدينة المنورة - ليأخذ لهما البيعة من أهل المدينة (٨). ويذكر أنه حين أخذ هشام بن إسماعيل أهل

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ٢٥٣ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٦٦٥.

(٢) تغثث: تفسد. انظر: المنجد، ص ٥٤٥.

(٣) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص ٢٥٣.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٦٦٥ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٦٤٢.

(٥) ذوقان، ولاية العهد، ص ٦٧.

(٦) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٦٦٤ ؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٤، ص ٦٤٢.

(٧) يذكر ابن خياط وابن قتيبة أنها كانت سنة ٨٤هـ/ ٧٠٢م، ويذكر الطبري وابن الأثير أنها كانت في جمادي الأولى سنة ٨٥هـ/٧٠٣م، وترجح الباحثة الرأي الثاني، وذلك لأن الطبري يذكر أن عبدالملك اراد خلع عبدالعزيز من ولاية العهد سنة ٨٥هـ/ ٧٠٣م ولكن ما لبث عبدالعزيز أن توفي. انظر: ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص ١٨٣ ؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص ٢٢٢ ؛ الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٦٦٤ ؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٤، ص ٦٤٢.

(٨) ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٢٢.

المدينـة بالبيعـة، وجـد معارضـة مـن سـعيد بـن المسـيب [1] الـذي أبـى أن يبـايع لأميـرين، فضربه مائة سوط [2].

ويـذكر علـي عبابنـة " أن سـبب تعيـين سـليمان ولـي عهـد ثـانٍ يعـود إلـى تخـوف عبـدالملك، حيـث قـال: إنـا لـو تركنـا الوليـد وإياهـا لجعلهـا لبنيـه. فأشـار عليـه محمـد بـن يزيـد الأنصـاري بتعيـين سـليمان ولـي عهـد ثـانٍ... ويـذكر أيضـاً أن عبـدالملك طلـب مـن أولاده الوليـد وسـليمان ومسـلمة أن ينشـدوه أرق بيـت فـي الشـعر، فـأخفقوا فـأمهلهم ثلاثـة أيـام شـريطة أن لا يسألوا أحداً، وقال لهم: من أتاني به فله حُكمهُ، وسمع سليمان أعرابياً يقول:

لو حز بالسيف رأسي في مودتها   لمال يهوي سريعاً نحوها رأسي

فقال سليمان هذا البيت، فكان سبب توليته العهد " [3].

ومـن الملاحـظ هنـا أن عبـدالملك سـار علـى نفـس الخطـوة التـي سـار عليهـا أبيـه مـن قبـل فـي مسـألة التفكيـر فـي خلـع ولـي العهـد الشـرعي وتوليـة ابنيـه، ولكـن الظـروف وقفـت إلـى جانبه، عندما توفي أخيه قبل أن يعزله.

وهـذا نهـج جديـد لـم تشـهده الدولـة الإسـلامية مـن قبـل، ويمكـن ملاحظتـه بصـورة جليـة لأول مـرة فـي عهـد الخليفـة عبـدالملك بـن مـروان، إذ أصـبح الخليفـة يفضـل أبنائـه علـى إخوتـه فـي مسـألة توريـث الخلافـة، وسيسـير بعـد ذلـك كـل أبنـاء عبـدالملك علـى هـذا الـنهج الـذي نهجه أبيهم.

وبـذلك يمكـن القـول أن محـاولات الخلـع التـي شـهدها الـبلاط العباسـي فيمـا بعـد للكثيـر مـن أوليـاء العهـد الجـديرين بتـولي الخلافـة مـن أمثـال: عيسـى بـن موسـى وغيـره، ليسـت وليـدة القرن الثاني الهجري بل تمتد جذورها إلى العقد السابع من القرن الأول الهجري.

وممـا سـبق يتضـح أيضـاً بصـورة جليـة أن مسـألة توليـة ولـي عهـد الخلافـة غـدت أحـد التقاليـد، التـي يجـب أن لا يغفلهـا الخليفـة، ومـن ذلـك الوقـت صـار كـل خليفـة يسـمي ولـي عهـده، بـل يمكـن ملاحظـة أن نظـام ولايـة العهـد منـذ ظهـوره فـي الدولـة الإسـلامية سـنة ٥٦هـ/ ٦٧٥م حتى هذا الوقت ٨٥هـ/ ٧٠٣م، اتخذ صوراً متعددة منها:

---

(١) أحد فقهاء المدينة السبعة، توفي سنة ٩٤هـ/ ٧١٢م. انظر: المنجد، ص ٣٠١.

(٢) ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص ١٨٣.

(٣) عبابنة، علي إبراهيم. خلافة سليمان بن عبدالملك ٩٦ـ ٩٩هـ رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٦م، ص٥٣. (سيشار إليه فيما بعد: عبابنة، خلافة سليمان).

- تعيين أحد أفراد الأسرة الأموية القديرين، ولا يشترط أن يكون أخ أو ابن الخليفة، وهذا اتضح في مؤتمر الجابية، وكيفية انتقال السلطة من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني.
- تولية العهد لأكثر من واحد، كما هو الحال بالنسبة لمروان حين وعد خالد بن يزيد وعمرو بن سعيد الأشدق ومن ثم عزلهم وتعيين ولديه، وكذلك عبدالملك حين عين الوليد وسليمان.
- محاولات الخليفة خلع ولي العهد السابق، واستبداله بآخرين، وتأثير بعض المقربين من الخليفة عليه في تعيين أحد أبنائه بدلاً من ولي العهد الشرعي، ولكن الملاحظ أن القرار في الأول والأخير يظل قرار الخليفة وحده.

ويقول ذوقان أن " لجوء المروانيين إلى تعيين أشخاص أولياء عهد للخليفة يوضح مدى تخوفهم من نشوب الخلاف بين أهل الحل والعقد في حال فراغ منصب الخلافة، كما حصل عند وفاة معاوية بن يزيد، إضافة إلى اتجاه مروان وعبدالملك إلى عزل أولياء عهدهم من أجل تولية أبنائهم يشير إلى استمرار الصراع على منصب الخلافة داخل الأسرة الأموية أيضاً، وإن هذه الخلافات كانت ستنعكس بشكل مباشر أو غير مباشر على الأمة الإسلامية، ولتلافي هذا الخطر لجأ المروانيون إلى تهميش دور أهل الحل والعقد في بلاد الشام ودور البيت الأموي، وأصبح الخليفة يقوم باختيار وتنصيب أولياء عهده، وأخذ البيعة الخاصة لهم، وبذلك أنهى عبدالملك ومن بعده من الخلفاء الشورى داخل الأسرة الأموية، ولدى أهل الحل والعقد في بلاد الشام، وبذلك أصبحت البيعة الخاصة شكلية وتشبه إلى حد كبير البيعة العامة، وبذلك تراجع دور الأمة كلياً في اختيار الخليفة، وتحولت الخلافة إلى ملك عضوض " (١).

وهنا لابد من الإشارة إلى ما يردده بعض المؤرخين المحدثين من أن الخليفة عبدالملك بايع لأربعة من أبنائه على التوالي: الوليد، سليمان، يزيد، وهشام. ولكن الطبري يشير إلى أن عبدالملك كان قد أخذ على الوليد وسليمان أن يبايعا لابن عاتكة (يزيد بن عبدالملك) (٢) ولمروان بن عبدالملك من بعده، ولكن مروان بن عبدالملك مات في خلافة أخيه سليمان (٣).

---

(١) ذوقان، ولاية العهد، ص ٦٨.

(٢) أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية. انظر: ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص ٢٠٦.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٤٩.

ويذكر ابن عبد ربه ما يؤيد قول الطبري السابق، وذلك أنه حين حضرت سليمان بن عبدالملك الوفاة، " قال رجاء بن حيوة: قال لي سليمان: إلى من ترى أن أعهد؟ فقلت: إلى عمر بن عبدالعزيز! قال: كيف نصنع بوصية أمير المؤمنين بابني عاتكة من كان منهما حياً؟ " [1].

ومما سبق نستدل على أن عبدالملك بن مروان كان قد أوصى بولاية العهد بعد الوليد وسليمان، لابني عاتكة بنت يزيد بن معاوية وهما يزيد ومروان ابني عبدالملك بن مروان، ذلك أن عبدالملك بن مروان كان قد تزوج من عاتكة وأنجب منها: يزيد، مروان الأصغر، معاوية، أم كلثوم [2].

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص ١٦٣.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٦٦٨.

٣. ولاية العهد في زمن الوليد بن عبدالملك (٨٦- ٩٦هـ/ ٧٠٤- ٧١٤م).

بويع الوليد بن عبدالملك بالخلافة بعد وفاة أبيه في الخامس عشر من شوال سنة ٨٦هـ/ ٧٠٤م، ويذكر ابن الأثير أن عبدالله بن همام السلولي، كان أول من بايع الوليد بالخلافة، وهو يقول:

الله أعطاك التي لا فوقها وقد أراد الملحدون عوقها

عنك ويأبى الله إلا سوقها إليك حتى قلدوك طوقها [١]

تسلم الوليد ملكاً وطيد الأركان بعد أن أخضع له أبيه رقاب الناس، وقضى على الثورات التي يمكن أن تعكر صفو خلافته. وتميزت فترة حكم الوليد بكثرة التوسعات بسبب حركة الفتوحات الإسلامية، وذلك نظراً لوجود قادة عظام استطاعوا تحقيق انتصارات هائلة حتى بلغت الدولة الإسلامية آنذاك أوج اتساعها، وكذلك تميز عهد الوليد بكثرة المنجزات العمرانية والخدمات الاجتماعية في داخل الدولة نفسها [٢].

أما فيما يتعلق بمسألة الاستخلاف والعهد، فإن الوليد لم يكن راضٍ عن تولية أخيه سليمان الخلافة من بعده بناء على وصية أبيه، فقد سار الوليد على خطى سابقيه وفكر في تولية العهد لابنه عبدالعزيز [٣].

ويذكر أن جريراً، قال مشجعاً الوليد على ذلك:

إذا قيل أي الناس خير خليفة؟ أشارت إلى عبدالعزيز الأصابع

رأوه أحق الناس كلهم بها وما ظلموا، فبايعوه وسارعوا [٤]

ويقول جرير أيضاً، محرضاً الوليد على البيعة لعبدالعزيز:

أحن إذا نظرت إلى سهيل وعند اليأس ينقطع الرجاء

سنذكركم وليس إذا ذُكرتم بنا صبرٌ، فهل لكم لقاء

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٥٢١.

(٢) عاقل، خلافة بني أمية، ص ١٩٥.

(٣) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٥، ص ٥.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٣٤.

فمــــاذا تنتظـــــرون وفيكـــم　　جَسورٌ بالعظـائم واعتــلاء
إلـــى عبدالعزيز سمت عيون　　الرعية، إن تخيرت الرعـاء
وقالوا أولو الحكومة من قريش　　علينا البيع إذ بلـــغ الغـلاء
رأوا عبدالعزيز ولـــي عهــدٍ　　وما ظلموا بذاك ولا أساءوا
فإن الناس قــد مــدوا إليـــه　　أكفهم، وقد بـــرح الخفاء
ولـــو قــد بايعوك ولـي عهدٍ　　لقام القســـط واعتدل البناء [(١)]

وربمـا كـان قـرار الوليـد هـذا بسـبب تحـريض بعـض خواصـه مثـل الحجـاج بـن يوسـف الثقفـي الـذي كـان يحقـد علـى سـليمان بـن عبـدالملك الـذي تحـداه بإيوائـه ليزيـد بـن المهلـب بعـد أن عـزل عـن خراسـان، وهـرب مـن سـجنه بـالعراق، حيـث أن ابـن المهلـب هـرب سـنة ٩٠هـ/ ٧٠٨م مـن سـجن الحجـاج، وتوجـه إلـى فلسـطين قاصـداً سـليمان الـذي كـان يقـيم بالرملـة أثنـاء خلافـة أخيـه، وقـد احتفـى سـليمان بيزيـد وأكرمـه، وتوسـط لـه عنـد أخيـه، فعفـا عنه [(٢)].

وكتـب الخليفـة الوليـد إلـى عمالـه علـى الأقـاليم برغبتـه فـي إقصـاء سـليمان عـن ولايـة العهـد واسـتبداله بابنـه عبـدالعزيز، وعلـم سـليمان بـذلك فـأبى أن يخلـع نفسـه، وكـذلك عـرض عليـه الوليـد عـرض آخـر وهـو أن يجعـل عبـدالعزيز وليـاً لعهـده فـرفض سـليمان، وعـرض عليـه الوليـد أمـوالاً كثيـرة فـرفض، ولـم يجـب الوليـد أحـد إلا الحجـاج بـن يوسـف الثقفـي، وقتيبـة بـن مسـلم البـاهلي، ومحمـد بـن القاسـم الثقفـي، وموسـى بـن نصـير وخـواص مـن النـاس، وهنـا كتـب الوليـد إلـى سـليمان يـأمره بالقـدوم إليـه مـن فلسـطين، وكـان سـليمان واليـاً عليهـا، فأبطـأ سـليمان، وعـزم الوليـد علـى المسـير إليـه ليخلعـه، لكنـه مـات قبـل أن يسـير إليه [(٣)].

---

(١) الخطفي، جرير بن عطية (ت ١١٤هـ/ ٧٣٢م). ديوان جرير. ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٥٨م، ص ١٣. (سيشار إليه فيما بعد: الخطفي، ديوان جرير).

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٦٨٤ ؛ عاقل، خلافة بني أمية، ص ٢٣٩ ؛ ماجد، التاريخ السياسي، ص ١٩٥.

(٣) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٣٠ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ١١ ؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م). مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة. تحقيق: نبيل أحمد، (د. ط)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٨٤. (سيشار إليه فيما بعد: ابن تغري بردي، مورد اللطافة) ؛ خريسات، الدولة الأموية، ص ٢٣٠.

٤. ولاية العهد في زمن سليمان بن عبدالملك (٩٦- ٩٩هـ/ ٧١٤- ٧١٧م).

بويع سليمان بن عبدالملك بالخلافة بعد وفاة أخيه الوليد في الخامس عشر من جمادي الآخرة سنة ٩٦هـ/ ٧١٤م، وذلك تنفيذاً لوصية أبيهما، وقد عمل سليمان عند استلامه الخلافة على تنفيذ ما كان قد اعتزمه أخيه من تجهيز حملة لحصار القسطنطينية [١].

أما بالنسبة لولاية العهد في زمن الخليفة سليمان، فسيتم التطرق إليها من خلال النقاط التالية:

أ ـ سياسة سليمان الانتقامية:

لقد كونت محاولات الوليد في إقصاء سليمان من ولاية العهد نوعاً من الرغبة في الانتقام لدى سليمان من كل الذين كان يؤيدون قرار إقصائه، وظهرت نتائج تلك الرغبة الانتقامية فور تسلم سليمان الخلافة [٢]، ومن الأشخاص الذين كان سليمان يضغن عليهم ما يلي:

١. الحجاج بن يوسف الثقفي.

رغم أن الحجاج بن يوسف توفي سنة ٩٥هـ/ ٧١٣م أي قبل تولي سليمان بن عبدالملك الخلافة، إلا أن الحديث عن سياسة سليمان الانتقامية من كل ممن أيد الخليفة الوليد في قرار إقصائه تتطلب منا التطرق لعلاقة سليمان بالحجاج في خلافة الوليد.

ولم يكن سليمان راضياً عن سياسة أخيه الوليد الذي فوض إلى الحجاج سلطات واسعة، وأفرط في الاعتماد عليه، وكان سليمان بالمقابل يحب يزيد بن المهلب عدو الحجاج وسجينه، وتمت الإشارة آنفاً إلى أن يزيد بن المهلب هرب إلى سليمان في الرملة، وبقي يزيد في ضيافة سليمان مدة تسعة أشهر، " رسما أثناءها الخطط وعملا على مناوئة الحجاج " [٣].

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٢٨.

(٢) فوزي، الخلافة الأموية، ص ١٠٩.

(٣) عاقل، خلافة بني أمية، ص ٢٣٩.

ويبدو أن الحجاج كان يتوقع أن ينتقم منه سليمان إذا تولى الخلافة بعد أخيه؛ لذلك بذل كل جهوده في محاولة إقصاء سليمان عن ولاية العهد، ويذكر أن الحجاج كان يدعو الله أن يميته في خلافة الوليد حتى لا يصيبه سوء على يد عدوه سليمان، وقد استجاب الله لدعاء الحجاج وأنقذه من سليمان، حيث مات في الخامس والعشرين من رمضان سنة ٩٥هـ/٧١٣م آخر خلافة الوليد بن عبدالملك. ولكن سليمان ظل ينصب العداء لكل من له علاقة بالحجاج، والدليل على ذلك أنه أمر بعزل والِ المدينة المنورة عثمان بن حيان المري، و والِ مكة خالد بن عبدالله القسري، وكلاهما كانا من رجال الحجاج وصحابته [١].

وهنا يمكن ملاحظة أن العصبية القبلية كان لها دور في السياسة في فترة الوليد وسليمان ابني عبدالملك، ذلك أن الوليد كان يميل للحجاج وآل الحجاج وهم قيسية، في حين أن سليمان يميل للكتلة الأخرى آل المهلب، وهم يمانية [٢].

٢. قتيبة بن مسلم الباهلي.

كما هو معلوم أن قتيبة بن مسلم الباهلي، هو من كبار قادة الفتح في المشرق الإسلامي، فكانت لقتيبة فتوحات مشرفة في خراسان سنة ٨٦هـ/ ٨٠٤م، وما وراء نهر جيحون في سنة ٨٧هـ/ ٨٠٥م، حتى وصلت فتوحاته إلى مشارف الصين سنة ٩٦هـ/٧١٤م [٣].

وكان قتيبة ممن أيد الوليد في قرار بيعته لابنه عبدالعزيز كولي للعهد، لذلك ما إن سمع قتيبة بموت الوليد حتى خاف من انتقام سليمان، وكذلك خاف من أن يعزله من خراسان ويولي بدلاً منه يزيد بن المهلب، فأرسل إليه يهنئه بالخلافة، ويعزيه بوفاة أخيه، ويعرفه بلاءه في خراسان وفتوحه وطاعته لعبدالملك والوليد، وأنه على مثل ذلك من الطاعة والنصيحة إن لم يعزله عن خراسان [٤].

---

(١) ابن اعثم، ابي محمد احمد الكوفي (ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م). كتاب الفتوح. ج٧، ط١، دار الندوة الجديدة، بيروت، (د. ت)، ص ٢١٧. (سيشار إليه فيما بعد: ابن اعثم، الفتوح) ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٢٦ ؛ عاقل، خلافة بني أمية، ص ٢٤٠ ؛ شعبان، صدر الإسلام، ص ١٣٤ ؛ خماش، خلافة بني أمية، ص ٧١ ؛ بطاينة، محمد ضيف الله. العصبية القبلية والأحداث التاريخية في عصر بني أمية. (بحث غير منشور)، ص ٣٠. (سيشار إليه فيما بعد: بطاينة، العصبية القبلية).

(٢) شعبان، المرجع السابق، ص ١٤٦.

(٣) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٣٠ ؛ السري، أحمد علي. نهاية الفاتح قتيبة بن مسلم. المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مجلد ٢٢، العدد ٨٦، الكويت، ٢٠٠٤م، ص ٩٢. (سيشار إليه فيما بعد: السري، نهاية الفاتح).

(٤) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٣٤ ؛ مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص ٢٣ ؛ السري، المرجع السابق، ص ٩٨.

ويذكر الطبري في رواية عن علي بن محمد، أن قتيبة بن مسلم أرسل إلى سليمان كتاباً آخر " يعلمه فيه فتوحه، ونكايته (قتله الأعداء وإثخانه فيهم) وعظم قدره عند ملوك العجم، وهيبته في صدورهم، وعظم صوته فيهم، ويذم المهلب وآل المهلب، ويحلف بالله لئن استعمل يزيد على خراسان ليخلعنه" (١) ثم كتب كتاباً ثالثاً فيه خلعه (٢).

ودعا قتيبة جنده للخروج على سليمان، فوافقه بعضهم، وخالفه البعض، كما خالفه بنو تميم، وانتهى أمره بتآمر جماعته عليه، وقتلهم إياه سنة ٩٦هـ/٧١٤م، وأرسلوا رأسه إلى الخليفة في دمشق (٣).

ويبدو أن جند قتيبة رفضوا الخروج على الخليفة سليمان؛ بسبب أن القبائل (٤) في خراسان آثرت أن لا تغضب الخلافة بالانضمام إلى قتيبة ودعم ولايته (٥). وبذلك كانت تلك النهاية المأساوية لهذا القائد العظيم.

ولكن حين يتم استعراض قضية قتل قتيبة بن مسلم نطرح تساؤل: لماذا تعجل قتيبة وخلع الخليفة قبل أن يعزله عن ولاية خراسان؟ وهل الخليفة سليمان أقر قتيبة على ولايته أم كان يفكر في عزله؟

وللإجابة على السؤال نذكر ما قاله أحمد السري في هذا الموضوع: " الراجح ... أن الخليفة قد أشاع رغبته في إقرار قتيبة على خراسان لثنيه عن أي تمرد محتمل، ثم أشاع عبر أعوانه وعيونه إذنه للناس بالعودة من الغزو، ومنحهم أعطياتهم لإفراغ معسكر قتيبة من مادة التمرد، كما لا بد من ترجيح أن الخليفة سليمان لم يعجل في أمر قتيبة، وأخذ يتعرف أكثر فأكثر على طبيعة معسكر قتيبة حتى اطمأن... ولما تأكد الخليفة قرر عزل قتيبة برفق أيضاً، مسبباً العزل بالرغبة في إسدال الستار على زمن الحجاج وبطشه " (٦). ومما سبق يمكن القول أن قتيبة خلع الخليفة بناءاً على بوادر من من الخليفة عندما فكر في عزله عن خراسان.

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص ٣٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص ٣٥ ؛ ابن أعثم، الفتوح، ج٧، ص ٢٦٥ ؛ عاقل، خلافة بني أمية، ص ٢٤٠.

(٤) كان الجيش آنذاك مقسم على أساس القبائل أو ما يعرف بـ الأمة المقاتلة، حيث لم يكن مفهوم الجيش النظامي المحترف قد ظهر في تلك الفترة.

انظر: فوزي، تاريخ النظم، ص ٤٢٣.

(٥) السري، نهاية الفاتح، ص ١٠٧.

(٦) المرجع نفسه، ص ١٠٦.

٣. محمد بن القاسم الثقفي.

عندما تولى سليمان الخلافة أمر بعزل محمد بن القاسم، فاتح السند، على الرغم من أنه لم يقم بفتنة، ولكن لأنه كان من أقرباء الحجاج وعامله، بل جعل يزيد بن أبي كبشة السكسكي يعذب محمد بن القاسم بأن قيده وحمله إلى واسط وسجن هناك ثم قتل على يد صالح بن عبدالرحمن الذي كان يتولى خراج العراق لسليمان بن عبدالملك، وكان الحجاج بن يوسف قد قتل أخاً لصالح يسمى آدم (١).

ويذكر أن محمد بن القاسم حين سجن، قال متمثلاً بأبيات منها (٢):

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

٤. فاتحي المغرب والأندلس.

بالإضافة إلى ما سبق، فإنه يؤخذ على سليمان أنه أساء معاملة قواد المغرب والأندلس مثل: طارق بن زياد، وموسى بن نصير مع أنهما لم يكونا من عمال الحجاج، ولكن ربما حقد عليهم كما يقول عبدالمنعم ماجد، بسبب " أنهم أقاموا مواكب النصر في عهد سلفه، وكان يريدها لنفسه " (٣).

فطارق بن زياد لم نسمع له ذكراً في زمن سليمان، وانتقم الخليفة سليمان من موسى بن نصير بأن حبسه، وأساء معاملته بأن كان يأمره بالوقوف في الشمس حتى يغشى عليه، واستمر كذلك حتى توفي سنة ٩٧هـ/٧١٥م (٤).

كذلك قتل سليمان عبدالعزيز بن موسى بن نصير، وكان أباه قد تركه في الأندلس، وعاد إلى الشام، فقتل وهو يصلي في المسجد سنة ٩٧هـ/ ٧١٥م وحمل رأسه إلى أبيه في سجنه (٥).

---

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م). فتوح البلدان. (د. ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٤٢٤. (سيشار إليه فيما بعد: البلاذري، فتوح البلدان) ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٤٤ ؛ عاقل، خلافة بني أمية، ص ٢٤٠.

(٢) البلاذري، المصدر السابق، ص٢٤٢.

(٣) ماجد، التاريخ السياسي، ص ١٩٦.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢٤ ؛ ماجد، المرجع السابق، ص ١٩٦.

(٥) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٥، ص ٢٠.

أما بالنسبة للأسباب التي دعت سليمان لقتل عبدالعزيز، فهي [1]:

- أنه خلع سليمان واستبد بالأمر.
- أو لسخط سليمان على أبيه موسى.
- أو لأن عبدالعزيز تزوج من أحد ملكات النصارى فحملته على أن يحسن معاملة النصارى، وأن يلبس التاج، فاعتقد المسلمين أنه تنصر وقتلوه.

كذلك عزل سليمان عبدالله بن موسى بن نصير - والِ أفريقية - عن ولايته في نفس العام الذي قتل فيه عبدالعزيز [2].

ومما سبق يتضح مدى تأثير قادة الفتوحات الإسلامية على مسألة العهد والاستخلاف، وكذلك لعبت العصبية القبلية وميل الخليفة إلى أحد الكتلتين اليمانية أو القيسية دور في إثارة النزاعات بين كبار رجال الدولة، وانتهاز بعضهم الفرصة للانتقام من خصومه من الكتلة المعادية له.

كذلك نلاحظ أن السياسة الانتقامية للخليفة سليمان أدت إلى أن أفقدت الدولة كبار قادة الفتوحات الإسلامية، وهذا مما لا شك فيه سيؤثر على حركة الفتوح الإسلامية، وسيقلل من اتساع رقعة الدولة الأموية، بالإضافة إلى أن الخليفة سليمان بتصرفه هذا أساء إلى هؤلاء الأشخاص الذين قضوا جلّ أعمارهم في الثغور دفاعاً عن الدولة الإسلامية، وكان الأجدر به أن يكافئهم على جهودهم تلك بدلاً من أن يعرضهم لتلك النهاية المأسوية.

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص ٢٠.

٥. تولية الخلافة لعمر بن عبدالعزيز سنة ٩٩هـ/٧١٧م.

سار الخليفة سليمان بن عبدالملك على نهج سابقيه في مسألة ولاية العهد، فقد بايع لابنه أيوب، مخالفاً بذلك وصية والده بأن تبقى الخلافة في أبناء عبدالملك، إلا أن وفاة أيوب في سنة ٩٨هـ/ ٧١٦م حالت دون تحقيق هدف سليمان، وأراد سليمان أن يجعلها لابنه داؤود، ولكن حان أجل سليمان قبل عودة داؤود من حصار القسطنطينية أو ربما لأن داؤود ابن أم ولد، وكان بنو أمية لا يولون الخلافة أبناء الإماء " ويكرهون ذلك؛ لأنه شاع بينهم أن ملكهم يذهب على يد خليفة منهم أمهُ أمة" [١] ولهذا لجأ سليمان إلى استخلاف ابن عمه عمر بن عبدالعزيز، ومن بعده أخيه يزيد بن عبدالملك [٢].

ويورد الطبري في حوادث ٩٩هـ/٧١٧م، نص كتاب البيعة، وهو: " بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عبدالله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبدالعزيز، إني قد وليتك الخلافة من بعدي، ومن بعده يزيد بن عبدالملك، فاسمعوا له وأطيعوا، واتقوا الله ولا تختلفوا فيُطمع فيكم " [٣].

ويذكر أن اختيار عمر بن عبدالعزيز لمنصب الخلافة كان بفعل مشورة أحد الرجال الصالحين على الخليفة سليمان، وهو رجاء بن حيوة الكندي، وهو أحد فقهاء الشام، وكان من مؤدبي سليمان بن عبدالملك [٤]، وهو الذي أشار على سليمان بتولية عمر بن عبدالعزيز العهد من بعده. وعلى الرغم من أن هشام بن عبدالملك عارض أول الأمر إلا أنه قبل بعد ذلك وبايع لعمر [٥].

ويقول العقيلي: " ... أن عدم وجود نظام واضح تتحدد بموجبه المعايير لتولي منصب الخلافة أو حتى ولاية العهد عند بني أمية، هو الذي دفع هشام بن عبدالملك لأن يقف هذا الموقف، وذلك لخشيته من أن يذهب منصب الخلافة بعيداً عن أبناء عبدالملك بن

---

(١) العقيلي، أسلوب تعاقب بني أمية، ص ١٥.

(٢) ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ// ١٠٦٤م). جمهرة أنساب العرب. تحقيق: عبدالسلام هارون، ط٥، دار المعارف، القاهرة، (د. ت)، ص ٩١. (سيشار إليه فيما بعد: ابن حزم، جمهرة) ؛ عاقل، خلافة بني أمية، ص ٢٤٥ ؛ ذوقان، ولاية العهد، ص ٦٩.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٥٩ ؛ مجهول، العيون والحدائق، ج٤، ص٢.

(٤) الصرايرة، سليمان سالم. التكوين الثقافي لعبدالملك بن مروان وولديه الوليد وسليمان (٦٥- ٩٩هـ). مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة البحوث الإنسانية والاجتماعية، مجلد ٢٥، العدد ٥، الأردن، ٢٠١٠م، ص ٨٨. (سيشار إليه فيما بعد: الصرايرة، التكوين الثقافي).

(٥) ابن عبدالحكم، ابي محمد عبدالله (ت ٢١٤هـ/ ٨٢٩م). سيرة عمر بن عبدالعزيز. تحقيق: أحمد عبيد، ط٦، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٤م، ص٣٥. (سيشار إليه فيما بعد: ابن عبدالحكم، سيرة عمر) ؛ الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٩٩.

مروان، ولكن لعله اطمأن عندما عرف أن أخاه يزيد بن عبدالملك قد عُين ولي عهد لعمر بن عبدالعزيز " (١).

ويذكر أيضاً أن عبدالعزيز بن الوليد، كان غائباً حين مات الخليفة سليمان، فلما بلغه خبر موت سليمان، ولم يعلم بعد ببيعة عمر بن عبدالعزيز، عقد لواء ودعا إلى نفسه، ثم علم ببيعة عمر، فقدم إليه، " فقال له عمر: لو بايعت وقمت بالأمر لم أنازعك فيه ولقعدت في بيتي. فقال عبدالعزيز: ما أحب انه ولي هذا الأمر غيرك، وبايعه " (٢).

ومن هنا يتضح جلياً أن بعض بني أمية ومنهم عبدالعزيز بن الوليد، كانوا راضين عن عمر بن عبدالعزيز، وربما يكون ذلك بسبب سيرته الحسنة وأعماله الطيبة في الفترة التي تولى فيها إمرة المدينة (٣)، أو ربما لأنهم رأوا أنه له الحق في الخلافة بعد أن كاد أن يحرم منها أبيه من قبل، أو حتى ربما لأنه ليس هناك أحد من بني أمية في ذلك الوقت من يتصف بمواصفات فذة لتولي هذا المنصب بحيث يكون أجدر من عمر بتولي الخلافة.

ويمكن ملاحظة أيضاً أن الخلافة الأموية تداولوها بينهم سواء أكان من الأب إلى أبنائه، أو من الأخ لأخيه، أو حتى بين أبناء العمومة شريطة أن لا تخرج من البيت الأموي.

وهنا يمكن طرح سؤال: لماذا تم استبعاد مسلمة بن عبدالملك من ولاية العهد رغم المقدرة العسكرية والإدارية الفائقة التي تميز بها هذا الشخص؟!

للإجابة على هذا السؤال، يجب استعراض التقاليد التي اتبعها بنو أمية في مسألة الاستخلاف، وترى الباحثة أن أفضل جواب للتساؤل السابق هو أقوال كل من: نبيه عاقل، ومحمد كرد علي في هذا الموضوع، حيث يقول عاقل: "... وكان التقليد حتى

---

(١) العقيلي، أسلوب تعاقب بني أمية، ص ١٦ ؛ خريسات، الدولة الأموية، ص ٢٣٨ ؛ الشرقاوي، عبدالرحمن. عمر بن عبدالعزيز. ط١، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ١٠٤. (سيشار إليه فيما بعد: الشرقاوي، عمر).

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٤١.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن ولاية عمر على الحجاز. انظر: ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م). سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز. تحقيق: السيد الجميلي، (د. ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٥٧. (سيشار إليه فيما بعد: ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر) ؛ الزحيلي، وهبة. الخليفة الراشد العادل عمر بن عبدالعزيز. ط٢، دار قتيبة، دمشق، ١٩٩٢م، ص ١١٩. (سيشار إليه فيما بعد: الزحيلي، الخليفة الراشد) ؛ طراوة، حجاز علي. إمارة عمر بن عبدالعزيز على المدينة المنورة. ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٥٣. (سيشار إليه فيما بعد: طراوة، إمارة عمر).

الآن أن لا يكون المُلك لابن جارية... وهذا مسلمة بن عبدالملك رغم بلائه وبطولاته لم يستطع أن يصل إلى العرش لأنه ابن جارية... " [1].

ويقول محمد كرد علي في ذلك: " ولولا أنه ابن أمة لكان من المتحتم أن يجلس على عرش الخلافة الأموية كسائر إخوته الأجلاء الذين بيضوا وجه التاريخ الأموي والإسلامي بأعمالهم الجليلة " [2].

وذلك لأن بنو أمية كانوا لا يبايعون لأبناء أمهات الأولاد، وفيما سبق تمت الإشارة إلى هذا الموضوع عندما أستبعد سليمان ابنه داؤود من ولاية العهد. وترى بدرية النبهاني أن استبعاد أبناء أمهات الأولاد ليس استهانة بهم ولكن لأن بنو أمية كانوا يرون زوال ملكهم على يد ابن أمة [3].

وتتفق الباحثة مع بدرية النبهاني في قولها أن بني أمية كانوا يرون زوال ملكهم على يد ابن أمة لذلك لا يولون أبناء أمهات الأولاد، وبالمقابل تختلف معها في وجهة نظرها التي تقول أن استبعاد أبناء أمهات الأولاد ليس استهانة بهم؛ وذلك لأن هذا التقليد لم يكن حصراً على دولة بني أمية؛ فالدولة العباسية في بداياتها كانت تستبعد أبناء أمهات الأولاد وليس أدل على هذا من وصية إبراهيم الإمام بالإمامة من بعده لأبي العباس السفاح دون أبي جعفر المنصور رغم أن المنصور أكبر سناً من السفاح، وذلك لأن أبي جعفر أمه بربرية، في حين أن أم السفاح عربية [4].

ولم يكن داؤود بن سليمان ومسلمة بن عبدالملك هما فقط اللذان استبعدا من ولاية العهد الأموية لنفس السبب، بل كان العباس بن الوليد أيضاً أحد أبناء الإماء الذين حرموا من الخلافة في العهد الأموي، رغم مقدرته وكفاءته العسكرية [5].

أما بالنسبة ليزيد بن عبدالملك فقد تمت الإشارة آنفاً إلى أن عبدالملك كان قد أخذ على الوليد وسليمان أن يبايعا لابن عاتكة (يزيد بن عبدالملك) ولمروان بن عبدالملك من

---

(١) عاقل، خلافة بني أمية، ص ٣٣٧.

(٢) علي، محمد كرد. مميزات بني أمية. مجلة المجمع العلمي العربي، ج ١٠، دمشق، ١٩٤١م، ص ٤٥١. (سيشار إليه فيما بعد: علي، مميزات بني أمية).

(٣) النبهاني، بدرية محمد شامس. مسلمة بن عبدالملك بن مروان (٦٣- ١٢١هـ). رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة السلطان قابوس، مسقط، ٢٠٠٧م، ص ٣٢. (سيشار إليه فيما بعد: النبهاني، مسلمة).

(٤) فوزي، فاروق عمر. العباسيون الأوائل. ج٢، ط١، دار مجدلاوي، عمان، ٢٠٠٣م، ص ٥٥٦. (سيشار إليه فيما بعد: فوزي، العباسيون).

(٥) خريسات، الدولة الأموية، ص ٢٦٦.

بعده، ولكن مروان بن عبدالملك مات في خلافة أخيه سليمان، ويورد الطبري أن سليمان امتنع عن بيعة يزيد " وتربص به ورجا أن يهلك " [1].

ولا ندري مدى صحة تلك الرواية، وهل بالفعل أمسك سليمان عن بيعة أخيه بولاية العهد وأرادها لعمر بن عبدالعزيز أكثر من يزيد، أم أن هناك سبب منع سليمان من ذلك؟! وربما يكون ذلك السبب هو أن يزيد كان مرافقاً لأخيه مسلمة في حملة حصار القسطنطينية، وذكر ابن الأثير أن يزيد كان غائباً في الموسم [2]، وأغلب الظن أن يزيد كان غائباً فعلاً وذلك لأن الخليفة سليمان ما كان ليخالف وصية أبيه، رغم أنه كان قد حاول محاولات لأن يجعل الخلافة لأحد أبنائه، إلا أن الظروف حالت دون ذلك، ولذلك عهد بالخلافة من بعده لعمر ومن ثم لأخيه يزَيد [3].

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٤٩.

(٢) لا ندري اي موسم يقصد ابن الأثير، وربما يكون قصده حصار القسطنطينية، لأن أمير الحج في سنة ٩٨هـ/٧١٦م هو عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد، وليس يزيد بن عبدالملك، مع العلم أن وفاة سليمان كانت في شهر صفر من سنة ٩٩هـ/ ٧١٧م وهذا يعني أن الوقت آنذاك لم يحن بعد موسم الحج لسنة ٩٩هـ/ ٧١٧م. انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٣٤ ؛ الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٥٦.

(٣) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٥٩ ؛ مجهول، العيون والحدائق، ج٤، ص٢.

٦. ولايـــة العهــــد فــي زمــن يزيــد بــن عبــدالملك (١٠١ــ ١٠٥هـ/ ٧١٩ـ ٧٢٣م).

توفي عمر بن عبدالعزيز في دير سمعان من أعمال حمص في الخامس والعشرين من رجب سنة ١٠١هـ/ ٧١٩م، ويذكر أنه مات مسموماً [1]. وكانت سيرته مرضية حيث " قام بأعباء الخلافة قياماً محموداً، وتحرى العدل والإقتداء بعمل عمر بن الخطاب، فافتتح خلافته بأن نصب نفسه للمظالم، وبدأ ببني أمية، وانتزع كثيراً مما كان في أيديهم من الأموال..." [2].

ومن الملاحظ أن الخليفة عمر بن عبدالعزيز رغم سيرته المحمودة، إلا أنه ألتزم بوصية سليمان في تولية يزيد بن عبدالملك العهد من بعده، رغم التناقض الواضح بين شخصية كلا الرجلين، حيث أن يزيد كان " صورة معكوسة لسلفه الخليفة عمر بن عبدالعزيز " [3].

ويرى ذوقان أن سبب إلتزام عمر بتنفيذ وصية سليمان في تولية يزيد الخلافة أنه يريد أن يحافظ على تماسك البيت الأموي ولو ظاهرياً [4].

ومن هنا يمكن القول أن الخليفة عمر بن عبدالعزيز كان أموياً صرفاً عندما ألتزم بوصية سليمان في تولية يزيد الخلافة من بعده، رغم تدينه الشديد ومعرفته بالأصلح لخلافة المسلمين وتدبير شؤونهم، لكن رغم كل ذلك فإن عمر بن عبدالعزيز لم يخرجها من الفرع المرواني، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مدى تشبث بني أمية بالسلطة، وحرصهم على بقاءها في الأسرة الأموية مهما كانت العواقب.

وليس هذا فحسب بل أن هناك رجال من بني أمية هم -من وجهة نظر الباحثة - أصلح للخلافة من يزيد بن عبدالملك، وهؤلاء الرجال هم: مسلمة بن عبدالملك، العباس بن الوليد، داؤود بن سليمان وغيرهم.

---

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٩٢.

(٢) بطاينة، دراسة في تاريخ، ص ٩٦.

(٣) فوزي، الخلافة الأموية، ص ١١٦.

(٤) ذوقان، ولاية العهد، ص ٧١.

إلا أن الظروف حالت دون أن يعهد إليهم عمر بالخلافة، وربما أن عمر التقي لم يكن يريد مخالفة وصية ابن عمه سليمان، فالتزم بوصيته، ولكن وفاة عمر بن عبدالعزيز غير الطبيعية تثير بعض الشكوك حول هذه المسألة حيث أن مسألة بيعة يزيد مرتبطة عند بعض الرواة بوفاة عمر بن عبدالعزيز غير الطبيعية على ما يزعمون. إذ ينقل الطبري عن أبي عبيدة معمر بن المثنى خبراً مفاده أن هذا الخليفة حين ثار شوذب الخارجي [(١)] بالعراق وطلب منه أن يرسل إليه من يناظره [(٢)]، وقال: " فهلم أناظرك، فإن كان الحق في أيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس، وإن كان في يدك نظرنا في أمرنا ..." [(٣)] وقد أرسل شوذب رجلين لمناظرة عمر، وجرت بينهم المناظرة ودار حديثها حول عدة أمور منها خلافة يزيد بن عبدالملك، حيث قالا له: " أخبرنا عن يزيد، لِمَ تقره خليفة بعدك؟ قال: صيره غيري. قالا: أفرأيت مالاً لغيرك ثم وكلته إلى غير مأمون عليه، أتراك كنت أديت الأمانة إلى من ائتمنك؟! قال: فقال: انظراني ثلاثاً. فخرجا من عنده، وخاف بنو مروان أن يخرج ما عندهم وفي أيديهم من الأموال، وأن يخلع يزيد، فدسوا إليه من سقاه سماً، فلم يلبث بعد خروجهما من عنده إلا ثلاثاً حتى مات " [(٤)].

وأياً كان سبب موت الخليفة عمر بن عبدالعزيز، فقد تولى يزيد الخلافة واتسمت خلافته باللهو والعبث، وعدم الاهتمام بأحوال الدولة، ويقول اليعقوبي في ذلك: " وكان يزيد بن عبدالملك هو أول خليفة اتخذ قينة وغلبت على أمره امرأة، فكانت حبابة [(٥)] جاريته تولي وتعزل وتطلق وتحبس وتأمر وتنهي" [(٦)]. ولذلك يقال " عمد يزيد بن عبدالملك إلى كل ما صنع عمر بن عبدالعزيز مما لم يوافق هواه فرده " [(٧)].

ويرى البعض أن يزيد لم يعمد إلى رد كل ما صنعه عمر، مما لم يوافق هواه، وإنما إلى بعضه فحسب، ويبرر أصحاب هذه النظرة الإيجابية قول ابن الأثير السابق إلى أن

---

(١) اسمه بسطام من بني يشكر، خرج على عمر بن عبدالعزيز بالعراق. انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٦٢.

(٢) عاقل، خلافة بني أمية، ص ٢٩٧.

(٣) الطبري، المصدر السابق ، ج٤، ص ٦٢.

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص ٦٢.

(٥) لم تكن حبابة وحدها التي غلبت على الخليفة يزيد بن عبدالملك بل كانت أيضاً جاريته سلامة القس قد غلبت عليه. انظر: المصدر نفسه، ج٤، ص ١١٠.

(٦) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م). مشاكلة الناس لزمانهم. تحقيق: وليم ملورد، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٢م، ص٢٠. (سيشار إليه فيما بعد: اليعقوبي، مشاكلة الناس). نقلاً عن: الشريف، عبدالله حسين. الدولة الأموية في عهد الخليفة يزيد بن عبدالملك. ط١، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٤٨. (سيشار إليه فيما بعد: الشريف، الدولة الأموية).

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٦٦ ؛ ماجد، التاريخ السياسي، ص٢٢١.

ابن الأثير وغيره من المؤرخين حين تولى يزيد الخلافة " أصيبوا بخيبة أمل من جراء ما آلت إليه التجربة الكبيرة التي نفذها عمر بن عبدالعزيز فطرح (يقصد ابن الأثير) مقولته تلك " [1].

وقد أدت سياسته الداخلية إلى بعث روح العصبية القبلية بين اليمانية والقيسية [2] " مما جعلها تنخر في عظام الخلافة الأموية، إلى أن قضت عليها " [3] حيث كانت سياسته بعكس سياسة الخليفة عمر بن عبدالعزيز الذي يحاول " إتباع سياسة التوازن القبلي واتخاذ الحوار وسيلة حضارية مع المعارضة بدل القمع المسلح، أما الخليفة يزيد فقد رمى نفسه منذ الوهلة الأولى في أحضان القيسية، وعمد إلى إنقاص عطاء اليمانية بحيث بات نصف عطاء القيسية " [4].

ومما زاد من قوة ميل يزيد إلى القيسية وبغضه لليمانية، علاقات المصاهرة التي ربطته أكثر بقيس؛ فقد كانت ليزيد صلات وثيقة بالحجاج وآل الحجاج، حيث أنه كان متزوج من ابنة محمد بن يوسف أخو الحجاج، وهي أم ولده الوليد، وعلى النقيض كان يزيد بن عبدالملك يكره يزيد بن المهلب الذي عذب آل الحجاج في العراق في زمن سليمان بن عبدالملك [5].

أ - ثورة آل المهلب وسقوطهم في موقعة العقر سنة ١٠٢هـ/ ٧٢٠م:

تنتسب أسرة آل المهلب إلى المهلب بن أبي صفرة الذي يرجع نسبه إلى قبيلة الأزد وهي إحدى القبائل العربية اليمانية، التي هاجرت من اليمن إلى عُمان [6]. وقد لعبت أسرة المهالبة دوراً هام على مسرح الأحداث في الدولة الإسلامية، فقد ساهم أفرادها

(١) خليل، عماد الدين. دراسة مقارنة في سياسات يزيد بن عبدالملك ١٠٢-١٠٥هـ. بحث ضمن كتاب (دراسات في التاريخ الإسلامي)، (د. ط)، (د. ن)، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٧١. (سيشار إليه فيما بعد: خليل، دراسة مقارنة).

(٢) المرجع نفسه، ص ٧٣.

(٣) ماجد، التاريخ السياسي، ص ٢٢١.

(٤) فوزي، الخلافة الأموية، ص ١١٧.

(٥) خليل، المرجع السابق، ص ٧٣.

(٦) سلطان، عبدالمنعم عبدالحميد. آل المهلب العمانيون في المشرق الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية. (د. ط)، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٣م، ص ١٥. (سيشار إليه فيما بعد: سلطان، آل المهلب).

إسهاماً كبيراً في حركت الفتوحات الإسلامية في العصر الراشدي، وقدمت هذه الأسرة خدمات جليلة للدولة الأموية زمن الخليفة عبدالملك بن مروان وابنه سليمان (١).

وقد تولى يزيد بن المهلب ولاية خراسان منذ سنة ٨٢هـ/٧٠١م، ويبدو أن خلافات قد حصلت بين يزيد بن المهلب والحجاج بن يوسف مما جعل الحجاج يعزل يزيد بن المهلب عن ولاية خراسان سنة ٨٥هـ/٧٠٤م، ويذكر أن الحجاج طالب يزيد بدفع مبلغ من المال، واتهمه بسرقة الأموال، ومن ثم قام بسجنه في واسط. ولم يكن يزيد هو الوحيد من أهل بيته الذين نكل بهم الحجاج بل عزل أخويه حبيب بن المهلب عن كرمان، وعبدالملك بن المهلب عن شرطته (٢).

ولكن يزيد بن المهلب استطاع الفرار من سجن الحجاج، واستجار بسليمان بن عبدالملك الذي كان يقيم في فلسطين، فأكرمه وشفع له عند أخيه حتى عفا عنه الوليد (٣).

وعندما تولى سليمان بن عبدالملك الخلافة عين يزيد بن المهلب على ولاية العراق سنة ٩٦هـ/٧١٤م، فسر أهل العراق بولايته بعد ما تخلصوا من الحجاج، ولكن يزيد بن المهلب " صب جام غضبه على آل الحجاج بن يوسف وأصدقائه وعماله، وزجهم في السجون، وعذبهم عذاباً شديداً حتى قيل أنه مات منهم ثمانية تحت التعذيب " (٤).

وحين جاء عمر بن عبدالعزيز لم يكن راض عن بعض تصرفات يزيد بن المهلب، حتى يقال أن عمر كان يقول عنهم: هؤلاء جبابرة، ويقول عن يزيد: إني لأظنه مرائياً، وكان يزيد آنذاك والياً على خراسان، ولذلك استدعاه عمر وسجنه، وحين علم يزيد بن المهلب بمرض عمر بن عبدالعزيز الأخير، هرب من السجن سنة ١٠١هـ/٧١٩م وكتب إليه: " إني والله لو علمت أنك تبقى، ما خرجت من محبسي، ولكني لم آمن يزيد بن عبدالملك فيقتلني شر قتلة " (٥).

---

(١) النابودة، حسن محمد. ثورة يزيد بن المهلب. مجلة دراسات العلوم الاجتماعية، مجلد ٢٩، العدد ٣، أبوظبي، ٢٠٠٣م، ص ٧٠٣. (سيشار إليه فيما بعد: النابودة، ثورة يزيد).

(٢) المرجع نفسه، ص ٧٠٥.

(٣) أبو العلا، إبراهيم عبدالمنعم سلامة. نكبات المهالبة ومصير نسائهم في عصر الدولة الأموية (٨٦-١٠٢هـ) كما صورها العوتبي الصحاري في كتابه الأنساب. بحث من ضمن أعمال (ندوة العوتبي الصحاري)، تحرير: عليان الجالودي وآخرون، مجلد ٢، وحدة الدراسات العمانية، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠٠٩م، ص ٤٨٤. (سيشار إليه فيما بعد: أبو العلا، نكبات المهالبة).

(٤) النابودة، المرجع السابق، ص ٧٠٦.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٦٦ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٥٥ ؛ ماجد، التاريخ السياسي، ص ٢٢٢.

ويذكر أن يزيد بن المهلب حين عذب آل الحجاج جاء إليه يزيد بن عبدالملك يشفع في زوجته وأهلها من آل الحجاج، فلم يشفعه، " فقال لابن المهلب: أما والله لئن وليت من الأمر شيئاً لأقطعن منك عضواً! فقال ابن المهلب: وأنا والله لئن كان ذلك لأرمينك بمائة ألف سيف " [1]. وهذا يعني أن يزيد بن المهلب هنا يخاطب ولي العهد ولا يخافه !!

وعندما آلت الخلافة إلى يزيد بن عبدالملك أرسل إلى ولاته محذراً لهم من آل المهلب، وجدّ في طلبهم، أما بالنسبة ليزيد بن المهلب فقد لجأ إلى أسرته آل المهلب والأزد المتمركزين في البصرة، وقد قام والِ البصرة عدي بن أرطأة الفزاري بحبس إخوة يزيد، وكان لتلك الإجراءات المتشددة من قبل والِ البصرة أثر كبير في ثورة آل المهلب، واستطاع يزيد بن المهلب السيطرة على البصرة حيث انضمت إليه قبائل ربيعة والأزد، وخطب خطبة في البصرة، وخلع يزيد بن عبدالملك، وحرض الناس ضد الأمويين [2].

جمع الخليفة يزيد بن عبدالملك جيشاً ضخماً من أهل الشام، ووكل قيادته إلى أخيه مسلمة بن عبدالملك والعباس بن الوليد وقيل: العباس بن يزيد، والتقى الجمعان في موقعة العقر، وقد رجحت كفة جيوش الشام بسبب انضمام مضرية البصرة إليهم، وبسبب أن الحسن البصري الفقيه كان يثبط همم أهل البصرة في الانحياز إلى آل المهلب [3].

وبعد قتال استمر ثمانية أيام تغلب مسلمة بالخديعة في موقعة العقر في يوم الجمعة ١٤ من صفر سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م، بأن أحرق جسراً على فرات البصرة، فظن عسكر ابن المهلب بأنها الهزيمة، وتسللوا. ومع أن ابن المهلب كان في أثناء القتال قد أصيب بالحمى، ووضع على كرسي؛ إلا أنه لما شعر بالهزيمة امتطى جواده، وقاتل إلى أن قتل [4]. أما بالنسبة لإخوته وأهل بيته فقد أبلوا بلاءً حسناً حتى قتلوا جميعاً وحملت

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٥٥.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٧٥ ؛ النابودة، ثورة يزيد، ص ٧١٠.

(٣) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٧٩ ؛ ماجد، التاريخ السياسي، ص ٢٢٤ ؛ النابودة، المرجع السابق، ص ٧١١ ؛ أبو العلا، نكبات المهالبة، ص ٤٨٧.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٨٥ ؛ ماجد، المرجع السابق، ص ٢٢٤.

رؤوسهم إلى الخليفة [١]، وهكذا كانت نهاية أسرة آل المهلب التي قدمت خدمات جليلة للدولة الأموية خصوصاً في مجال القضاء على حركات الخوارج.

وقد خلد ثابت بن قطنة [٢]، هذه الموقعة بأبيات منها:

أبى طول هذا الليل أن يتصرما وهاج لك الهمُّ الفؤاد المتيّما

أرقت ولم تأرق معي أم خالد وقد أرقت عيناي حولاً مجرما [٣]

على هالك هدّ العشيرة فقده دعته المنايا فاستجاب وسلما

على ملكٍ بالعقر يا صاح جبنت كتائبه وأستورد الموت مُعْلِما [٤]

ب ـ ولاية العهد لهشام بن عبدالملك:

يقول محمد خريسات: " لم يبق من أبناء الجيل الأول لعبدالملك بن مروان من يصلح للخلافة وفق قاعدة الأمويين التي تقضي حتى هذا التاريخ عدم البيعة لمن كانت أمه غير عربية، إلا هشاماً " [٥].

ويذكر أن يزيد بن عبدالملك حين هم بإعداد الجيش الذي سيرسله لحرب يزيد بن المهلب، جاءه العباس بن الوليد وقال له: إن أهل العراق قوم غدر، وأخاف أن يشاع أن أمير المؤمنين قد مات، فيفت هذا في عضد الجند، وأقترح عليه أن يبايع لعبدالعزيز بن الوليد بن عبدالملك، فقال يزيد: غداً إن شاء الله [٦].

ويبدو أن مسلمة عرف بهذا الأمر، أو أن يزيداً استشاره، وذلك لأن عبدالملك كان قد أوصى بنيه بأن لا يخرجوا عن رأي مسلمة، عند ذلك جاء مسلمة إلى يزيد وقال له: " يا أمير المؤمنين إنما أحب إليك أخوك أم ابن أخيك؟ فقال: بل أخي. فقال: فأخوك

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٨٩.

(٢) هو ثابت بن كعب من العتيك، أحد شعراء الدولة الأموية. انظر: النابودة، ثورة يزيد، ص ٧١٤.

(٣) العام المجرم هو العام التام. انظر: المنجد، ص ٨٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٨٤.

(٥) خريسات، الدولة الأموية، ص٢٦٥.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٨، ص٣٦٩ ؛ خريسات، المرجع السابق، ص ٢٦٥.

أحق بالخلافة. فقال يزيد: إذا لم تكن في ولدي فأخي أحق بها من ابن أخي كما ذكرت. قال: فابنك لم يبلغ، فبايع لهشام بن عبدالملك ثم من بعده لابنك الوليد "[1].

ومما سبق يتبين أن الخلافة لم تكن ليتسلمها يوماً عبدالعزيز بن الوليد بعد أن رفضها له مسلمة، ويذكر أنه عندما قال له أحد مواليه أنه سيتسلم الخلافة قريباً، رد عليه: " هيهات، أفسد ذلك علينا مسلمة ونقضه "[2].

ويرى خريسات أن هذا التصرف من مسلمة والموافقة التي لاقاها من يزيد بن عبدالملك في استبعاد أبناء الوليد بن عبدالملك عن منصب الخلافة، أورث نوعاً من العداء بين أبناء الوليد وبين يزيد وأبناء يزيد، والدليل على ذلك الأحداث التي سيتم التطرق إليها لاحقاً إن شاء الله عندما خرج يزيد بن الوليد على ابن عمه الخليفة الوليد بن يزيد وحدثت فتنة أخرى في الدولة الأموية كانت سبباً من أسباب التدهور والسقوط[3].

وبالفعل بايع الخليفة يزيد لأخيه هشام من بعده ومن ثم لابنه الوليد بن يزيد، لم تلبث العلاقة أن ساءت بين يزيد بن عبدالملك وولي عهده هشام، وأورد اليعقوبي أن يزيداً حاول خلع هشام مقابل أن يعطيه الجزيرة الفراتية، فبعث هشام إلى خالد القسري[4] يطلب رأيه، فرفض خالد ذلك، وقال إن فعل يزيد ذلك فإنه سيفرق الأمة، فأخذ هشام برأي خالد ورفض التنازل، فما زال هشام يشكر ذلك لخالد حتى ولي الخلافة، فولاه العراق[5]. ويبدو أن يزيد فيما بعد ندم على تولية العهد لهشام والدليل على ذلك ما أورده المؤرخون من أن يزيد بن عبدالملك عاش حتى بلغ ابنه الوليد، فكان إذا رآه يقول: " الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك "[6]. وقد توفي الخليفة يزيد الثاني بن عبدالملك في الخامس والعشرين من شعبان سنة ١٠٥هـ/ ٧٢٤م، وفي يوم موته بويع لهشام بن عبدالملك بالخلافة[7].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٨، ص ٣٧٠ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٩١.

(٢) البلاذري، المصدر السابق، ج٨، ص ٣٧٠.

(٣) خريسات، الدولة الأموية، ص ٢٦٧.

(٤) شيخ القبائل اليمانية، وأمير العراق في عهد هشام بن عبدالملك. انظر: فوزي، الخلافة الأموية، ص ١٢٠ ؛ The Encyclopaedia of Islam, vol 3, P 493.

(٥) البلاذري، المصدر السابق، ج٨، ص ٣٧٠ ؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٣٧٧.

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٢٢٢؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٥، ص ٩١.

(٧) مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص ٣٣ ؛ ماجد، التاريخ السياسي، ص ٢٢٧ ؛ بطاينة، دراسة في تاريخ، ص ٩٨.

٧. ولاية العهد في زمن هشام بن عبدالملك (١٠٥ـ ١٢٥هـ/٧٢٣ ـ ٧٤٣م).

تولى هشام بن عبدالملك الخلافة في نفس يوم وفاة أخيه يزيد وهو يوم الخامس والعشرين من شعبان سنة ١٠٥هـ/ ٧٢٣م، وكان محموداً السيرة، ومعروفاً بسياسته الحازمة، وحسن إدارته حيث أنه كان إدارياً ناجحاً باعتراف الخليفة أبي جعفر المنصور، الذي قال عنه: " كان رجلهم هشام " [١]. وكان المنصور نفسه يستعين بسجلات هشام إذا واجهته مشكلة مالية أو إدارية، من خلال قوله: " عليَّ بسجلات الأحول " [٢].

ومما يحمد للخليفة هشام بن عبدالملك أيضاً أنه حاول حفظ التوازن بين التكتلات القبلية، بل " وترك وراءه حين وفاته نظاماً إدارياً مستقراً، وسجلات رسمية دقيقة في الدواوين، وكان حكمه الطويل (عشرين سنة) يعد آخر فترة تميزت بالازدهار في العصر الأموي " [٣].

أما فيما يتعلق بالعلاقة بينه وبين ابن أخيه الوليد بن يزيد، فقد ساءت بسبب أن الوليد شكل حجر عثرة في طريق آمال عمه في مسألة ولاية العهد، وذلك لأن الخليفة هشام كان يريد البيعة لابنه مسلمة، فعامل ابن أخيه معاملة قاسية خشنة وحاول قدر الإمكان إبعاده عن السلطة، وتوجيهه نحو المجون واللهو؛ حتى يشغله عن المطالبة بالخلافة [٤].

وبالمقابل وصف الوليد بالمجون واللهو، ويبدو أن الوليد وجد نفسه حراً طليقاً دون أي رقابة، " فاندفع كشاب يلهو ويشرب ويصطاد وينتقل من مكان إلى آخر يصحبه الندماء والموسيقيين والشعراء والمغنين، واستغل هشام ذلك وجعله موضع الحديث في مجالسه ليسيء إلى سمعته أمام الناس، ويتهيأ له الجو لبيعة ابنه " [٥].

---

(١) فوزي، الخلافة الأموية، ص ١١٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ١١٨.

(٣) المرجع نفسه، ص ١١٨.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٢٢٢ ؛ عاقل، خلافة بني أمية، ص ١٢٨.

(٥) خماش، خلافة بني أمية، ص٨٧.

ويبدو أن هشاماً عاتب ابن أخيه على إفراطه في اللهو، وقال: " ويحك يا وليد! والله ما أدري أعلى الإسلام أنت أم لا! ما تدع شيء من المنكر إلا أتيته غير متحاشٍ ولا مستتر به! فكتب إليه الوليد:

يا أيها السائل عن ديننا　　　نحن على دين أبي شاكر

نشربُها صفواً وممزوجةً　　　بالسخن أحياناً وبالفاتر " [١]

وكان مسلمة بن هشام يكنى بـ أبي شاكر، ويذكر أن هشام غضب على ابنه، وقال له: " يعيرني بك الوليد وأنا أرشحك للخلافة! فالزم الأدب واحضر الجماعة " [٢]. وقد ولى هشام ابنه إمرة موسم الحج سنة ١١٩هـ/٧٣٧م، فأظهر مسلمة التدين والوقار واللين، وقسم بمكة والمدينة أموالاً، فقال أحد أهل المدينة المنورة:

يا أيها السائل عن ديننا　　　نحن على دين أبي شاكر

الواهب الجُرْدَ[٣] بأرسانها[٤]　　　ليس بزنديق ولا كافر [٥]

وهنا تشجع الخليفة هشام واتصل بخالد بن عبدالله القسري طالباً منه تأييده في تولية ابنه مسلمة العهد، ولكن خالد أعلن أنه لا يرغب في نقض العهد الذي أخذه على نفسه بمبايعة الوليد، وقال: " أنا بريء من خليفة يكنى أبا شاكر " [٦] ولذلك اتخذ الخليفة إجراءات شديدة منها:

- ضرب عياض بن مسلم [٧] - كاتب الوليد - بالسياط وسجنه.
- أمر بإبعاد أقرب أصدقائه (عبد الصمد بن عبد الأعلى) [٨].
- ألغى العطاء المقرر للوليد [٩].

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٢٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٢٢.

(٣) تعني التروس أو الجبال، وربما جاءت كناية عن كثرة المال. انظر: المنجد، ص ٨٦.

(٤) الأرسان هي الحبال. انظر: المرجع نفسه، ص ٢٦١.

(٥) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٢٣ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦١، ص ٤٨.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٨، ص ٣٥٩ ؛ الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٢٣.

(٧) هو عياض بن مسلم الكاتب، كان كاتباً للوليد بن يزيد. انظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج٥٠، ص ١٩٧.

(٨) هو مؤدب الوليد بن يزيد ونديمه. انظر: الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص١٢٢.

(٩) فوزي، الخلافة الأموية، ص ١٢٠.

وكتب الوليد إلى عمه كتاباً هذا نصه: " لقد بلغني ما أحدث أمير المؤمنين من قطع ما قطع عني، ومحو ما محا من أصحابي وحرمي وأهلي، ولم أكن أخاف أن يبتلي الله أمير المؤمنين بذلك ولا أبالي به منه... فإن يكن ذلك لشيء في نفس أمير المؤمنين علي، فقد سبب الله لي من العهد، وكتب لي من العمر، وقسم لي من الرزق ما لا يقدر أحد دون الله على قطع شيء منه دون مدته، ولا صرف شيء عن مواقعه؛ فقدر الله يجري بمقاديره فيما أحب الناس أو كرهوا..." (١).

وقد سأل الخليفة هشام أحد مستشاريه: أترى الناس يرضون بالوليد إن حدث بي حدث؟ فأجابه: " يا أمير المؤمنين، إن له في أعناق الناس بيعة " (٢).

يقول فوزي: " وهكذا أجبرت الشرعية الخليفة وبتردد واضح الاعتراف بحق الوليد الشرعي بالخلافة من بعده، ولم يجرأ حتى أقرب أصدقاء الخليفة ومستشاريه على نقضه " (٣).

ومما سبق يتضح أن الخليفة هشام كان متخوفاً من أن لا يكون الوليد بن يزيد جديراً بتولي منصب الخلافة من بعده، وخصوصاً أن هشام اتصف بحسن سياسته، وقدرته على تدبير أمور الدولة، ولذلك فإن رجلاً مصلحاً كهشام لا بد من أن يكون ولي عهده قادراً على مواصلة خطاه في تدبير شؤون الدولة.

ومن هنا فالأرجح أن يكون هشام يريد أن يبعد الوليد عن ولاية العهد بسبب تهاون الوليد أكثر من أن يكون بسبب رغبة هشام في تحقيق مصلحته الشخصية كأب في تولية ابنه، والدليل على هذا أن هشام حين سمع من الوليد أبياتاً يتهم فيها مسلمة بن هشام بالمجون، عاتب ابنه وأرسله لإمرة موسم الحج من أجل أن يصلحه، ولذلك يمكن القول أن الخليفة هشام بن عبدالملك كان يضع مصلحة الأمة الإسلامية نصب عينيه في مسألة الخلافة من بعده.

وعلى الرغم من أن الروايات التاريخية تشير إلى أن مسلمة بن هشام قد أحسن السيرة حين ولاه أبيه إمرة الحج سنة ١١٩هـ/٧٣٧م، إلا أن روايات أخرى تشير إلى أن مسلمة بن هشام كان على شاكلة الوليد بن يزيد بل أيضاً كان نديما له، والدليل على

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٢٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٢٤ ؛ فوزي، الخلافة الأموية، ص ١٢٠.

(٣) فوزي، المرجع السابق، ص ١٢١.

ذلك أن الوليد حين تولى الخلافة واتخذ سياسة الانتقام من أبناء عمه هشام، أوصى الأشخاص الذين وكلهم بمهمة الانتقام بالرفق بمسلمة بن هشام واستثناءه من ذلك (١).

ولذلك يرى البعض أن الخليفة هشام كان مخطئاً حين فكر في اختيار ابنه مسلمة لولاية العهد بدلاً من ابن أخيه الوليد بن يزيد، وذلك لأن البديل ليس بأفضل من ولي العهد المراد خلعه، حيث أن مسلمة كان أيضاً ماجناً شارباً للخمر، ولكن إرادة الله تعالى شاءت أن لا يتولاها مسلمة وتولاها الوليد بن يزيد (٢).

وعلى أية حال فإن الخليفة هو الذي يختار ولي عهده، وأن الإقليم المركزي (بلاد الشام) هو الذي يبدي موافقته أولاً ومن ثم تتبعه موافقة وفود الأقاليم، وكذلك فإن البيعة الخاصة والبيعة العامة ليست إلا مظاهر شكلية يتذرع بها الخلفاء للتصديق على قراراتهم.

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٢٢٦.

(٢) بطاينة، محمد. حول مصرع الوليد بن يزيد بن عبدالملك. مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المجلد ٥، دون عدد، الرياض، ١٩٧٨م، ص ٢٣٤. (سيشار إليه فيما بعد: بطاينة، حول مصرع الوليد).

الفصل الثالث

الفصل الثالث : الفوضى السياسية وتفاقم الصراع على ولاية العهد (١٢٥-١٣٢هـ/ ٧٤٣-٧٥٠م).

توفي الخليفة هشام بن عبدالملك في السادس من ربيع الآخر سنة ١٢٥هـ/ ٧٤٣م، وتولى الخلافة الوليد بن يزيد بن عبدالملك (١٢٥هـ/ ٧٤٣م - ١٢٦هـ ٧٤٤م)، وقد وصف بأنه " فاسقاً، شرّيباً للخمر، منتهكاً حرمات الله " [١].

بل ووردت روايات عن الوليد بن يزيد قد تكون مبالغة نوعاً ما، ولكنها تذكر أنه وصل به الأمر إلى أنه أراد أن ينصب قبَّة على الكعبة ليشرب فيها الخمر، وكان متهاوناً في أمور الدين، يشرب الخمر، وينادم الفساق والمغنيين، وأراد التفريق بين زوجات أمراء أهل بيته وأزواجهن ليتخذهن لنفسه، ونكح أمهات أولاد أبيه [٢].

ويذكر أن الوليد بن يزيد جاءه البريد بخبر موت الخليفة وهو في قصره الأزرق في البادية عند ماء يقال له الأغدف، وذلك لأن كاتبه عياض بن مسلم والذي كان في سجن الخليفة هشام، لم يلبث حين سمع بموت الخليفة حتى ترك سجنه وأسرع إلى القصر، وأمر عمال الخزائن بأن يحتفظوا بمَا في أيديهم من الأموال ولا يعطوا منها أحد شيئاً، حتى قيل: أنه لم يبق أي شيء لدرجة أن الذين سيغسلون الخليفة لم يجدوا مستلزمات الغسل، بل ووصل الأمر إلى أنه رفض أن يوفر الكفن الذي يحتاجه المتوفي، ورغم أن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها، إلا أن عياض زادت به الوقاحة أن أمر بإنزال هشام عن الفراش الذي كان عليه، وأمر أيضاً بأن يُحمل خارج الغرفة التي كان فيها، ومن ثم أسرع بإرسال شارات الخلافة إلى الوليد [٣].

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٢٢١ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٤٢.

(٢) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٣٦ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٢٨١ ؛ ماجد، التاريخ السياسي، ص ٢٥٠.

(٣) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص٢٢٥ ؛ عاقل، خلافة بني أمية، ص ٣٢٩.

١. ولاية العهد في زمن الوليد الثاني بن يزيد (١٢٥ـ ١٢٦هـ/ ٧٤٣ـ ٧٤٤م).

كان الوليد بن يزيد قد تعرض لمضايقات في زمن عمه الخليفة هشام، وذلك بسبب محاولات هشام المتكررة من أجل خلع الوليد من ولاية العهد وتولية مسلمة بن هشام بدلاً عنه، وبما أن لكل فعل ردة فعل، فقد ولدّت هذه المحاولات في نفس الوليد وأنصاره نوعاً من الرغبة في التشفي من أبناء هشام، وكل من ساعدهم في محاولاتهم تلك، والدليل على ذلك التصرف الذي تصرفه عياض بن مسلم يوم وفاة الخليفة هشام.

أما الوليد فقد افتتح عهده باستبعاد بعض أبناء عميه الوليد وهشام ابني عبدالملك مثل: سليمان ومحمد ويزيد وإبراهيم أبناء هشام، ويزيد وعمر أبناء الوليد وغيرهم، بل وحرمهم من تولي أي منصب وقرر عدم الاستعانة بهم، ويذكر أن أول ما فعله حين آلت إليه الخلافة هو كتاب أرسله إلى العباس بن الوليد بن عبدالملك يأمره أن يذهب إلى الرصافة، ويحصي " ما فيها من أموال هشام وولده، ويأخذ عماله وحشمه، إلا مسلمة بن هشام؛ فإنه كتب إليه ألا يعرض له ولا يدخل منزله، فإنه كان يكثر أن يكلم أباه في الرفق به، ويكفه عنه " (١).

وأمر الوليد بضرب سليمان بن هشام مائة سوط ونفاه إلى عمّان حيث أمر بسجنه، وحبس يزيد وإبراهيم ومحمد أبناء هشام، وانتقم أيضاً من بعض المقربين من هشام مثل: أبناء القعقاع بن خويلد العبسي الذين كانوا ممن وافق الخليفة هشام على خلع الوليد من ولاية العهد، وكان الوليد بن القعقاع عاملاً على قنسّرين، وعبدالملك بن القعقاع على حمص فعزلهما الوليد ودفع بهما إلى عدوهما يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري (٢)، الذي تولى تعذيبهما حتى ماتا (٣).

وعند ملاحظة تصرفات الوليد بن يزيد يمكن مقارنتها بتصرفات سليمان بن عبدالملك حين تولى الخلافة وانتقم من القادة العسكريين الذين أيدوا الوليد بن عبدالملك في تعيين

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٢٢٦.

(٢) كانت بينه وبين آل القعقاع عداوة، لأن رجلا من آل القعقاع ضرب عمر بن هبيرة مائة سوط بأمر من الخليفة هشام. انظر: المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٣٥ ؛ عاقل، خلافة بني أمية، ص ٣٣٠.

(٣) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٣٨ ؛ عاقل، المرجع السابق، ص ٣٢٠ ؛ فوزي، الخلافة الأموية، ص ١٢٨.

ابنه عبدالعزيز وخلع سليمان من ولاية العهد، وهنا يمكن القول أن الموقفين متشابهين مع اختلاف الأشخاص والظروف.

وحين تولى الوليد بن يزيد الخلافة أنشد أبياتاً منها [١]:

ليت هشاماً عاش حتى يرى ... مِكيالهُ الأوفر قد طُبّعا

كِلناهُ بالصاع الذي كاله ... وما ظلمناه به إصبعا

وما أتينا ذاك عن بدعةٍ ... أحلهُ الفرقان لي أجمعا

والجدير بالذكر أن الوليد بن يزيد سار على خطى أبيه حيث انحاز إلى المضرية (القيسية) بشدة، وأهمل اليمانية [٢].

ويروي البلاذري أن الوليد حين تولى الخلافة تلقى كتاباً من مروان بن محمد بن مروان [٣]، الذي كان في منطقة الثغور، مهنئاً وناصحاً، وكان مما جاء في كتاب مروان: " بارك الله لأمير المؤمنين فيما أصاره إليه من ولاية عباده ووراثة بلاده، مثبتة ولايته في سابق الزبر بالأجل المسمى، خصه الله بها على خلقه، وهو يرى حالاتهم، فقلده طوقها ورمى إليه بأزّمة الخلافة وعصم الأمور، فالحمد لله الذي اختار أمير المؤمنين لخلافته ووثائق عرى دينه، وذب له عما كاده له فيه الظالمون فرفعه ووضعهم ... أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله إني عندما انتهى إلي من قيامه بولاية خلافة الله نهضت على منبري عليّ سيفان مستعداً بهما لأهل الغش، وقد بسطت يدي لبيعتك فجددتها ووكدتها بوثائق العهود... فكلهم حسنت إجابته وطاعته، فأثبهم يا أمير المؤمنين بطاعتهم من مال الله الذي آتاك، فإنك أجودهم جوداً وأبسطهم يداً، وقد انتظروك راجين فضلك... ولولا ما أحاول من سد الثغر الذي أنا به لخفت أن يحملني الشوق إلى أمير المؤمنين أن استخلف رجلاً على غير أمره وأقدم لمعاينة أمير المؤمنين فإنها لا يعد لها عندي عادل نعمة وإن عظمت فإن رغب أمير المؤمنين أن يأذن لي في المسير إليه لأشافهه بأمور كرهت الكتاب بها فعل " [٤].

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٩، ص ١٤٤ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٢٢٦ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص ٤.

(٢) فوزي، الخلافة الأموية، ص ١٢٨.

(٣) انظر: شجرة نسب الأمويين (الملحق ١).

(٤) البلاذري، المصدر السابق، ج٩، ص ١٤٧ ؛ الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٢٦ ؛ فوزي، المرجع السابق، ص ١٢٨.

ويرى فوزي أن رسالة مروان بن محمد فيها الكثير من المداهنة والإطراء، ولكنها في الوقت نفسه تدل على فطنة مروان وحسن تبصره بالعواقب، وذلك لأن مروان كان يتنبأ بحدوث اضطرابات في المستقبل القريب، ولكنه اعتقد بأنه من الأصوب له - في ذلك الوقت - أن يحتفظ بقوته وسلطته في ولايته (أرمينية) في منطقة الثغور؛ وذلك لأنه يعلم بأنه لو عاد إلى بلاد الشام فإنه سيفقد سلطته وسيكون تحت رحمة الخليفة، في حين أن بقاءه في أرمينية يجعله أكثر قدرة على مقاومة أي محاولات لإقصائه عن الولاية، معتمداً على ما بناه لنفسه من شهرة واسعة هناك [1].

ويرى دكسن أن رسالة مروان تعكس موقفه الإيجابي من خلافة الوليد بن يزيد، كما تضمنت تهنئته واستعداده للوقوف إلى جانبه ضد أعدائه وحثه على انتهاج سياسة أكثر اعتدال واتزان من خلال زيادة العطاء للتقرب إلى الرعية، ويرى أيضاً أن موقف مروان هذا نابع من حرصه الشديد على وحدة وتماسك البيت الأموي والابتعاد عن السلبيات التي تؤدي إلى زوال حكمهم، كما أن وصول الوليد بن يزيد للسلطة كان يعني بالنسبة لمروان بن محمد " أن الشرعية قد احترمت، وأن وصية الخليفة يزيد بن عبدالملك لم تنقض " [2].

وتوافق الباحثة دكسن على رأيه في أن مروان كان حريصاً على تماسك البيت الأموي، وذلك لأن مروان كان قد أكتسب خبرات من ميدان الحياة نتيجة لكثرة المعارك التي خاضها في ميدان السياسة والحرب في منطقة الثغور.

لم يلبث الوليد بن يزيد بعد شهرين من توليه الخلافة حتى عقد البيعة بولاية العهد لابنيه الحكم وعثمان، ودعا الناس إلى البيعة لهما، وكتب بذلك إلى الأمصار، وقد وافق الوليد على ذلك واليه على العراق يوسف بن عمر الثقفي، بل وأجبر زعماء أهل العراق على الموافقة، ويبدو أن نصر بن سيار والي خراسان لم يوافق الخليفة على ذلك، ولذلك استدعي نصر إلى دمشق، ولكن الخليفة الوليد قُتل قبل أن يصل نصر إلى بلاد الشام [3].

---

(١) فوزي، الخلافة الأموية، ص ١٢٨.

(٢) دكسن، عبد الأمير. الانقسامات في البيت الأموي (١٢٥ ـ ١٢٣هـ/ ٧٤٢ـ ٧٥٠م) وأثرها في نهاية الخلافة الأموية في بلاد الشام. مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، مجلد ١٩، العدد ٤٧، بغداد، ١٩٩٣م، ص ١٧٠. (سيشار إليه فيما بعد: دكسن، الانقسامات).

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص ٥ ؛ بطاينة، حول مصرع الوليد، ص ٢٣٩ ؛ فوزي، المرجع السابق، ص ١٢٩.

ولعل من أهم ما يحمد للوليد بن يزيد هو الكتاب الذي وجهه إلى الأمصار من أجل أخذ البيعة لولديه (١)، والذي وضح فيه نظرية الأمويين في الخلافة وولاية العهد، حيث أكد على شرعية الخلافة وأهميتها، وبين أن سلطة الخليفة وطاعته مقرونتان بسلطة الله وطاعته، وأن الله اختار الخلفاء الأمويين لحكم المسلمين، وأعلن أن ولاية العهد من تمام الإسلام، وأن الله وفق الأمويين إلى ابتداعها حماية للدين وتقوية للمسلمين، وأن للخليفة الحق في أن يضع ولياً للعهد، أو أكثر من ولي للعهد من أجل تحقيق مصلحة المسلمين، وبيّن ضرورة احترام ولاية العهد وعدم نقضها (٢).

ومما يجدر الإشارة إليه هنا أيضاً أن من خلال قراءة كتاب الخليفة الوليد بن يزيد للأمصار من أجل أخذ البيعة لولديه يمكن ملاحظة أن ولاية العهد في زمن الوليد غدت " استخلاف كوني تذوب فيه الأمة بل والعالم في شخص الخليفة " (٣). ويرى ذوقان أن الوليد بكتابه ذلك، يظهر ردة فعله على ما قام به عمه الخليفة هشام عندما سعى لخلعه من ولاية العهد (٤).

ومما سبق ترى الباحثة أن مؤسسة الخلافة -بما فيها -ولاية العهد أصبحت تقوم على نظرية أموية سياسية صرفة تستند على أسس بناها الأمويون لأنفسهم مثل: أحقية بني أمية في الخلافة، والجبرية الأموية، واعتبار الخليفة هو النائب عن الله في سياسة خلقه وتدبير شؤونهم وبالتالي وجوب طاعة الخليفة واعتبار طاعته من طاعة الله تعالى.

وقد غاب عن ذهن الخليفة الوليد بن يزيد أن أبناء عميه الوليد وهشام كانوا يعتبرون أنفسهم أحق الناس بالخلافة من غيرهم، والذي زاد الأمر سوءاً أن ابنيه كانا صغيرين في السن، بل ولم يقدم الوليد للناس سبباً مقنعاً لتلك البيعة، رغم أنه كان قد استعمل الحكم على دمشق (٥)، واستعمل عثمان على حمص ولكنه بعث معه الفقيه ربيعة بن عبدالرحمن وجعله قائماً بأمره، وهذه المظاهر شكلية فقط، وهي خير دليل على عدم

(١) انظر: كتاب الخليفة الوليد بن يزيد إلى الأمصار من أجل أخذ البيعة لولديه بولاية العهد (الملحق ٢).

(٢) ذوقان، ولاية العهد، ص ٧٤.

(٣) فوزي، تاريخ النظم، ص ٤٣.

(٤) ذوقان، المرجع السابق، ص ٧٤.

(٥) لا تذكر المصادر أن الوليد جعل أحداً مع ابنه الحكم كما جعل الفقيه ربيعة بن عبدالرحمن مع عثمان، وربما لأن الحكم كان أكبر من عثمان سناً رغم أنهما كانا لم يبلغا سن الرشد بعد.

قدرة أبنائه على القيام بأعباء الخلافة، مما زاد من غضب وتذمر الطامحين للخلافة من أفراد البيت الأموي [1].

وحين عزم الوليد بن يزيد على البيعة لابنيه قال:

نأمل عثمان بعد الوليد   أو حكماً ثم نرجو سعيدا
كما كان من كان قبلنا   يزيد يرّجي لتلك الوليدا [2]
على أنها شسعت شسعة   فنحن نؤملها أن تعودا
فإذا هي عادت فأرض القريب   عنها ليؤيس منها البعيدا [3]

وكان الوليد قد شاور في مسألة البيعة لولديه، فأشار عليه سعيد بن بيهس بن صهيب الجرمي [4] " أن لا يفعل، وقال: إنهما صغيران لم يحتلما، ولكن بايع لعتيق بن عبدالعزيز بن الوليد بن عبدالملك. فغضب عليه وحبسه حتى مات في الحبس" [5].

ويذكر المدائني أن الوليد دعا خالد بن عبدالله القسري إلى البيعة لابنيه فرفض، وقال: " ويحكم كيف أبايع من لا أصلي خلفه ولا أقبل شهادته؟". فقيل له: " فتقبل شهادة الوليد مع فسقه! قال: أمير المؤمنين غائب عني وإنما هي أخبار الناس" [6].

ويبدو أن خالد القسري بمقولته تلك أغضب اليمانية الذين كانوا يكرهون الخليفة الوليد، وذلك لأن الوليد كان يميل للمضرية، لذلك حين أراد الوليد الحج نصحه خالد بأن لا يحج؛ خوفاً من أن يقتلوه اليمانية في الطريق، وكان خالد قد رفض الوقوف إلى جانب اليمانية من أجل الخروج على الوليد وخلعه، وبدلاً من أن يكافئ الخليفة خالداً على ذلك، فقد عذبه لأنه لم يدلي بأسماء الأشخاص الذين أرادوا الخروج عليه [7].

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٣٩٧ ؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج٩، ص ١٦٦ ؛ خريسات، الدولة الأموية، ص ٢٩٣.

(٢) البلاذري، المصدر السابق، ج٩، ص ١٦٦.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٢٢٧.

(٤) من وجوه أهل الشام، استشاره الخليفة الوليد بن يزيد في البيعة لابنيه فلم يستصوب ذلك لصغرهما، فحبسه حتى مات في السجن. انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٣، ص ٢٥.

(٥) البلاذري، المصدر السابق، ج٩، ص ١٦٦ ؛ ابن عساكر، المصدر السابق، ج٤٠، ص٢١٦.

(٦) البلاذري، المصدر السابق، ج٩، ص ١٦٧ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٢٨١.

(٧) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٥، ص ٢٧٨ ؛ خريسات، المرجع السابق ، ص ٢٩٣.

وقد وجد أعداء خالد القسري فرصتهم للانتقام في خلافة الوليد بن يزيد، وذلك لأن أم الوليد الثاني ابنة محمد بن يوسف الثقفي (أخو الحجاج بن يوسف)، وكان يوسف بن عمر الثقفي -والِ العراق آنذاك- قد استدعي إلى دمشق من أجل عزله، ولكن يوسف كان يدرك حاجة الخليفة إلى المال، فجمع أموالاً كثيرة، وعند وصوله ألتقى بحسان النبطي [١] وأعطاه نصف مليون درهم على أن يوزعها على الرجال حسب معرفته ففعل حسان، وقد امتدح المنتفعون بالأموال يوسف بن عمر عند الخليفة، كما أن يوسف قدم للخليفة خمسين مليون درهم بشرط أن يسلمه خالد القسري، فقبل الخليفة هذا الشرط، وأعاده إلى ولاية العراق [٢].

وكانت نهاية خالد القسري مؤلمة على يد يوسف بن عمر الثقفي الذي كان يعادي خالد، وقد حمله يوسف إلى العراق، وعذبه عذاباً شديداً، وكان خالد صابراً على العذاب حتى توفي ودفن في الحيرة في محرم من سنة ١٢٦هـ/٧٤٢م [٣].

وكان لهذا العمل من قبل الوليد بن يزيد سبباً كافياً لوضع حد لنهاية خلافته [٤]، بل وزاد الأمر سوءاً أن الشعراء ألهبوا مشاعر اليمانية، ففي قصيدة كتبها شعراء اليمانية ونسبوها إلى الوليد، جاء [٥]:-

ونحن المالكون الناس قسراً … نسومهم المذلة والنكالا

وطِئنا الأشعريين بعز قيس … فيالك وطأة لن تستقالا

وهذا خالد فينا أسيراً … ألا منعوه إن كانوا رجالاً!

عظيمهم وسيدهم قديماً … جعلنا المخزيات له ظلالاً

فلو كانت قبائل ذات عز … لما ذهبت صنائعه ضلالا

ولا تركوه مسلوباً أسيراً … يعالج من سلاسلنا الثقالا

وكِندة والسكون فما استقالوا … ولا برحت خيولهم الرحالا

---

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٢٣٦ ؛ فوزي، الخلافة الأموية، ص ١٣٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٢٨١.

(٤) الهاشمي، عبدالمنعم. الخلافة الأموية. ط١، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ٣٩٨. (سيشار إليه فيما بعد: الهاشمي، الخلافة الأموية).

(٥) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٣٧.

بها سئمنا البرية كل خسف   وهدمنا السهـولة والجبالا

ولكن الوقائـــع ضعضعتهم   وجذّتهم وردّتهم شِـــلالا

فمــا زالوا أبـــداً لنا عبيداً   نسومهم المذلة والسِــفالا

فأصبحت الغداة عليَّ تــاجٌ   لملك الناس ما يبغي انتقالا

وهذا بالطبع أغضب اليمانية ودفعهم إلى الثورة، وبالفعل لم يلبث الخليفة الوليد الثاني طويلاً حتى خرج عليه أحد أفراد أهل بيته تؤيده اليمانية، وهو ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبدالملك بن مروان.

أ. ثورة يزيد بن الوليد ونهاية الخليفة الوليد الثاني:

لم يلبث الخليفة الوليد بن يزيد طويلاً حتى قامت ضده حركة منظمة يقودها ابن عمه يزيد بن الوليد، والتف حوله جماعة من قضاعة واليمن، وبعض الرجال من دمشق من أمثال: منصور بن جمهور الكلبي، وحميد بن نصر اللخمي، والأصبغ بن دؤالة، والسراء بن زياد بن علاقة وغيرهم. وهؤلاء الرجال هم أنفسهم الذين كانوا قد اتصلوا بخالد القسري من أجل الخروج معهم على الخليفة الوليد من قبل، ولكن خالد رفض الخروج معهم [1].

أما بالنسبة للأسباب التي دعت الناس إلى الخروج على الخليفة الوليد فهي كثيرة، منها:

- المعاملة السيئة التي لاقاها أهل بيته منه، وخصوصاً أبناء عمومته، وقد سبق ذكر هذا آنفاً [2]. وفي ذلك يقول الطبري: " وكان من أعظم ما جنى على نفسه حتى أورثه هلاكه إفساده على نفسه بني عميه بني هشام وولد الوليد، ابني عبدالملك بن مروان " [3].
- سياسة العصبية القبلية، والميل إلى القيسية (المضرية) على حساب اليمانية، وإذلال اليمانية بتسليم رقاب كبار رجالهم إلى أعدائهم من قيس، مثل: خالد بن

---

(١) فوزي، الخلافة الأموية، ص ١٣١.

(٢) انظر: ص ١٠٢.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٢٣٥.

عبدالله القسري الذي سلمه إلى يوسف بن عمر الثقفي. يقول الطبري: " ...مع إفساده على نفسه اليمانية، وهم عُظم جند أهل الشام " (١).

- لهو الخليفة ومجونه واستخفافه بأمر دينه، فقد وصف بأنه فاسقاً، شرِّيباً للخمر، منتهكاً حرمات الله، بل ووصل به الأمر إلى أنه أراد أن ينصب قبَّة على الكعبة ليشرب فيها الخمر، وكان ينادم الفساق والمغنيين، وأراد التفريق بين زوجات أمراء بيته وأزواجهن ليتخذهن لنفسه، ونكح أمهات أولاد أبيه. يقول الطبري: " ولما ولي الخلافة وأفضت إليه، لم يزدد في الذي كان فيه من اللهو واللذة والركوب للصيد وشرب النبيذ ومنادمة الفساق إلا تمادياً ... فثقل ذلك من أمره على رعيته وجنده، فكرهوا أمره " (٢).
- البيعة لولديه بولاية العهد مع صغر سنهما وعدم قدرتهما على القيام بأعباء الخلافة، وبالمقابل تجاهل أبناء عمه وأهل بيته الذين يرون انفسهم أحق بالخلافة من الحكم وعثمان ابني الوليد.
- وبالإضافة إلى كون وليي العهد صغيرين فقد كان الحكم بن الوليد ولي العهد الأول ابن أم ولد (٣)، في حين أن أخاه عثمان كانت أمه عربية (٤)، ولم تكن الدولة الأموية في ذلك الوقت ترضى بأبناء الإماء. وبذلك خالف الوليد نهج الخلفاء السابقين الذين كانوا لا يولون أبناء الإماء؛ وذلك تعظيماً للخلافة، ولو أجاز الأمويون لأبناء الإماء تولي منصب الخلافة لكان القائد مسلمة بن عبدالملك أحق من يتولاها (٥).

ويذكر الطبري أن يزيد بن الوليد بن عبدالملك كان أشد الناس قولاً في الخليفة الوليد بن يزيد وكان الناس يميلون إليه أكثر من غيره، لأنه كان يظهر النسك ويتواضع، ويقول: " ما يسعنا الرضا بالوليد " (٦).

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٢٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٣٥.

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٧، ص ٥٨.

(٤) أمه عاتكة بنت عثمان بن محمد بن عثمان بن محمد بن أبي سفيان بن حرب. انظر: المصدر نفسه، ج٤٢، ص٣٣.

(٥) ذوقان، ولاية العهد، ص ٧٣ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص ١٢٢.

(٦) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٣٦.

عند ذلك جاءت اليمانية إلى يزيد بن الوليد، وأرادوا بيعته، فشاور يزيد عمرو بن يزيد الحكمي [(١)]، فقال له: " لا يبايعك الناس على هذا، وشاور أخاك العباس بن الوليد؛ فإنه سيد بني مروان؛ فإن بايعك لم يخالفك أحد، وإن أبى كان الناس له أطوع، فإن أبيت إلا المضي على رأيك فأظهر أن العباس قد بايعك " [(٢)].

ويبدو أن يزيد سمع نصيحة عمرو الحكمي، واتجه إلى أخيه العباس الذي نهاه عن ذلك، وقال: " مهلاً يا يزيد؛ فإن في نقض عهد الله فساد الدين والدنيا " [(٣)].

ولكن يزيد لم يسمع لنصح أخيه، وربما أن اليمانية أثروا عليه، فبايعوه سراً، ولكن يزيد رجع لأخيه مرة أخرى، فزجره العباس وقال: " إن عدت لمثل هذا لأشدّنك وثاقاً، ولأحملنك إلى أمير المؤمنين! " [(٤)].

ومما سبق يبدو أن العباس بن الوليد كان يريد الحفاظ على وحدة كلمة المسلمين ويخاف الفرقة والاختلاف، لذلك كان يتوعد أخاه ويهدده إن ظهر بأمره أن يخبر الخليفة بما ينوي عليه هو ومن معه من اليمانية.

وقد بلغ مروان بن محمد في أرمينية بأن يزيد يؤلب الناس ويدعو إلى خلع الخليفة، فكتب إلى سعيد بن عبدالملك بن مروان يدعوه أن ينهي الناس ويكفهم، قائلاً له: " إن الله جعل لكل أهل بيت أركاناً يعتمدون عليها، ويتقون بها المخاوف، وأنت بحمد الله ركن من أركان أهل بيتك، وقد بلغني أن قوماً من سفهاء أهل بيتك قد استنوا أمراً إن تمت لهم رويّتُهم فيه على ما اجمعوا عليه من نقض بيعتهم استفتحوا باباً لن يغلقه الله عنهم حتى تسفك دماء كثيرة منهم؛ وأنا منشغل بأعظم ثغور المسلمين فُرجاً، ولو جمعتني وإياهم لرممت فساد أمرهم بيدي ولساني، ولخفت الله في ترك ذلك؛ لعلمي ما في عواقب الفرقة من فساد الدين والدنيا، وأنه لن ينتقل سلطان قوم قط إلا بتشتيت كلمتهم؛ وإن كلمتهم إذا تشتت طمع فيهم عدوهم. وأنت أقرب إليهم مني، فاحتل لعلم ذلك وإظهار المتابعة لهم؛ فإذا صرت إلى علم ذلك فتهددهم بإظهار أسرارهم، وخذهم بلسانك، وخوفهم العواقب؛ لعل الله أن يرد إليهم ما قد عزب عنهم من دينهم وعقولهم؛

---

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٢٣٨؛ الهاشمي، الخلافة الأموية، ص ٣٩٨.

(٣) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٣٨.

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٣٨.

فإن فيما سعوا فيه تغيّر النعم وذهاب الدولة، فعاجل الأمر وحبل الألفة مشدود، والناس سكون، والثغور محفوظة، فإن للجماعة دولة من الفرقة... " [1].

وقد أطلع سعيد بن عبدالملك العباس بن الوليد على رسالة مروان، فهدد العباس أخيه فوعده بالتخلي عن مؤامرته، ولكن العباس أدرك أن الفتنة واقعة لا محالة، فقال مقولته الشهيرة: " يا بني مروان إني أظن الله قد أذن في هلاككم، وتمثل قائلاً:

إن البرية قد ملت سياستكم   فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا " [2]

ويبدو أن يزيد سار على خططه ولم يفِ بوعوده لأخيه، وقرر استكمال المسير من مكان إقامته في البادية إلى دمشق، وفي الطريق توقف في قرية المزة وطرق باب معاوية الكلبي [3] - ولم يكن قد بايع ليزيد آنذاك - وحين دعاه معاوية للدخول والجلوس على الفراش، قال: " إن في رجلي طيناً وأكره أن أفسد بساطك. فقال معاوية: الذي تريدنا عليه أفسد! " ولكن يزيد كلّم معاوية ونال بيعته [4].

وحين وصل يزيد ومن معه دمشق كان الخليفة يقيم في البادية هرباً من الطاعون الذي كان منتشراً في ذلك الوقت، وكان قد ترك في دمشق عبدالملك بن محمد بن الحجاج الثقفي، واستولى يزيد على دمشق دون مقاومة تذكر، واستطاع الثوار القبض على صاحب الشرطة وهو أبو العاج كثير بن عبدالله السلمي، وكذلك استطاع القبض على صاحب بيت المال وصاحب البريد، كما استولوا على كميات كبيرة من السلاح كان مخزوناً في المسجد، وبعد أن دخل يزيد دمشق برجاله أخذ البيعة منهم سراً ومن ثم قرر التوجه إلى الوليد الثاني الذي كان يقيم في قصره بالأغدف في البادية [5].

وقد كان هدف الثوار الأول القبض على العباس بن الوليد شيخ بني أمية، وقد قام منصور بن جمهور بهذه المهمة وأجبر العباس على البيعة، إلا أنه علق قائلاً: " إنا لله، خدعة من خدع الشيطان، هلك بنو مروان " [6].

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٢٣٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٣٨ ؛ فوزي، الخلافة الأموية، ص ١٣٢.

(٣) هو معاوية بن مصاد الكلبي، سيد أهل المزة، وأحد أبطال قبيلة كلب. انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٢، ص ١٩٢.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٤٠ ؛ فوزي، المرجع السابق، ص ١٣٣.

(٥) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٤٣ ؛ عاقل، خلافة بني أمية، ص ٣٣٩ ؛ بطاينة، حول مصرع الوليد، ص٢٥٥.

(٦) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٤٣ ؛ فوزي، المرجع السابق ، ص ١٣٤.

ويرى خريسات أن بعد الخليفة عن العاصمة هو الذي سرع في استسلامها للثوار، وذلك لأن مؤسسات الدولة المعنية بنقل الأخبار لا تكون على درجة الاستعداد الكافية عندما لا تكون تحت مراقبة الخليفة المباشرة [1].

ويذكر الطبري أن يزيد دعا الناس إلى التطوع في محاربة الخليفة الوليد، فلم يتقدم منهم الكثير، فأغراهم بالمال، واجتمع له ألفين رجل وسار الجيش بقيادة عبدالعزيز بن الحجاج بن عبدالملك -وذلك لأن الوليد بن يزيد كان قد عين عبدالعزيز ولياً ثانياً للعهد بعد أخيه إبراهيم بن الوليد- ومعه منصور بن جمهور الكلبي وبعض رؤساء كلب ولخم [2].

وقد خرج أحد موالي الوليد بن يزيد من دمشق لينقل الخبر إلى سيده في الأغدف، فلما وصل إليه الخبر، كان جزاء المولى أن ضربه مائة سوط وعنفه أشد التعنيف [3].

وقد استشار الوليد أصحابه الذين معه، فأشاروا عليه أن ينسحب إلى حمص أو إلى تدمر، ولكنه لم يفعل حتى علم باقتراب حملة عبدالعزيز حيث خرج إلى حصن قريب يسمى حصن البخراء، ومعه مائتا رجل، ومن ثم انضموا إليه بعض فرسان كلب من تدمر وحمص، وحين وصلت الحملة بدأت صفوف جنده تنفض عنه، وبالمقابل كان عبدالعزيز يستميلهم بالمال [4].

ويذكر الطبري مفاوضات جرت بين الطرفين كانت أولاها حين بعث عبدالعزيز أحد رجاله وهو زياد بن حصين الكلبي يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه، ولكنه قتل على يد قطري مولى الخليفة الوليد، وهنا حاصر الثوار الحصن، فدنا الخليفة من الباب وطلب من الثوار أن يكلمه أحد رجالهم، فكلمه يزيد بن عنبسة السكسكي، ومما جاء في الحوار بين يزيد السكسكي والخليفة: قال الخليفة: " يا أخا السكاسك، ألم أزد في أعطياتكم! ألم أرفع المؤن عنكم! ألم أعطِ فقراءكم! ألم أخدم زمانكم! فقال: إنا ما ننقم

---

(١) خريسات، الدولة الأموية، ص ٣١٨.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٢٤٢ ؛ عاقل، خلافة بني امية، ص ٣٣٩ ؛ جوده، صادق أحمد. منصور بن جمهور: موقفه من الأحداث السياسية في أواخر العصر الأموي. مجلة جامعة الملك سعود، مجلد ٨، دون عدد، الرياض، ١٩٩٦م، ص ٤٥٠. (سيشار إليه فيما بعد: جوده، منصور بن جمهور).

(٣) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٤٢.

(٤) المصدر نفسه ، ج٤، ص ٢٤٦ ؛ عاقل، المرجع السابق، ص ٣٤٠ ؛ العقيلي، أسلوب تعاقب، ص ١٨.

عليك في أنفسنا، ولكن ننقم عليك في انتهاك ما حرم الله وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك، واستخفافك بأمر الله..." [(١)].

وانهزم الخليفة الوليد في موقعة سميت بـ البخراء قرب تدمر سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٢م، وعند ذلك دخل الحصن وجلس وقال قولته الشهيرة: " يوم كيوم عثمان " ودخلوا عليه الثوار وقتلوه وهو يقرأ المصحف، واخذوا رأسه إلى دمشق، وسجنوا ابنيه ووليي عهده الحكم وعثمان، وكان مقتله في الثامن والعشرين من جمادي الآخرة سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٢م [(٢)].

ويذكر أن يزيد بن الوليد أمر بنصب رأس الوليد، فقال له أحد موالي بني مروان: " إنما تنصب رؤوس الخوارج، وهذا ابن عمك وخليفة، ولا آمن إن نصبته أن ترق له قلوب الناس، ويغضب له أهل بيته. فقال: والله لأنصبنه، فنصبه على رمح " [(٣)].

ومما لا شك فيه أن مقتل الخليفة الوليد قد أفرح اليمانية، وذلك لأنهم رأوا أن في مقتله ثأراً لكرامتهم من قيس، وأنشد شعراء اليمانية أبياتاً في ذلك منها ما قاله الأصبغ الكلبي [(٤)]:

من مبلغ قيساً وخندف كلها وساداتها من عبد شمس وهاشم

قتلنا أمير المؤمنين بخالد وبعنا وليي عهده بالدراهم

وقال خلف بن خليفة البجلي [(٥)]:

تركنا أمير المؤمنين بخالد مكباً على خيشومه غير ساجد

وإن سافر القسري سفرة هالك فإن أبا العباس ليس بعائد

أقري معد بالهوان فإننا قتلنا أمير المؤمنين بخالد

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٢٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٤٦ ؛ عاقل، خلافة بني امية، ص ٢٤٠ ؛ العقيلي، أسلوب تعاقب، ص ١٨.

(٣) ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص ٢٣٧ ؛ الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٤٦.

(٤) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٩٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٩٧.

ومما سبق يمكن القول أن يزيد بن الوليد اعتدى على الشرعية عندما خرج على ابن عمه، بل وزاد الأمر سوءاً أن شيوخ بني أمية آنذاك مثل: سعيد بن عبدالملك، والعباس بن الوليد، ومروان بن محمد لم يكونوا موافقين على ذلك الخروج. ويمكن ملاحظة أيضاً أن العصبية القبلية أثرت بشكل كبير في هذه المعارك الدموية التي حدثت في أواخر عهد بني أمية، ولهذا يعد البعض العصبية القبلية بين اليمانية والقيسية هي أحد الأسباب التي أدت إلى سقوط الخلافة الأموية، وليس من شيء أدل على ذلك من دور رجال القبائل في أحداث الفتنة الثالثة التي كانت آخر مرحلة من مراحل الصراع على السلطة في دولة بني أمية.

٢. ولاية العهد في زمن يزيد الثالث وإبراهيم ابني الوليد (١٢٦-١٢٧هـ/ ٧٤٢-٧٤٣م).

تولى الخلافة يزيد الثالث بن الوليد بن عبدالملك بعد مقتل ابن عمه الوليد بن يزيد في الثامن والعشرين من جمادي الآخرة سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٢م، ويرى البعض أنه إذا كانت النتيجة المباشرة لمقتل الخليفة الوليد بن يزيد هو تولي ابن عمه الخلافة، فإن النتائج الآنية لهذا الحدث تتمثل في " ضعف الخلافة، وذهاب هيبتها، وضياع جلالها، وهوان سلطانها على العامة والخاصة، كما أنها ساعدت في تصدع وحدة الأسرة الأموية وانقسامها على نفسها، مما نجم عنه انهيار عام في سلطانهم، ويعد مقتل الوليد بن يزيد نقطة البدء في تحدي فكرة الشرعية ومسماراً ضخماً في نعش الخلافة كمؤسسة حاكمة من المفروض أن تكون لها هيبتها وقدسيتها " (١).

ونتجت عن ثورة يزيد بن الوليد وقتله لابن عمه معارضة شديدة في بعض مناطق بلاد الشام، فقد ثار أهل حمص بقيادة واليهم مروان بن عبدالله بن عبدالملك بن مروان، وقاموا بإتلاف أموال وممتلكات العباس بن الوليد وسجنوا أبنائه، وذلك لموقفه الجبان من يزيد بن الوليد، وقد طلب العباس الحماية من أخيه، وكتب المعارضين دعوة إلى أجناد بلاد الشام مفادها: أن لا يدخلوا في طاعة يزيد، وإن كانا وليي عهد الوليد حين قاموا بالبيعة لهما، وإلا جعلوها لخير من يعلمون (٢).

وقد أرسل الخليفة يزيد الثالث بن الوليد جيشاً بقيادة أخيه مسرور بن الوليد ضد المتمردين في حمص، ثم ضم سليمان بن هشام الذي هرب من معتقله في عَمان بعد استيلائه على بيت المال فيها، وكذلك ضم عبدالعزيز بن الحجاج بن عبدالملك، ومعه قوات إضافية (٣).

وكانت حمص قد اختارت أبو محمد السفياني (٤) قائداً لحركتها، لكنها لم تستطع الصمود طويلاً خاصة بعد وصول إمدادات إضافية لقوات يزيد الثالث من المزة،

---

(١) العقيلي، أسلوب تعاقب، ص ١٨ ؛ خماش، نجدة. الشام في صدر الإسلام. ط١، دار طلاس، (د. م)، ١٩٨٧م، ص ١٨٧. (سيشار إليه فيما بعد: خماش، الشام).

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٢٥٢ ؛ فوزي، الخلافة الأموية، ص ١٣٧.

(٣) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٥٢ ؛ فوزي، المرجع السابق، ص ١٣٨.

(٤) هو أبو محمد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. انظر: الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٤٢.

وكذلك استطاعت قوات يزيد الثالث القبض على أبو محمد السفياني وبعض من معه ومنهم الحكم وعثمان ابني الخليفة المقتول حيث أودعوا في السجن في دمشق، وقد تمردت أيضاً أجناد الشام الأخرى حيث طرد جند فلسطين عاملهم وهو سعيد بن عبدالملك وولوا عليهم يزيد بن سليمان بن عبدالملك، وبلغ أهل الأردن ما حصل في فلسطين فقاموا أيضاً بطرد عاملهم واختاروا محمد بن عبدالملك ليكون عاملهم الجديد، ولكن الخليفة يزيد الثالث استطاع بواسطة القائد سليمان بن هشام قمع التمردات في كل أجناد الشام [(١)].

وبعد أن دانت أجناد الشام ليزيد الثالث، استدعى الوفود من الأقاليم ، وقام بإلقاء خطبة برر فيها أسباب مجيئه إلى الحكم، وأوضح فيها السياسة التي سيسير عليها في خلافته [(٢)]. وجاء في الخطبة: " أيها الناس، إني والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا حرصاً على الدنيا ولا رغبة في الملك، وما بي إطراء نفسي، إني لظلوم لنفسي إن لم يرحمني ربي، ولكني خرجت غضباً لله ورسوله ودينه، داعياً إلى الله وكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، لما هدمت معالم الهدى وأطفئ نور أهل التقوى، وظهر الجبار العنيد، المستحل لكل حرمة والراكب لكل بدعة، مع أنه والله ما كان يصدق بالكتاب ولا يؤمن بيوم الحساب، وإنه لابن عمي في الحسب، وكفيي في النسب، فلما رأيت ذلك استخرت الله في أمره وسألته ألا يكلني إلى نفسي ودعوت إلى ذلك من أجابني من أهل ولايتي، وسعيت فيه حتى أراح الله منه العباد والبلاد بحول الله وقوته، لا بحولي وقوتي " [(٣)].

" أيها الناس، إن لكم علي ألا أضع حجراً على حجر، ولا لبنة على لبنة، ولا أكري نهراً، ولا أكثر مالاً، ولا أعطيه زوجة ولا ولداً ولا أنقل مالاً من بلدة إلى بلدة حتى أسد ثغر ذلك البلد وخصاصة أهله بما يعينهم فإن فضلَ فضلٌ نقلته إلى البلد الذي يليه ممن هو أحوج إليه. ولا أجمركم في ثغوركم فأفتنكم وأفتن أهليكم، ولا أغلق بابي دونكم فيأكل قويكم ضعيفكم، ولا أحمل على أهل جِزْيتكم ما يجليهم عن بلادهم ويقطع نسلهم، وإن لكم أعطياتكم عندي في كل سنة وأرزاقكم في كل شهر حتى تستدر المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كادناهم، فإن وفيت بما قلت فعليكم السمع

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٢٥٢ ؛ فوزي، الخلافة الأموية، ص ١٣٨.

(٢) عاقل، خلافة بني أمية، ص ٣٤١ ؛ ماجد، التاريخ السياسي، ص ٢٥٢ ؛ فوزي، المرجع السابق، ص ١٣٨.

(٣) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٥٦.

والطاعـة وحسـن المـؤازرة، وإن أنـا لـم أفِ فلكـم أن تخلعـوني إلا أن تسـتتيبوني فـإن تبـت قبلـتم منـي، فـإن علمـتم أحـداً ممـن يعـرف بالصـلاح يعطـيكم مـن نفسـه مثـل مـا أعطيـتكم فـأردتم أن تبـايعوه، فأنـا أول مـن يبايعـه ويـدخل فـي طاعتـه. أيهـا النـاس، إنـه لا طاعـة لمخلـوق فـي معصـية الخـالق، ولا وفـاء لـه بـنقض عهـد، إنمـا الطاعـة طاعـة الله فـأطيعوه بطاعـة الله مـا أطـاع، فـإذا عصـى الله ودعـا إلـى المعصـية، فهـو أهـل أن يعصـى ويقتل " [1].

وعند قراءة خطبة يزيد الثالث بشيء من التمعن يمكن التوصل إلى ملاحظات عدة:

١. يبـرر يزيـد سـبب خروجـه ويرجعـه إلـى أنـه خـرج غضـباً لله ورسـوله، بعـد أن انتشـر الفسـاد وضـاعت حقـوق العبـاد. فيقـول: " ولكنـي خرجـت غضـباً لله ورسـوله ودينـه، داعيـاً إلـى الله وكتابـه وسـنة نبيـه صـلى الله عليـه وسـلم، لمـا هـدمت معـالم الهـدى وأطفـئ نـور أهـل التقـوى، وظهـر الجبـار العنيـد، المسـتحل لكـل حرمـة والراكـب لكـل بدعـة ". [2] وهـذا مـن شـأنه أن يجعلـه يحظـى بعطـف العامـة ويكسب قلوبهم وخصوصاً أنه كان يظهر التدين.
٢. تكلم يزيد الثالث عن ابن عمه المقتول بلهجة شديدة واصفاً إياه بالفسق والمجون " وظهـر الجبـار العنيـد، المسـتحل لكـل حرمـة والراكـب لكـل بدعـة، مـع أنـه والله مـا كـان يصـدق بالكتـاب ولا يـؤمن بيـوم الحسـاب، وإنـه لابـن عمـي فـي الحسـب، وكفيـي فـي النسـب " [3]، وذلـك حتـى يبـرر سـبب قتلـه لابـن عمـه، لأن النـاس مـا كانوا ليتقبلوها منه ويبايعون له بالخلافة إلا أن يكون قتل ابن عمه لسبب مقنع.
٣. تعهـد يزيـد الثالـث بالقيـام بـبعض الإصـلاحات والتـي سـماها محمـد عبـدالحي شعبان (السياسة اليمانية)، منها [4]:
   - إيقاف المشاريع غير الضرورية.
   - إيقـاف المشـاريع الزراعيـة علـى حسـاب الخـدمات العامـة وخاصـة تلـك التـي تتعلـق باستصـلاح الأراضـي التـي تمـنح للأسـرة الأمويـة الحاكمـة حصراً.

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٢٥٦.
(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٥٦.
(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٥٦.
(٤) شعبان، صدر الإسلام، ص ١٧٤ ؛ فوزي، الخلافة الأموية، ص ١٦١ ؛ عاقل، خلافة بني أمية، ص ٣٤٢.

- تصرف موارد الإقليم على سكان الإقليم نفسه، والزيادة تصرف على الأقاليم المجاورة له الأقرب فالأقرب.
- إيقاف الحملات العسكرية الطويلة الأمد والتي تجعل المقاتل بعيد عن أهله لفترة طويلة من الزمن.
- معاملة سكان البلاد المفتوحة معاملة حسنة وخاصة فيما يتعلق بالضرائب، وذلك حتى لا يتركوا أراضيهم.
- كل المسلمين سواء أكانوا من العرب أومن غير العرب سينالون النصيب نفسه من العطاء.
- لم يدع يزيد الثالث أي سلطة لنفسه، وأجاز للناس أن يعزلوه إذا لم يوفِ بعهده، ويرى البعض أن هذه النقطة تشير إلى آراء قذرية وهي صفة كانت تطلق على الغيلانية (جماعة غيلان الدمشقي) الذي قتل في عهد هشام بن عبدالملك بتهمة الزندقة، وكان غيلان يدعو إلى تحديد سلطة الخليفة بحيث لا تكون مطلقة، كما وأن سلطاته الدنيوية يجب أن تنال رضا الجماعة الإسلامية، وأن للجماعة الحق في عزل الخليفة إذا أساء استعمال سلطاته، ومبدأ القدرية هو عكس مبدأ الجبرية [1] الذي كانت الدولة الأموية تسير عليه حتى جاء يزيد بن الوليد بن عبدالملك [2].

ويرى ذوقان أن ما ذكره يزيد في خطبته يظهر " أنه أحدث تغييراً جذرياً على نظرية الأمويين في الملك، وتحولاً عن طريقتهم في الحكم، حيث أبطل مذهب الجبر في الخلافة وولاية العهد، وأذن للناس في انتخاب خليفتهم ومبايعته وأباح لهم تنحيته إن جار وطغى، وهذا يتنافى مع ما سار عليه الأمويون في الحكم حتى خلافة يزيد بن الوليد، والذي ساهمت أفكاره في دعم موقف الجماعات المناوئة للأمويين مثل: الخوارج والقدرية الإباضية، والتي وجدت مجالاً للطعن بخلافة بني

---

(١) يقوم مبدأ الجبرية على أن كل شيء مقدر من الله سبحانه وتعالى، اي أن الله هو الذي شاء بأن يحكم الأمويون الدولة الإسلامية، وما على الرعية سوى الطاعة لمشيئة الله تعالى. انظر: فوزي، تاريخ النظم، ص ٣٩.

(٢) فوزي، الخلافة الأموية، ص ١٦١ ؛ أمين، أحمد. فجر الإسلام. (د. ط)، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٢٥٩. (سيشار إليه فيما بعد: أمين، فجر الإسلام).

أمية والتنديد بسلطتهم وتسلطهم، كما اتخذت من تكفيره لابن عمه وتشهيره به وسيلة للقدح بالأمويين والتجريح بهم " [١].

٤. يرى فوزي أن أول ما يلاحظ من خطبة يزيد هو تبنيها لعقيدة الخوارج السياسية، فلم يدعي يزيد الخلافة لنفسه وإنما أبدى استعداده لأداء يمين البيعة لأي شخص يستحق الخلافة وتنطبق عليه شروطها مهما كان، مؤكداً أن الخلافة ليست حكراً على فئة معينة بل أن أي شخص يستحقها إذا انطبقت عليه شروطها [٢].

ورغم أن عهد يزيد الثالث لم يطل إلا أنه كان عهد اليمانية، وخصوصاً بني كلب؛ فقد عزل يوسف بن عمر الثقفي وعين بدلاً عنه منصور بن جمهور الكلبي، ولكن يزيد الثالث ما لبث أن توفي في ٢٠ من ذي الحجة من سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٣م بعد حكم دام ستة أشهر وكان قد أخذ البيعة بولاية العهد لأخيه إبراهيم بن الوليد ومن ثم لابن عمه عبدالعزيز بن الحجاج بن عبدالملك، وكان يزيد يلقب بـ الناقص لأنه أنقص العطاء الذي كان الوليد بن يزيد قد زاده وفي هذا يقول الطبري: " وإنما قيل يزيد الناقص لنقصه الناس الزيادة التي زادها لهم الوليد بن يزيد في أعطياتهم، وذلك عشرة، فلما قتل الوليد نقصهم تلك الزيادة، وردّ أعطياتهم إلى ما كانت عليه أيام هشام بن عبدالملك. وقيل أول من سماه بهذا الاسم مروان بن محمد " [٣].

ويرى ذوقان أن يزيد تراجع عن مبدأ الشورى الذي كان قد دعا إليه في بداية خلافته عندما أخذ البيعة بولاية العهد لإبراهيم بن الوليد وعبدالعزيز بن الحجاج. ويبدو أنه لجأ إلى هذه الخطوة لأنه لا يريد أن يخرج الخلافة من بني أمية، أو لأنه لم يستطع إخراجها [٤].

وقد تولى إبراهيم بن الوليد الخلافة بعهد من أخيه، إلا أن الأمر لم يتم له، " فكان يسلم عليه تارة بالخلافة، وتارة بالإمارة، وتارة لا يسلم عليه بواحدة منهما، فمكث أربعة

(١) ذوقان، ولاية العهد، ص ٧٥.

(٢) فوزي، الخلافة الأموية، ص ١٣٩.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٢٥٢ ؛ عاقل، خلافة بني أمية، ص ٣٤٤ ؛ ماجد، التاريخ السياسي، ص ٢٥٢ ؛ ذوقان، ولاية العهد، ص ٧٣ ؛ فوزي، المرجع السابق، ص ١٤١ ؛ الزركلي، الأعلام، ص ١٩٠.

(٤) ذوقان، المرجع السابق، ص ٧٥.

أشهر، وقيل: سبعين يوماً، ثم سار إليه مروان بن محمد فخلعه " (١). وكذلك قتل ولي عهده عبدالعزيز بن الحجاج بن عبدالملك على يد بعض موالي الوليد الذين ثاروا بدمشق والذين قاموا أيضاً بنبش قبر يزيد بن الوليد وصلبوه، وكان خلع إبراهيم بن الوليد ومقتل ولي عهده في سنة ١٢٧هـ/ ٧٤٣م (٢).

ومما يجدر بالإشارة إليه في هذا الموضع أن كلا من يزيد وإبراهيم ابني الوليد أيضاً كانا أبناء أمهات أولاد، وأم يزيد هي شاهفرند بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى، وهو القائل (٣):

أنا ابن كسرى وأبي مروان وقيصر جدي، وجدي خاقان

ويقول ابن الأثير: " إنما جعل قيصر وخاقان جديه لأن أم فيروز بن يزدجرد ابنة كسرى شيرويه بن كسرى، وأمها ابنة قيصر، وأم شيرويه ابنة خاقان ملك الترك " (٤).

أما بالنسبة لإبراهيم بن الوليد فأمه أم ولد ذكر المسعودي أن اسمها بريرة، في حين أن اليعقوبي يذكر أن اسمها سعاد (٥).

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن حركة التاريخ وطبيعة ظروف العصر بدأت تفرض اختيار ولاة عهود أو حتى البيعة لخلفاء من أبناء الإماء وهو الشيء الذي ما كان يمكن أن يحدث في الدولة الأموية قبل سنة ١٢٥هـ/ ٧٤١م.

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٣١٠.

(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص ٣٢٣.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٣١٠.

(٤) المصدر نفسه، ج٥، ص ٣١٠.

(٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٤٠٣ ؛ الأزدي، أبي زكريا يزيد بن محمد (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م). تاريخ الموصل. تحقيق: علي حبيبة، (د. ط)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٥٩. (سيشار إليه فيما بعد: الأزدي، تاريخ الموصل).

٣. ولاية العهد في زمن مروان بن محمد (١٢٧ـ ١٣٢هـ/ ٧٤٣ـ ٧٥٠م).

هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، ولد في الجزيرة الفراتية سنة ٧٢هـ/٦٩١م، لقب بمروان الجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم، وكان أيضاً يعرف بـ الحمار لصبره على مكاره الحرب وشدته، وأمه أم ولد كردية يقال لها: لبابة. وكان مشهوراً بالفروسية والإقدام والدهاء [(١)].

وكان مروان قد تولى أرمينية وأذربيجان لهشام بن عبدالملك منذ سنة ١١٤هـ/٧٣٢م، وحين تولى الوليد بن يزيد بايعه مروان، وبعث إليه بكتاب مهنئاً ومبايعاً وناصحاً، وقد أقره الوليد على ولايته وكانت العلاقة بينه وبين مروان طيبة حتى قتل الوليد سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٢م [(٢)].

وكان مقتل الوليد بن يزيد نقطة لانطلاق مروان بن محمد وظهوره على مسرح الأحداث في بلاد الشام، حيث تحرك مروان من ولايته قاصداً الشام ليثأر للوليد المقتول [(٣)].

وحين يتم التمعن في حادثة مقتل الوليد وخروج مروان للثأر له يمكن القول: ما أشبه الليلة بالبارحة؛ ذلك أن الناظر في هذه الحادثة لابد من أن تعود به ذاكرته للوراء ليتذكر حادثة مقتل الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- سنة ٣٥هـ/٦٥٥م وقيام معاوية بن أبي سفيان حاملاً قميص عثمان المقتول ليثأر له. بل والأكثر من ذلك أن ليست الحادثتان فقط هن المتشابهتان بل أن التشابه أمتد حتى إلى أهداف ومقاصد كلا الرجلين معاوية بن أبي سفيان ومروان بن محمد من وراء ذلك الدور الذي لعبه كلا منهما في زمانه، فالهدف الظاهر هو(الأخذ بالثأر)، أما بالنسبة للهدف الخفي لكل منهما هو (الوصول إلى منصب الخلافة). ولكن من أجل تبرئة كلا الرجلين يمكن

---

(١) الكتبي، فوات الوفيات، ج٤، ص ١٢٧ ؛ المنجد، صلاح الدين. معجم بني أمية. ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٠م، ص ١٦١. (سيشار إليه فيما بعد: المنجد، معجم بني أمية) ؛ فوزي، فاروق عمر. دراسات في التاريخ الإسلامي. ط١، دار مجدلاوي، عمان، ٢٠٠٥م، ص ١٥. (سيشار إليه فيما بعد: فوزي، دراسات).

(٢) أبو جيب، سعدي. مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية. (د. ط)، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م، ص ٢٤. (سيشار إليه فيما بعد: أبو جيب، مروان بن محمد).

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٤.

استبدال كلمتي الهدف الخفي بـ النتيجة. أي أن كل منهما نتج عن خروجه للثأر أن وصل إلى منصب الخلافة.

وقد كتب مروان رسالة إلى الغمر بن يزيد [1] أخو الخليفة المقتول يحثه على الثأر قائلاً: " أما بعد، فإن هذه الخلافة من الله على مناهج نبوة رسله وإقامة شرائع دينه أكرمهم الله بما قلدهم... وكان أهل الشام أحسن خلقه فيه طاعة، وأذبه عن حرمه وأوفاه بعهده... وقد نكثوا أمر الله وحاولوا نكث العهود والمطلوبون بدم الخليفة ولاية من بني أمية فإن دمه غير ضائع وإن سكنت بهم الفتنة والتأمت بهم الأمور... فإني مطرق إلى أن أرى ... فأسطو بانتقام وانتقم لدين الله... وأشمر للقدرية إزاري وأضربهم بسيفي... وما إطراقي إلا لما انتظر منك فلا تنهى عن ثأرك بأخيك " [2].

وكذلك كتب الخليفة يزيد بن الوليد إلى مروان، وقد بلغه أنه تلكأ في بيعته: " أما بعد: فإني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت، والسلام " [3].

يبدو أن مروان بايع يزيد بعد الكتاب السابق، حيث أرسل مروان وفداً برئاسة محمد بن عبدالله بن علاثة [4] إلى يزيد الثالث لإبداء الطاعة ظاهرياً، ولكنه في الواقع لتحسس الوضع السياسي والاتصال بالفئات المختلفة من أجل التمهيد للحركة ضد يزيد الثالث، كما أن مروان كان على اتصال بأهل حمص، ويزيد بن عمر بن هبيرة في قنسرين، ولم يطل انتظار مروان بن محمد حتى وصلته أخبار وفاة الخليفة يزيد الثالث في ٢٠ من ذي الحجة سنة ١٢٧هـ/ ٧٤٤م [5]. ومما هو جدير بالذكر هنا أن كلا من الخليفة يزيد ومروان بن محمد يشتركان في أنهما أبناء أمهات أولاد.

عندئذٍ تحرك مروان باتجاه دمشق ومعه أربعين ألف من الجند، بعد أن ترك ابنه عبدالملك مع أربعين ألف آخرين في الرقة على نهر الفرات من أجل حماية ظهره في حالة انكساره، فاحتل قنسرين (وكانت تسكنها قبائل قيسية) بمساعدة حليفه يزيد بن

---

(١) هو الغمر بن يزيد بن عبدالملك، قتله عبدالله بن علي العباسي سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م في حادثة نهر أبي فطرس. انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥١، ص ٥٩ ؛ المنجد، معجم بني أمية، ص ١٤٣.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٢٦٣ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٣١٩ ؛ فوزي، دراسات، ص ٣٨.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص ١٩٠ ؛ فوزي، الخلافة الأموية، ص ٦٣٦ ؛ أبو جيب، مروان بن محمد، ص ٢٤.

(٤) لم أجد له ترجمة.

(٥) فوزي، دراسات، ص ٣٩.

عمر بن هبيرة الذي سلمه المدينة، ومن ثم توجه نحو حمص فبايعه أهلها، ثم اتجه نحو موضع يسمى عين الجر في سهل البقاع (1).

وقد استعد الخليفة إبراهيم بن الوليد ومن معه لقدوم مروان وأرسل القائد المحنك سليمان بن هشام ومعه جيش، وخرجوا إلى موضع عين الجر وهناك تم اللقاء بين جيش مروان وجيش الخليفة، وفي تلك الأثناء أرسل مروان إلى القائد سليمان بن هشام يتعهد له بضمان أرواح المتآمرين على الوليد الثاني إذا ضمن هو له تحرير ابني الوليد المقتول الحكم وعثمان (2).

ويثني فوزي على هذه المبادرة من مروان ويصفها بالذكية، وذلك لأن مروان لم يكن يتوقع قبولها من قبل الطرف الثاني، وهذا يعني أن يظهر بمظهر الذي يدعو إلى السلم وحقن الدماء، وبالتالي يجد مبرر شرعي للقتال إذا رفض الطرف الثاني (3).

وبالفعل اقتتل الجيشان، ولكن المعركة طالت بين الفريقين مما اضطر مروان أن يلجأ إلى حيلة، حيث أمر ثلاثة من قادة جيشه أن يتظاهروا بالانسحاب مع كتائبهم ومن ثم الإغارة على جيش سليمان من الخلف وبذلك يتم الإطباق على سليمان وجيشه من جهتين، وبالفعل انكسر جيش سليمان وكانت هزيمتهم على يد مروان سنة ١٢٧هـ/٧٤٣م (4).

وكيفما كان الأمر فقد عقد كل من الخليفة إبراهيم بن الوليد وولي عهده ومعهم رؤوس المؤامرة (المؤامرة على الخليفة الوليد بن يزيد) اجتماعاً، من أجل مناقشة الوضع، وقرروا التخلص من ولدي الوليد ووكلوا هذه المهمة إلى يزيد بن خالد القسري، الذي أرسل مجموعة من مواليه لقتلهما (5).

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٢٧٤ ؛ فوزي، دراسات، ص ٣٩.

(٢) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٧٤ ؛ فوزي، المرجع السابق، ص ٤٠.

(٣) فوزي، المرجع السابق، ص ٤٠.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٧٤.

(٥) فوزي، المرجع السابق، ص ٤٢.

وكيفما كان الأمر فقد هرب الخليفة إبراهيم بن الوليد، وبويع مروان بن محمد بالخلافة في ٢٦ من صفر سنة ١٢٧هـ/ ٧٤٤م، وكان أول ما قام به هو تشييع ابني الوليد الحكم وعثمان وقتل عبدالعزيز بن الحجاج بن عبدالملك ويزيد بن خالد القسري [(١)].

ومما يجدر بنا معرفته في هذا الموضع هو أن الدولة الأموية منذ أن قامت كانت تعتمد اعتمادا كلياً على أهل الشام، وكانت القبائل اليمانية تشكل معظم أهل الشام، لكن الوضع تغير في هذه المرحلة؛ فالأحداث الأخيرة فرّقت الجماعة، وأصبح مروان بن محمد معتمداً على القيسية بينما الكتلة الأخرى المناوئة له كانت تساندها اليمانية [(٢)].

وتشير الروايات إلى أن مروان بن محمد فوجئ بمبايعته خليفة، حتى أنه استفسر من أبي محمد السفياني -وكان مسجوناً مع ابني الوليد المقتول ولم تستطع موالي يزيد القسري قتله- فأجابه زاعماً أن ابني الوليد كانا قد بلغا سن الرشد وأنهما أوصيا في حالة حدوث ما لا تحمد عقباه بهما، أن يكون الخليفة من بعدهما مروان بن محمد [(٣)]، وذلك من خلال أبيات نسبت إلى الحكم بن الوليد [(٤)]:

ألا من مبلغ مروان عني	وعمي الغمر طال بذا حنينا
بأني قد ظلمت وصار قومي	على قتل الوليد متابعينا
أيذهب كلبهم بدمي ومالي	فلا غثاً أصبت ولا سمينا
ومروان بأرض بني نزارٍ	كليث الغاب مفترس عرينا
ألم يحزنك قتل فتى قريش	وشقّهم عصيّ المسلمينا
وساد الناقص القدري فينا	وألقى الحرب بين بني أبينا
فليت خؤولتي من غير كلب	وكانت في ولادة آخرينا
فإن أهلك أنا وولي عهدي	فمروان أمير المؤمنينا

(١) البلاذري، انساب الأشراف، ج٩، ص ٢٠١ ؛ فوزي، دراسات، ص ٤٢.

(٢) عاقل، خلافة بني أمية، ص ٣٤٧.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٢٨٠ ؛ فوزي، المرجع السابق، ص ٤٣.

(٤) ابن قتيبة، ابي محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٨م). المعارف. تحقيق: ثروت عكاشة، ط٤، دار المعارف، القاهرة، (د. ت)، ص٣٦٧.
(سيشار إليه فيما بعد: ابن قتيبة، المعارف) ؛ الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٨٠.

فقبل مروان الخلافة، وقال: " إن هذين الغلامين جعلا لي الأمر بعدهما، ويعلم الله أني ما سعيت إليها ليلاً أو نهاراً " [١].

ورغم رواية البلاذري السابقة التي تصور مروان بن محمد وتضعه في موقف البريء المتهم بالسعي نحو الخلافة، إلا أن الباحثة لا تتفق مع الروايات السابقة؛ وذلك لأن مروان بن محمد كان يرقب الأحداث في دمشق منذ فترة طويلة وينتظر الفرصة المناسبة بفارغ الصبر كي يصل للسلطة، وربما أنه لم يطلبها من قبل بسبب خوفه من أن يرفضوها بني أمية له كونه ابن أم ولد، ولكن الآن الوضع تغير والظروف أصبحت تسمح بتولي ابن أم ولد وخصوصاً أن كل من يزيد الناقص والحكم بن الوليد وإبراهيم بن الوليد كانوا أبناء أمهات أولاد، بل والأهم من هذا وذاك أن الدولة الأموية أمست في أمسّ الحاجة لمنقذ ينتشلها من أنقاض الفتنة الثالثة والحرب الأهلية التي شهدتها في الفترة السابقة لتولي مروان الخلافة.

وقد عانى مروان الكثير من المتاعب لعدم وجود عهد شرعي بتعيينه عدا شهادة أبو محمد السفياني، ولكن الذي يعنينا من خلافته هو البيعة لولديه بولاية العهد، فقد بايع الخليفة مروان بن محمد ابنيه عبيدالله وعبدالله، وزوجهما من ابنتي هشام بن عبدالملك أم هشام، وأم عائشة [٢].

ولكن دوام الحال من المحال، فقد ظهرت أعلام ورايات العباسيين السود وأرسل أبو العباس السفاح نحو الخليفة مروان جيشاً على رأسه عمه عبدالله بن علي، وخرج مروان ومعه جيش من قبائل قضاعة وبني سليم والسكون والسكاسك، فلقيهم على نهر الزاب الأعلى قرب الموصل في إقليم الجزيرة الفراتية، فدارت بينهم معارك عدة هزم فيها مروان في جمادي الآخرة سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م وهرب إلى مصر وقد أمر أبو العباس السفاح بمطاردته حتى قتل في قرية بوصير بمصر في شهر ذي الحجة من نفس العام حيث وُجد نائماً بعد أن تعب من المطاردة، وبمقتل الخليفة مروان سقطت دولة بني أمية [٣].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٩، ص ٢٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٩، ص ٢٠١ ؛ أبو جيب، مروان بن محمد، ص ١١٦ ؛ عاقل، خلافة بني أمية، ص ٣٦٠ ؛ فوزي، تاريخ النظم، ص ٣٧.

(٣) الأزدي، تاريخ الموصل، ص ١٢٦ ؛ ماجد، التاريخ السياسي، ص ٢٧٠.

وبالنسبة لولدي مروان فقد هربا إلى النوبة بعد هزيمة أبيهما ومقتله، فقتل عبدالله في النوبة، وعاش عبيدالله مستخفياً إلى أيام المهدي العباسي، حيث حُمل إلى الخليفة المهدي وسجنه في بغداد وتوفي في سجنه [1].

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٥، ص ٢٤.

٤. شروط و سمات ولاية العهد الأموية.

من خلال استعراض تاريخ نظام ولاية العهد في الدولة الأموية، يمكن الآن التوصل إلى الشروط التي اشترطها الأمويون لكل من يتولى العهد، ولكن يجب الإشارة هنا إلى أن هذه الشروط عامة، وهناك حالات استثنائية لم تنطبق عليها هذه الشروط، فبعض الخلفاء أو حتى ولاة عهودهم لم يكونوا جديرين بالولاية إذا طبقت عليهم هذه الشروط، والشروط هي [1]:

١. أن يكون ولي العهد عربي صريح يجمع عراقة النسب وكرم الأصل من كلا الأبوين، فقد استثنى الأمويين أولاد الإماء من ولاية العهد وحرموهم من الخلافة، وليس أدل على ذلك من مسلمة بن عبدالملك الذي حال نسبه من ناحية أمه بينه وبين الوصول للخلافة رغم أنه كان قديراً، وكذلك العباس بن الوليد الذي لم يصل للخلافة بسبب أنه ابن أم ولد، ولكن الظروف تغيرت في السنوات الأخيرة من العصر الأموي ولذلك لاحظنا أن الخلفاء يعهدون لأبناء الإماء مثل الحكم بن الوليد بن يزيد، ويزيد بن الوليد وأخيه إبراهيم، وكذلك مروان بن محمد الذي تولى الخلافة رغم أنه ابن أم ولد.

٢. أن يكون ولي العهد بالغ راشد، فقد امتنع الأمويون عن البيعة لصغار السن، وإذا بايعوا صغيراً يجعلونه ولي ثانٍ للعهد، والدليل على ذلك حين تم اختيار مروان بن الحكم للخلافة مع وجود خالد بن يزيد، وكذلك بالنسبة للوليد بن يزيد الذي بويع كولي ثانٍ للعهد بعد عمه هشام بن عبدالملك، وكذلك من أسباب مقتل الخليفة الوليد بن يزيد هو أنه عهد لولديه بولاية العهد رغم أنهما صغيرين لم يبلغا بعد.

٣. أن يكون ولي العهد يتصف بالأخلاق الكريمة المتعارف عليها في المجتمع، فكان الأمويون يلومون أصحاب المجون واللهو من أبنائهم ويحاولون إصلاحهم ما أمكن قبل أن يعقدوا لهم ولاية العهد.

٤. الخبرة العسكرية، فقد راعى الأمويون أن يكونوا أبناءهم ذو خبرات إدارية وقيادة عسكرية كي تكسبهم صيت لدى العامة تمكنهم من تولي ولاية العهد

(١) ذوقان، ولاية العهد، ص ٤٨.

والخلافة فيما بعد، فقد أرسل الخليفة معاوية بن أبي سفيان ابنه يزيد في حملة القسطنطينية، وكذلك سليمان بن عبدالملك الذي أرسل ابنه داؤود في حملة حصار القسطنطينية، وأيضاً وجه الوليد بن عبدالملك ابنه العباس في حملات عسكرية عدة، وكذلك بالنسبة للخليفة هشام، فقد كانا ابنه سليمان أحد القادة المشهورين في العصر الأموي وهذا بالطبع أكسبهم خبرات قيادية وعسكرية.

٥. إتقان اللغة العربية، فقد حرص الأمويون على أن يكون أولياء عهدهم على معرفة جيدة باللغة العربية، ولذلك لم يقبل خلفاء بني أمية اللحن في اللغة من أبنائهم الذين بايعوا لهم، فقد قال الخليفة عبدالملك لابنه الوليد عندما عقد له العهد، وكان كثير اللحن: " إنه لا يلي أمر العرب إلا من يحسن كلامهم " (١).

٦. كان لاهتمام الأمويين بتربية أبنائهم تربية صالحة وتنشئتهم تنشئة إسلامية أن وضعوا لهم المؤدبين من كبار علماء المسلمين، ولهذا كان الكثير من الخلفاء على معرفة بالحديث والفقه.

وبعد استعراض شروط ولاية العهد في الدولة الأموية، فإن لولاية العهد الأموية أيضاً سمات اتسمت بها وهي (٢):

١. أن الوراثة على الطريقة الأموية لم تتقيد بأن يخلف الابن أباه في ولاية العهد، فقد كان كل من الوليد وسليمان وهشام إخوة، وكان عمر بن عبدالعزيز ابن عمهم.

٢. كان الخليفة الأموي يعتمد في تعيين ولي عهده على الوفود، وإن كانت بيعة الخليفة أو ولي العهد عن طريق الوفود ليست إلا مخرج شرعي أو مسرحية سياسية تعاد كل مرة.

٣. كانت ولادة الشخص عنصراً رئيسياً في انتخابه، فلا بد من أن يكون ولي العهد من أبوين عربيين حرين.

٤. إن نضج ولي العهد وبلوغه سن الرشد كان من الصفات المهمة اللازم توافرها في ولي العهد الأموي.

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٩.

(٢) فوزي، تاريخ النظم، ص ٣٧.

٥. إن الإقليم الأول الذي كان يقرر تعيين الخليفة الجديد أو ولي العهد هو إقليم (بلاد الشام) وذلك لأن العاصمة كانت في ذلك الحين دمشق، كما وأن دعامة الدولة الأموية هي القبائل الشامية وكان باستطاعتها أن تنقض أي قرار يتخذه أهل الحجاز أو أهل العراق أو أهل مصر أو أي إقليم آخر من الأقاليم بقوة السلاح.

٦. إن أهم ما يميز النظرية السياسية الأموية فيما يختص بمؤسسة الخلافة ممثلة بالخليفة وولي العهد هي أنهم اعتبروا الخلافة مؤسسة مقدسة مصونة بحفظ الله وحمايته من الفتن والانشقاق، وأنها الوسيلة لإحقاق الحق وتطبيق الشريعة ورعاية مصالح الناس وعلى الناس أن يسمعوا ويطيعوا، وهذا يعني الإقرار بمبدأ (الجبرية الأموية).

الخاتمة

الخاتمة

بعد هذا الاستعراض لتاريخ ولاية العهد في الدولة الأموية ما بين عامي ٤١هـ/ ٦٦١م و ١٣٢هـ/ ٧٥٠م، خلصت الباحثة إلى النتائج التالية:

١. أن الاستخلاف وجد عند العرب قبل الإسلام، ولكنه لم يتخذ الصورة الوراثية، حيث أن مجلس شورى القبيلة لا يمكن أن ينتخب ابن شيخ القبيلة خلفاً لأبيه إلا إذا كان يتصف بالصفات التي تؤهله لأن يتم اختياره كشيخ بدلاً عن أبيه المتوفي. وفي ذلك يقول ابن خلدون: أنه من النادر أن تستمر رئاسة القبيلة في أكثر من أربعة آباء في العقب الواحد؛ معللاً ذلك بأن الفضائل التي يتحلى بها الرئيس الأول لا تلبث أن تنحل رويداً رويداً كلما تولى واحد من أعقابه المتتالين إلى أن تضمحل تلك الفضائل في الرئيس الرابع، فتحتقر القبيلة شأنه، وتستبدل به غيره من تلك القبيلة [1].

٢. اتخذ نظام الاستخلاف في الدولة الإسلامية قبل ظهور الدولة الأموية صوراً عدة، تمثلت في: اختيار شخص بعينه مثلما اختار الخليفة أبا بكر عمر بن الخطاب ليكون خليفة من بعده، اختيار مجموعة من الأشخاص ليتولوا مهمة انتخاب خليفة من بينهم وفقاً لضوابط معينة وضعها الخليفة السابق كما هو الحال عندما تم اختيار عثمان بن عفان للخلافة، اجتماع الأمة على اختيار خليفة يتولى شؤون المسلمين مثل علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه.

٣. ظهر نظام ولاية العهد الوراثية لأول مرة في الدولة الإسلامية في زمن الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان، وذلك عندما عين ابنه يزيد ولياً لعهده، وكانت ردود الأفعال عنيفة جداً، نتجت عنها صراعات متعددة ومعارك دامية بين إقليمي الشام والحجاز.

٤. مدى تأثير العصبية القبلية على القرار السياسي في الدولة الأموية، وذلك أن الخليفة الأموي ما كان ليتخذ قرار تعيين ولياً لعهده دون الرجوع إلى شيوخ القبائل وخصوصاً القبائل الموالية للدولة الأموية، ويظهر ذلك جلياً في الدور الذي لعبه ابن بحدل الكلبي شيخ قبيلة كلب اليمانية في اختيار الخلفاء لولاة عهدهم.

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص ١٨٠.

٥. يعد مروان بن الحكم هو أول خليفة يعين أكثر من ولي عهد في الإسلام، وذلك عندما وعد خالد بن يزيد وعمرو بن سعيد بالخلافة من بعده في مؤتمر الجابية، ومن ثم قام بتنحيتهم وعين وليي عهد جديدين هما: ابنيه عبدالملك وعبدالعزيز.

٦. قام الخلفاء الأمويين بمحاولات عديدة من أجل تنحية ولي العهد الشرعي وتعيين ولي عهد جديد، وفي كل الحالات يكون ولي العهد الجديد هو ابن الخليفة، وذلك أدى في بعض الأحيان إلى ثورات ومعارضات من قبل ولي العهد الشرعي وأنصاره. ومثال على ذلك: تنحية مروان لعمرو بن سعيد والذي ثار في زمن عبدالملك.

٧. حرص الأمويون على أن يكون أولياء عهدهم يتصفون بصفات تؤهلهم لولاية العهد، منها: أن يكون ولي العهد من أبويين عربيين حرين، الخبرة العسكرية، إتقان اللغة العربية، بلوغ سن الرشد. وعلى الرغم من ذلك، فقد كانت هناك حالات شذت عن هذه القاعدة، فنجد في أواخر العهد الأموي أولياء عهد من أمهات غير عربيات بينما حرم منها بعض الجديرين في فترة من فترات التاريخ الأموي لكونهم أبناء أمهات أولاد، ولو كان هناك شخص جدير بولاية العهد بغض النظر عن كون أمه غير عربية، لكان مسلمة بن عبدالملك أحقهم بولاية العهد. كذلك حرص الأمويون على أن يكون ولي العهد بالغاً وذلك نلاحظه عندما اتفقوا على مروان بن الحكم وجعلوا خالد بن يزيد ولي للعهد بعد مروان وذلك لأن خالد صغيراً، وكذا الحال بالنسبة للوليد بن يزيد الذي جعل ولي للعهد بعد عمه هشام لكونه صغيراً، ولكن هناك بعض الحالات التي لم تلتزم بذلك أيضاً كما هو الحال بالنسبة للوليد بن يزيد الذي عين ولديه الحكم وعثمان وهما صغيرين، وكان هذا القرار أحد الأسباب التي أدت إلى قيام الثورة عليه ومن ثم مقتله.

٨. نلحظ أن ولاية العهد الأموية لم تتخذ منحى الوراثة المباشرة بحيث تنتقل السلطة من الأب إلى الابن، فقد تنتقل إلى الأخ أو ابن العم أو حتى أحد أبناء الفرع الآخر من الأسرة الأموية شريطة ألا تخرج من الأسرة الأموية، فقد تولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة بعد ابن عمه سليمان، وتولى سليمان الخلافة بعد أخيه الوليد، وتولى مروان بن الحكم وهو من الفرع الآخر الخلافة بعد معاوية بن يزيد.

٩. لعب القادة العسكريين والولاة دوراً في تعيين ولي العهد الأموي؛ ذلك أن الخليفة كان يرسل إلى الأمصار الكتب لأخذ الرأي في تعيين ولي عهده، وقد أدت بعض آراء

قادة الفتح التي عارضت هوى الخليفة الأموي وولي عهده إلى الانتقام منهم وهلاكهم فيما بعد. مثال على ذلك: سياسة سليمان تجاه قادة الفتح.

١٠. أن مبدأ تعيين ولي عهد للخليفة تطور في الدولة الأموية حتى أصبح نظام له شروط وقواعد وسمات، وأصبح إقليم بلاد الشام هو الإقليم المتخصص الذي يقرر تعيين ولي العهد وذلك لأن العاصمة كانت في ذلك الحين دمشق، كما وأن دعامة الدولة الأموية هي القبائل الشامية وكان باستطاعتها أن تنقض أي قرار يتخذه أهل الحجاز أو أهل العراق أو أهل مصر أو أي إقليم آخر من الأقاليم بقوة السلاح.

١١. برأي الباحثة أن نظام ولاية العهد الأموي كان أحد الأسباب الرئيسية لسقوط الدولة الأموية؛ وذلك أن الصراعات التي شهدتها الدولة الأموية في الفترة ما بين ١٢٥هـ/٧٤٢م و ١٣٢هـ/٧٥٠م على منصب الخلافة كانت السبب الرئيسي في نخر عظام الدولة الأموية وإضعاف قواها حتى سقطت فريسة في أيدي الشبح العباسي الأسود الذي ظهر في المشرق الإسلامي وامتد حتى قضى على الدولة الأموية في عقر دارها في بلاد الشام.

١٢. إن الخليفة هو الذي يختار ولي عهده، والإقليم المركزي (بلاد الشام) هو الذي يبدي موافقته أولاً ومن ثم تتبعه موافقة وفود الأقاليم، وكذلك فإن البيعة الخاصة والبيعة العامة ليست إلا مظاهر شكلية يتذرع بها الخلفاء للتصديق على قراراتهم.

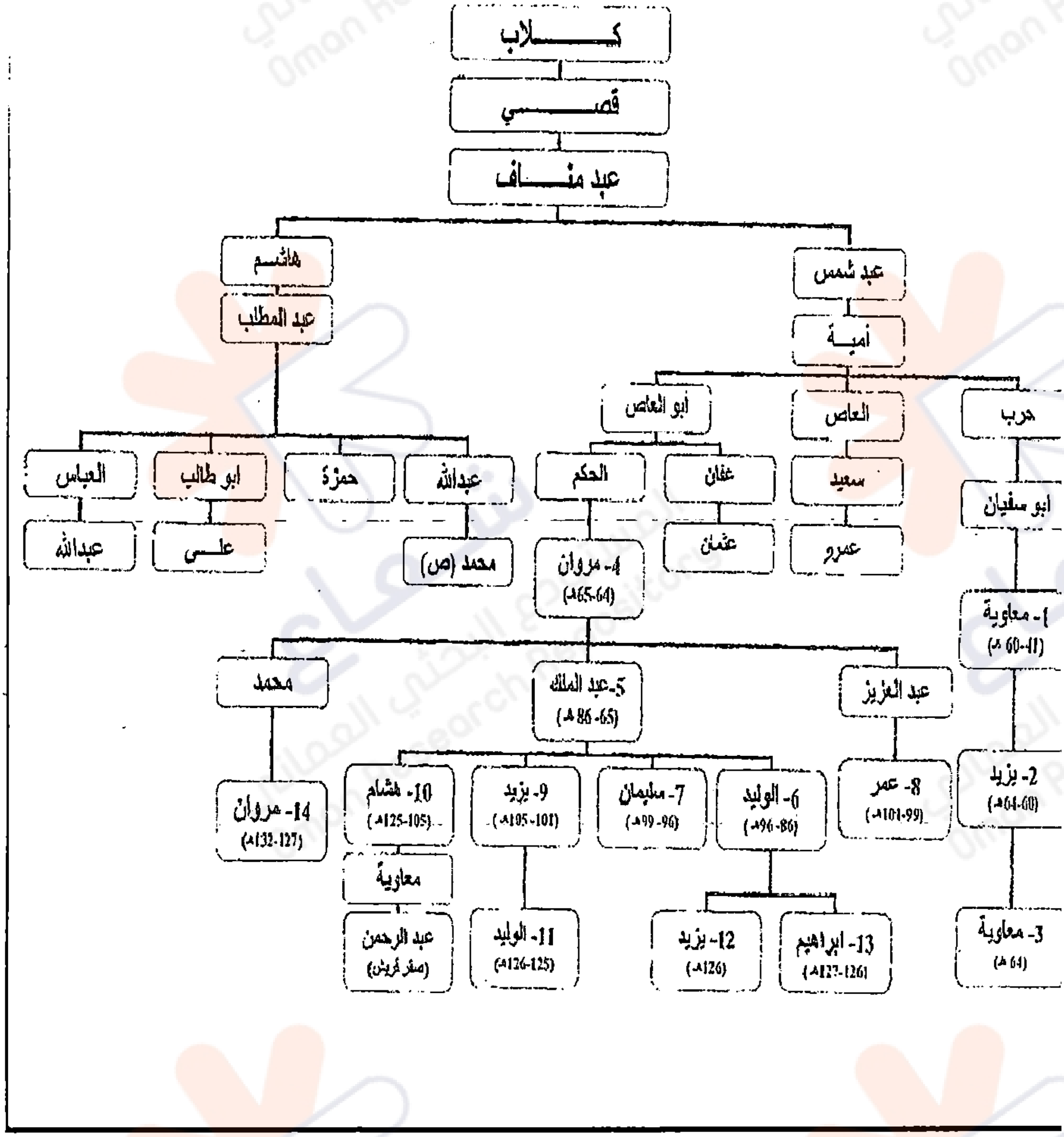
١٣. إن نظام ولاية العهد له سلبيات أكثر مما له من إيجابيات، وإن الذين كثير من الفرق الإسلامية التي أنكرت هذا المبدأ عند ظهوره لأول مرة، ما لبثت حتى اعتمدت عليه في أنظمة حكمها.

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أقول: الحمد لله الذي هداني لهذا وما كنت لأهتدي لولا أن هداني الله. والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته.

الملاحق

ملحق رقم (١)

شجرة نسب الدولة الأموية



المصدر: فوزي، الخلافة الأموية، ص ٥١.

ملحق رقم (٢)

كتاب الخليفة الوليد بن يزيد بن عبدالملك إلى الأمصار من أجل أخذ البيعة لولديه بولاية العهد [١]

أما بعد؛ فإن الله تباركت أسماؤه، وجل ثناؤه، وتعالى ذكره، اختار الإسلام ديناً لنفسه؛ وجعله دين خيرته من خلقه، ثم اصطفى من الملائكة رُسلاً ومن الناس؛ فبعثهم به، وأمرهم به؛ وكان بينهم وبين من مضى من الأمم، وخلا من القرون قرناً فقرناً؛ يدعون إلى التي هي أحسن، ويهدون إلى صراط مستقيم؛ حتى انتهت كرامة الله في نبوته إلى محمد صلوات الله عليه؛ على حين دُروسٍ [٢] من العلم، وعميً من الناس، وتشتيت من الهوى، وتفرقٍ من السبل، وطموسٍ [٣] من أعلام الحق؛ فأبان الله به الهدى، وكشف به العمى، واستنقذ به من الضلالة والردى، وأبهج به الدين، وجعله رحمةً للعالمين، وختم به وحيه، وجمع له ما أكرم به الأنبياء قبله؛ وقفَّى به على آثارهم؛ مصدّقاً لما نزل معهم، ومهيمناً عليه، وداعياً إليه، وآمراً به؛ حتى كان من أجابه من أمته، ودخل في الدين الذي أكرمهم الله به، مصدّقين لما سلف من أنبياء الله فيما يكذّبهم فيه قومهم، منتصحين لهم فيما يُنهونه، ذابّين لحُرمهم عما كانوا منتهكِين؛ معظّمين منها لما كانوا مصغّرين؛ فليس من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أحدٌ كان يسمع لأحد من أنبياء الله فيما بعثه الله به مكذباً، ولا عليه في ذلك طاعناً، ولا له مؤذياً، بتسفيهٍ له، أو ردٍّ عليه؛ أو جحد ما أنزل الله عليه ومعه، فلم يبقَ كافر إلا استحلّ بذلك دَمه، وقطع الأسباب التي كانت بينه وبينه؛ وإن كانوا آباءهم أو أبناءهم أو عشيرتهم.

ثم استخلف خلفاءه على منهاج نبوته؛ حين قبض نبيه صلى الله عليه وسلم، وختم به وحيه لإنفاذ حكمه، وإقامة سنته وحدوده، والأخذ بفرائضه وحقوقه، تأييداً بهم للإسلام، وتشييداً بهم لعُرَاه، وتقويةً بهم لقوى حبله، ودفعاً بهم عن حريمه، وعدلاً بهم بين

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٢٢٧.

(٢) من الفعل درس ويعني عفا وذهب أثره. انظر: المعجم الوجيز. (د. ط)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٢٢٥. (سيشار إليه فيما بعد: المعجم الوجيز).

(٣) من الفعل طمس ويعنى فسد وذهب أثره. انظر: المرجع نفسه، ص ٣٩٤.

عباده، وإصلاحاً بهم لبلاده؛ فإنه تبارك وتعالى يقول: { ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين }[1]، فتتابع خلفاء الله على ما أورثهم الله عليه من أمر أنبيائه، واستخلفهم عليه منه؛ لا يتعرّض لحقهم أحد إلا صرعه الله، ولا يفارق جماعتهم أحدٌ إلا أهلكه الله؛ ولا يستخف بولايتهم، ويتّهم قضاء الله فيهم أحدٌ إلا أمكنهم الله منه، وسلّطهم عليه، وجعله نكالاً وموعظة لغيره؛ وكذلك صنع الله بمن فارقَ الطاعة التي أمر بلزومها والأخذ بها، والأثرة [2] لها؛ والتي قامت السموات والأرض بها، قال الله تبارك وتعالى: { ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين }[3]، وقال عزّ ذكره: { وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نُسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون }[4].

فبالخلافة أبقى الله من أبقى في الأرض من عباده، وإليها صيّره، وبطاعة من ولاه إياها سعد من ألهمها ونصرها؛ فإن الله عز وجل علم أن لا قوام لشيء، ولا صلاح له إلا بالطاعة التي يحفظ الله بها حقه، ويُمضي بها أمره، ويُنْكِل [5] بها عن معاصيه، ويوقف عن محارمه، ويذبّ [6] عن حُرماته؛ فمن أخذ بحظه منها كان لله ولياً ولأمره مطيعاً، ولرشده مصيباً، ولعاجل الخير وآجله مخصوصاً؛ ومن تركها ورغب عنها وحادّ [7] الله فيها أضاع نصيبه، وعصى ربه، وخسر دنياه وآخرته؛ وكان ممن غلبت عليه الشّقْوة، واستحوذت عليه الأمور الغاوية، التي تورد أهلها أفظع المشارع [8]، وتقودهم إلى شر المصارع، فيما يحل الله بهم في الدنيا من الذلة والنقمة، ويصيّرهم فيما عندهم من العذاب والحسرة.

والطاعة رأس هذا الأمر وذروته وسنامه ومِلاكه وزمامه، وعصمته وقوامه، وبعد كلمة الإخلاص التي ميّز الله بها بين العباد. وبالطاعة نال المفلحون من الله منازلهم، واستوجبوا عليه ثوابهم، وفي المعصية مما يحلّ بغيرهم من نقماته، ويصيبهم عليه،

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥١.

(٢) الاختيار أو الاختصاص بأحسن الشيء. انظر: المنجد، ص ٣.

(٣) سورة فصلت: الآية ١١.

(٤) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٥) من الفعل نكل ويعني عاقب وردع. انظر: المعجم الوجيز، ص ٦٣٤.

(٦) يدافع ويحمي. انظر: المنجد، ص ٢٣٢.

(٧) عادى وغاضب. انظر: المرجع نفسه، ص ١٢٠.

(٨) مفردها مشرع وهو المورد. انظر: المرجع نفسه، ص ٣٨٢.

ويحقُّ من سخطه وعذابه، ويترك الطاعة والإضاعة لها والخروج منها والإدبار عنها والتبذّل للمعصية لا بها، أهلك الله من ضل وعتا، وعمى وغلا، وفارق مناهج البر والتقوى. فالزموا طاعة الله فيما عراكم ونالكم؛ وألمّ بكم من الأمور، وناصحوها واستوثقوا عليها، وسارعوا إليها وخالصوها، وابتغوا القُربة إلى الله بها؛ فإنكم قد رأيتم مواقع الله لأهلها في إعلائه إياهم، وإفلاجه [1] حجّتهم، ودفعه باطل من حادّهم وناواهم [2] وساماهم [3]، وأراد إطفاء نور الله الذي معهم. وخُبرّتُم مع ذلك ما يصير إليه أهل المعصية من التوبيخ لهم والتقصير بهم؛ حتى يؤول أمرُهم إلى تبار [4] وصغار وذلة وبوار [5]، وفي ذلك لمن كان له رأي وموعظة وعبرة يُنتفع بواضحها، ويتمسك بخظوتها [6]؛ ويعرف خيرة قضاء الله أهلها.

ثم إن الله -وله الحمد والمن والفضل- هدى الأمة لأفضل الأمور عاقبة لها في حقن دمائها، والتئام ألفتها، واجتماع كلمتها، واعتدال عمودها، وإصلاح دهمائها؛ وذخر النعمة عليها في دنياها، بعد خِلافته التي جعلها لهم نظاماً، ولأمرهم قواماً؛ وهو العهد الذي ألهم الله خلفاءه توكيده والنظر للمسلمين في جسيم أمرهم فيه؛ ليكون لهم عند ما يحدث بخلفائهم ثقةً في المفزع وملتجأ في الأمر، ولمّاً للشعث، وصلاحاً لذات البين، وتثبيتاً لأرجاء الإسلام؛ وقطعاً لنزغات الشيطان؛ فيما يتطلع إليه أولياؤه، ويُوثبهم عليه من تلف هذا الدين وانصداع شَعْب أهله، واختلافهم فيما جمعهم الله عليه منه؛ فلا يريهم الله في ذلك إلا ما ساءهم، وأكذب أمانيهم، ويجدون الله قد أحكم بما قضى لأوليائه من ذلك عُقد أمورهم، ونفى عنهم من أراد فيها إدغالاً [7] أو بها إغلالا [8]، أو أو لما شدّد الله منها توهيناً، أو فيما تولى الله منها اعتماداً، فأكمل الله بها لخلفائه وحِزبه البرّ الذين أودعهم طاعته أحسن الذي عوّدهم، وسبب لهم من إعزازه وإكرامه وإعلائه وتمكينه، فأمر هذا العهد من تمام الإسلام، وكما استوجب الله على أهله من المنن العظام؛ ومما جعل الله فيه لمن أجراه على يديه، وقضى به على لسانه، ووفقه لمن ولاه

(١) من الفعل فلَج ويعني أظهر. انظر: المعجم الوجيز، ص ٤٧٩.

(٢) من الفعل نأى ويعني تكبر وأعرض. انظر: المرجع نفسه، ص٥٩٨.

(٣) ربما تكون جاءت من الفعل سأم ويعني ملّ. انظر: المرجع نفسه، ص٢٩٩.

(٤) فساد. انظر: المرجع نفسه، ص ٧١.

(٥) هلاك. انظر: المرجع نفسه، ص ٦٦.

(٦) هكذا في الأصل والخظوة هي السمنة أو التسمين فيقال: أخظى الحيوان أي سمّنه، وربما الكلمة هي بخطوتها أو بحظوتها ولكنها جاءت بخظوتها خطأ. انظر: المرجع نفسه، ص ٢٠٤.

(٧) من الفعل دَغَل ويعني دخل دخولاً مريباً أو خان وأغتال. انظر: المرجع نفسه، ص ٢٢٩.

(٨) خيانة. انظر: المرجع نفسه، ص ٤٥٣.

هذا الأمر عنده أفضل الذُّخر؛ وعند المسلمين أحسن الأثر فيما يؤثر بهم من منفعته، ويتسع لهم من نعمته، ويستندون إليه من عزه، ويدخلون فيه من وزره الذي يجعل الله لهم به منعة، ويحرزهم به من كل مهلكة، ويجمعهم به من كل فُرقة، ويقمع به أهل النفاق، ويعصِمهم به من كل اختلاف وشقاق. فاحمدوا الله ربكم الرؤوف بكم، الصانع لكم في أموركم على الذي دلكم عليه من هذا العهد، الذي جعله لكم سكناً ومعولاً تطمئنون إليه، وتستظلون في أفنانه [1]؛ ويستنهج لكم به مثّنى أعناقكم، وسمات وجوهكم، وملتقى نواصيكم في أمر دينكم ودنياكم؛ فإن لذلك خطراً عظيماً من النعمة؛ وإن فيه من الله بلاء حسناً في سعة العافية؛ يعرفه ذوو الألباب والنيات المريئّون من أعمالهم في العواقب، والعارفون منار مناهج الرشد؛ فأنتم حقيقون بشكر الله فيما حفظ به دينكم وأمر جماعتكم من ذلك، جديرون بمعرفة كنه واجب حقه فيه، وحمده على الذي عزم لكم منه؛ فلتكن منزلة ذلك منكم، وفضيلته في أنفسكم على قدر حسن بلاء الله عندكم فيه إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله.

ثم إن أمير المؤمنين لم يكن منذ استخلفه الله بشيء من الأمور أشد اهتماماً وعنايةً منه بهذا العهد؛ لعلمه بمنزلته من أمر المسلمين، وما أراهم الله فيه من الأمور التي يغتبطون بها، ويكرمهم بما يقضي لهم ويختار له ولهم فيه جهده؛ ويستقضي له ولهم فيه إلهه ووليه؛ الذي بيده الحكم وعنده الغيب، وهو على كل شيء قدير. ويسأله أن يعينه من ذلك على الذي هو أرشد له خاصة وللمسلمين عامة.

فرأى أمير المؤمنين أن يعهد لكم عهداً بعد عهد، وتكونون فيه على مثل الذي كان عليه من كان قبلكم، في مُهلة من انفساح الأمل وطمأنينة النفس، وصلاح ذات البين؛ وعلم موضع الأمر الذي جعله الله لأهله عصمةً ونجاةً وصلاحاً وحياة، ولكل منافق وفاسق يحب تلف هذا الدين وفساد أهله وقِماً [2] وخساراً وقذعاً [3]. فولى أمير المؤمنين ذلك الحكم ابن أمير المؤمنين، وعثمان ابن أمير المؤمنين من بعده، وهما ممن يرجو أمير المؤمنين أن يكون الله خلقه لذلك وصاغه، وأكمل فيه أحسن مناقب من كان يوليه إياه، في وفاء الرأي وصحة الدين، وجزالة المروءة والمعرفة بصالح الأمور، ولم يألكم أمير المؤمنين ولا نفسه في ذلك اجتهاداً وخيراً.

---

(١) أغصانه. انظر: المعجم الوجيز، ص ٤٨٢.

(٢) الوقم هو القهر. انظر: المنجد، ص ٩١٤.

(٣) يقال قَذَعَ فلاناً عن الشيء قذعاً أي: كفه ومنعه. انظر: المرجع نفسه، ص ٤٩٣.

فبايعوا للحكم ابن أمير المؤمنين باسم الله وبركته ولأخيه من بعده؛ على السمع والطاعة، واحتسبوا في ذلك أحسن ما كان الله يُريكم ويبليكم ويعوّدكم ويعرّفكم في أشباهه فيما مضى، من اليسر الواسع والخير العام، والفضل العظيم الذي أصبحتم في رجائه وخفضه وأمنه ونعمته، وسلامته وعصمته. فهو الأمر الذي استبطأتموه واستسرعتم إليه، وحمدتم الله على إمضائه إياه، وقضائه لكم، وأحدثتم فيه شكراً، ورأيتموه لكم حظاً، تستبقونه وتجهدون أنفسكم في أداء حق الله عليكم، فإنه قد سبق لكم في ذلك من نعم الله وكرامته وحسن قسمه ما أنتم حقيقون أن تكون رغبتكم فيه، وحدبكم عليه، على قدر الذي أبلاكم الله، وصنع لكم منه.

وأمير المؤمنين مع ذلك إن حدث بواحد من وليي عهده حدث، أولى بأن يجعل مكانه وبالمنزل الذي كان به أحب أن يجعل من أمته أو ولده، ويقدمه بين يدي الباقي منهما إن شاء، أو أن يؤخره بعده. فاعلموا ذلك وافهموه.

نسأل الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم أن يبارك لأمير المؤمنين ولكم في الذي قضى به على لسانه من ذلك وقدّر منه؛ وأن يجعل عاقبته عافيةً وسروراً وغبطة؛ فإن ذلك بيده ولا يملكه إلا هو، ولا يرغب فيه إلا إليه، والسلام عليكم ورحمة الله [1].

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٢٢٧.

المصادر والمراجع

المصـــادر:

١. ابـن الأثيـر، عـز الـدين أبـو الحسـن علـي بـن محمـد (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م). أسـد الغابـة فـي معرفـة الصـحابة. تحقيـق: خالـد عبـدالفتاح شـبل، ط٢، دار الكتـب العلميـة، بيـروت، ٢٠٠٣م.

٢. ـــــــــــ. الكامـل فـي التـاريخ. تحقيـق: أبـو صـهيب الكرمـي، (د. ط)، بيـت الأفكار الدولية، عمان، (د.ت).

٣. الأزدي، أبـي زكريـا يزيـد بـن محمـد (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م). تـاريخ الموصـل. تحقيـق: علي حبيبة، (د. ط)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٧م.

٤. الأزرقـي، أبـي الوليـد محمـد بـن عبـدالله (ت ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م). أخبـار مكـة ومـا جـاء فيهـا مـن الآثـار. تحقيـق: رشـدي ملحـس، (د. ط)، دار الأنـدلس للطباعـة والنشـر، (د. م)، (د. ت).

٥. الأصـبهاني، أبـي الفـرج علـي بـن الحسـين (ت ٣٥٦هـ/ ٩٧٦م). الأغـاني. (د. ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).

٦. ابـن أعـثم، أبـي محمـد أحمـد الكـوفي (ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م). كتـاب الفتـوح. ج٧، ط١، دار الندوة الجديدة، بيروت، (د. ت).

٧. الـبلاذري، أحمـد بـن يحيـى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م). جمـل مـن أنسـاب الأشـراف. تحقيـق: سهيل زكار وآخرون، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.

٨. ـــــــــــ. فتوح البلدان. (د. ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م.

٩. ابـن تغـري بـردي، جمـال الـدين أبـي المحاسـن (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م). مـورد اللطافـة فـي مـن ولـي السـلطنة والخلافـة. تحقيـق: نبيـل أحمـد، (د. ط)، دار الكتـب المصـرية، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٠. ـــــــــــ. النجـوم الزاهـرة فـي ملـوك مصـر والقـاهرة. (د. ط)، وزارة الثقافـة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٣م.

١١. ابـن تيميـة، أحمـد بـن عبـدالحليم (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٧م). سـؤال فـي يزيـد بـن معاويـة. تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط٣، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٦م.

١٢. الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م). البيان والتبيين. تحقيق: درويش جويدي، (د. ط)، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م.

١٣. ــــــــــ. رسائل الجاحظ: الرسائل الكلامية. تقديم: علي أبو ملحم، ط١، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٧م.

١٤. الجهشياري، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ/ ٩٤٢م). كتاب الوزراء والكتاب. تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط٢، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٩٨٠م.

١٥. ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م). سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز. تحقيق: السيد الجميلي، (د. ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٧م.

١٦. ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ// ١٠٦٤م). جمهرة أنساب العرب. تحقيق: عبدالسلام هارون، ط٥، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

١٧. الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م). معجم البلدان. ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

١٨. الخطفي، جرير بن عطية (ت ١١٤هـ/ ٧٣٢م). ديوان جرير. ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٥٨م.

١٩. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م). مقدمة ابن خلدون. تحقيق: حامد أحمد الطاهر، ط١، دار الفجر للتراث، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٢٠. ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء هذا الزمان. تحقيق: يوسف طويل وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

٢١. ابن خياط، أبي عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م). تاريخ خليفة بن خياط. راجعه: مصطفى فواز وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

٢٢. الدينوري، أبي حنيفة أحمد بن داؤود (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م). الأخبار الطوال. تحقيق: عبدالمنعم عامر، (د. ط)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، (د. ت).

٢٣. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٦م). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: عهد معاوية بن أبي سفيان. تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٩م.

٢٤. ــــــــــ. العبر في خبر من غبر. تحقيق: محمد بسيوني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.

٢٥. الزبيري، المصعب بن عبدالله (ت ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م). نسب قريش. ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٣م.

٢٦. ابن سعد، محمد بن سعد بن منبج (ت ٢٣٠هـ/٨٨٤م). الطبقات الكبرى. تحقيق: محمد عطا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

٢٧. السيوطي، الحافظ جلال الدين (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م). تاريخ الخلفاء. تحقيق: سعيد محمود عقيل، ط١، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٣م.

٢٨. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م). الوافي بالوفيات. تحقيق: محمد الحجيري، (د. ط)، مركز الطباعة الحديثة، بيروت، ١٩٨٤م.

٢٩. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م). تاريخ الأمم والملوك. ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

٣٠. ـــــــــــ . جامع البيان في تفسير القرآن. تحقيق: عبدالله التركي، (د. ط)، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١م.

٣١. العامري، عامر بن الطفيل (ت ١٠هـ/ ٦٣١م). ديوان عامر بن الطفيل. (د. ط)، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.

٣٢. ابن عبدالحكم، أبي محمد عبدالله (ت ٢١٤هـ/ ٨٢٩م). سيرة عمر بن عبدالعزيز. تحقيق: أحمد عبيد، ط٦، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٤م.

٣٣. ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م). العقد الفريد. تحقيق: محمد عبدالقادر شاهين، (د. ط)، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥م.

٣٤. ابن العبري، جريجوريوس بن أهرون (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م). تاريخ مختصر الدول. تحقيق: أنطون اليسوعي، (د. ط)، دار الرائد اللبناني، بيروت، ١٩٨٣م.

٣٥. ابن العربي، القاضي أبي بكر (ت ٥٤٣هـ/١١٤٨م). العواصم من القواصم. تحقيق: عمار طالبي، ط١، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٩٢م.

٣٦. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م). تاريخ دمشق الكبير. تحقيق: علي الجنوبي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

٣٧. القالي، أبي علي إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م). كتاب الأمالي. تحقيق: صلاح هلل وآخرون، (د. ط)، المكتبة العصرية، صيدا (لبنان)، ٢٠٠٦م.

٣٨. ابن قتيبة، أبي محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٨م). الإمامة والسياسة. (منسوب إليه)، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩م.

٣٩. ـــــــــــ . الشعر والشعراء. تحقيق: أحمد محمد شاكر، (د. ط)، دار المعارف، القاهرة، (د. ت).

٤٠. ـــــــــــ . المعارف. تحقيق: ثروت عكاشة، ط٤، دار المعارف، القاهرة، (د. ت).

٤١. القلقشندي، أحمد بن عبدالله (ت ٨٢١هـ/١٤١٧م). مآثر الإنافة في معالم الخلافة. تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، (د. ط)، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٤م.

٤٢. الكتبي، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م). فوات الوفيات. تحقيق: إحسان عباس، (د. ط)، دار صادر، بيروت، (د.ت).

٤٣. ابـن كثيـر، أبـو الفـدا الحـافظ الدمشـقي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م). البدايـة والنهايـة. تحقيق: أحمد جاد، (د.ط)، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٤٤. ابـن ماجـه، محمـد بـن يزيـد (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م). سـنن ابـن ماجـه. تحقيـق: محمـد عبدالباقي، (د. ط)، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت).

٤٥. المـاوردي، أبـي الحسـن علـي بـن محمـد (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م). الأحكـام السـلطانية والولايـات الدينيـة. تحقيـق: سـمير مصـطفى ربـاب، (د. ط)، المكتبـة العصـرية، بيـروت، ٢٠٠٣م.

٤٦. المبـرد، محمـد بـن يزيـد (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م). الكامـل فـي اللغـة والأدب. تحقيـق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د. ط)، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٨م.

٤٧. المسـعودي.علـي بـن الحسـين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م). التنبيـه والإشـراف. (د. ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١م.

٤٨. ــــــــــ . مـروج الـذهب ومعـادن الجـوهر. تحقيـق: قاسـم وهـب، ط١، منشورات وزارة التراث، دمشق، ١٩٨٨م.

٤٩. مسـلم، أبـي الحسـين بـن الحجـاج (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م). صـحيح مسـلم. تحقيـق: محمـد فؤاد عبدالباقي، (د. ط)، دار إحياء التراث العربي، (د.م)، (د. ت).

٥٠. ابـن منظـور، محمـد بـن مكـرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م). لسـان العـرب. (د. ط)، دار صادر، بيروت، (د.ت).

٥١. ــــــــــ . مختصـر تـاريخ دمشـق لابـن عسـاكر. تحقيـق: مـأمون الصاغرجي، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م.

٥٢. مؤلـف مجهـول (القـرن الرابـع الهجـري/ العاشـر المـيلادي). العيـون والحـدائق فـي أخبار الحقائق. (د. ط)، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٧١م.

٥٣. ابـن هشـام، أبـي محمـد عبـدالملك المعـافري (ت ٢١٣هـ/ ٨٣١م). السـيرة النبويـة. ج٣، (د. ط)، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٥٤. ابـن الـوردي، عمـر بـن مظفـر (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م). تـاريخ ابـن الـوردي. ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

٥٥. اليعقـوبي، أحمـد بـن أبـي يعقـوب بـن جعفـر (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م). تـاريخ اليعقـوبي. (د. ط)، مطبعة بريل، ليدن (هولندا)، ١٨٨٣م.

٥٦. ــــــــــ . مشـاكلة النـاس لزمـانهم. تحقيـق: ولـيم ملـورد، ط١، دار الكتـاب الجديد، بيروت، ١٩٦٢م.

٥٧. أبـي يعلـى، أحمـد بـن علـي (ت ٣٠٧هـ/ ٩١٩م). مسـند أبـي يعلـى الموصـلي. تحقيـق: حسين أسد، (د. ط)، دار المامون، دمشق، ١٩٨٥م.

المراجـــع:

١. إبـراهيم، محمـد أبـو الفضـل وآخـرون. أيـام العـرب فـي الإسـلام. ط٤، المكتبـة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥م.

٢. أمين، أحمد. فجر الإسلام. (د. ط)، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٨م.

٣. بحـري، محمـد عبـدالله. تطـور نظـام الحكـم فـي الجزيـرة العربيـة منـذ بدايـة العصـور التاريخيـة حتـى القـرن الثالـث (ق.م). (د. ط)، هيئـة أبـوظبي للثقافـة والتـراث، أبـوظبي، ٢٠٠٧م.

٤. برو، توفيق. تاريخ العرب القديم. (د. ط)، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م.

٥. بطاينـة، محمـد ضـيف الله. دراسـة فـي تـاريخ الخلفـاء الأمـويين. ط١، دار الفرقـان للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩م.

٦. بيضون، إبراهيم. تاريخ بلاد الشام. ط١، دار المنتخب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

٧. ـــــــ. ملامـح التيـارات السياسـية فـي القـرن الأول الهجـري. (د. ط)، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩م.

٨. جاسـم، جاسـم محمـد. الوفـادات علـى الخلفـاء الأمـويين. (د. ط)، دار الكتـاب الثقـافي، إربد (الأردن)، ٢٠٠٥م.

٩. الجبيلـي، سـجيع جميـل. البيـت السـفياني فـي الشـعر الأمـوي. ط١، المكتبـة العصـرية، بيروت، ١٩٩٨م.

١٠. أبـو جيـب، سـعدي. مـروان بـن محمـد وأسـباب سـقوط الدولـة الأمويـة. (د. ط)، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م.

١١. حمـادة، محمـد مـاهر. الوثـائق السياسـية والإداريـة العائـدة للعصـر الأمـوي. (د. ط)، مؤسسة الرسالة، (د. م)، (د.ت).

١٢. خريسـات، محمـد عبـدالقادر. الدولـة الأمويـة مـن النهـوض إلـى السـقوط ٤١ـ ١٣٢هـ. (د. ط)، مؤسسة حمادة، اربد (الأردن)، ٢٠٠٥م.

١٣. خفـاجي، عبـدالمنعم وآخـرون. معـارك فاصـلة فـي التـاريخ الإسـلامي. ط١، الـدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٨٩م.

١٤. خمـاش، نجـدة. خلافـة بنـي أميـة فـي الميـزان. ط١، دار طـلاس للدراسـات والترجمـة والنشر، دمشق، ٢٠٠١م.

١٥. ـــــــ. الشام في صدر الإسلام. ط١، دار طلاس، (د. م)، ١٩٨٧م.

١٦. الزحيلـي، وهبـة. الخليفـة الراشـد العـادل عمـر بـن عبـدالعزيز. ط٢، دار قتيبـة، دمشق، ١٩٩٢م.

١٧. الزركلي، خير الدين. الأعلام. ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م.

١٨. سالم، السيد عبدالعزيز. التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية. (د. ط)، دار النهضة العربية، بيروت، (د. ت).

١٩. السرجاني، راغب. الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي. ط١، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٢٠. سلطان، عبدالمنعم عبدالحميد. آل المهلب العمانيون في المشرق الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية. (د. ط)، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٣م.

٢١. السيد، محمود. تاريخ الدولة الأموية. (د. ط)، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٢٢. شاكر، محمود. العهد الأموي. ط٧، المكتب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م.

٢٣. الشرقاوي، عبدالرحمن. عمر بن عبدالعزيز. ط١، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٢٤. الشريف، عبدالله حسين. الدولة الأموية في عهد الخليفة يزيد بن عبدالملك. ط١، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٢٥. شعبان، فوزي. توريث الحكم في الأديان السماوية. (د. ط)، دار الأحمدي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩م.

٢٦. شعبان، محمد عبدالحي. صدر الإسلام والدولة الأموية. (د. ط)، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧م.

٢٧. الصابوني، محمد بن علي. صفوة التفاسير. ط١، مكتبة الغزالي، دمشق، ١٩٨٦م.

٢٨. الصلابي، محمد علي. الدولة الأموية: عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ط١، دار اليقين للنشر والتوزيع، المنصورة (مصر)، ٢٠٠٦م.

٢٩. طراوة، حجاز علي. إمارة عمر بن عبدالعزيز على المدينة المنورة. ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٩م.

٣٠. طهبوب، صلاح. موسوعة التاريخ الإسلامي: العصر الأموي. (د. ط)، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤م.

٣١. عاقل، نبيه. خلافة بني أمية. (د. ط)، دار الفكر، (د.م)، ١٩٧٥م.

٣٢. عبدالعال، محمد. الحالة السياسية للمدينة المنورة إبان الحكم الأموي. ط١، مكتبة العلم والإيمان، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٣٣. عبدالغفار، حسن. الحجاج بن يوسف الثقفي: دراسة تاريخية. ط١، مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٣٤. عبداللطيف، عبدالشافي محمد. العالم الإسلامي في العصر الأموي. ط١، دار الوفاء للطباعة، (د. م)، ١٩٨٤م.

٣٥. العش، يوسف. الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءً من فتنة عثمان. ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م.

٣٦. العشي، عمار. تاريخ بلاد الشام في القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري. ط١، دار الينابيع، دمشق، ٢٠٠٩م.

٣٧. العشماوي، محمد سعيد. الخلافة الإسلامية. ط٢، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٢م.

٣٨. عطوان، حسين. الأمويون والخلافة. ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٦م.

٣٩. علي، جواد. المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٠م.

٤٠. العيدروس، محمد حسن. الدولة الإسلامية الثالثة. (د. ط)، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠٠٩م.

٤١. فروخ، عمر. تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية. ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م.

٤٢. ـــــــ. الحجاج بن يوسف الثقفي. (د.ط)، مطبعة الكتاب، بيروت، ١٩٤١م.

٤٣. الفقي، عصام الدين عبد الرءوف. معالم تاريخ الإسلام. ط١، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٩٠م.

٤٤. فوزي، فاروق عمر. تاريخ النظم الإسلامية. ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠م.

٤٥. ـــــــ. الجيش والسياسة في العصر الأموي ومطلع العصر العباسي ٤١ - ٣٣٤هـ. ط١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٥م.

٤٦. ـــــــ. الخلافة الأموية. ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩م.

٤٧. ـــــــ. دراسات في التاريخ الإسلامي. ط١، دار مجدلاوي، عمان، ٢٠٠٥م.

٤٨. ـــــــ. العباسيون الأوائل. ط١، دار مجدلاوي، عمان، ٢٠٠٣م.

٤٩. ـــــــ. الهاشميون الأوائل. ط١، دار مجدلاوي، عمان، ٢٠٠٩م.

٥٠. القاسمي، ظافر. نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي: الحياة الدستورية. ط٢، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٧م.

٥١. قريب الله، حسن الشيخ. الحرب الأهلية في صدر الإسلام. (د. ط)، دار الجيل، بيروت، (د. ت).

٥٢. ماجد، عبدالمنعم. التاريخ السياسي للدولة العربية: عصر الخلفاء الأمويين. ط ٨، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م.

٥٣. المعجم الوجيز. (د. ط)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٥٤. المنجد، صلاح الدين. معجم بني أمية. ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٠م.

٥٥. المنجد في اللغة والأعلام. ط٤٢، دار المشرق، بيروت، (د. ت).

٥٦. النبهان، محمد فاروق. نظام الحكم في الإسلام. (د. ط)، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٧٣م.

٥٧. النص، إحسان. نصوص من الشعر الإسلامي والأموي. (د. ط)، دار الفكر، (د. م)، ١٩٧٥م.

٥٨. نوار، صلاح الدين محمد. نظرية الخلافة أو الإمامة وتطورها السياسي والديني. (د. ط)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٦م.

٥٩. الهاشمي، عبدالمنعم. الخلافة الأموية. ط١، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢م.

٦٠. واصف بك، أمين. معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية. (د، ط)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٨م.

المراجـــع الأجنبية:

1. Encyclopaedia of Islam (1). Edited by: M. TH. HOUTSMA and others, Old edition, E. J Brill, Leiden, 1927.

2. Encyclopedia of Islam and the Muslim World. Edited by: Richard C. Martin, (N.E), Thomson Gale, USA, 2003.

3. Hawting, G.R. The first dynasty of Islam: The Umayyad caliphate. (N.E), Croom Helm, London, 1986.

4. Muir, William. The Caliphate. (N.E), Draft Published LTD, London, 1984.

5. The Encyclopaedia of Islam: New edition. Edited by: C. E BOSWERTH and others, New edition , E. J. Brill, Leiden, 1999.

البحوث العلمية والدوريات:

١. بطاينـة، محمـد. حـول مصـرع الوليـد بـن يزيـد بـن عبـدالملك. مجلـة كليـة الآداب، جامعـة الرياض، المجلد ٥، دون عدد، الرياض، ١٩٧٨م.

٢. ـــــــــ . العصـبية القبليـة والأحـداث التاريخيـة فـي عصـر بنـي أميـة. (بحـث غيـر منشور). (من مقتنيات أ. د/ فاروق عمر فوزي).

٣. ـــــــــ . وصـول بنـي أميـة إلـى منصـب الخلافـة. (بحـث غيـر منشـور). (مـن مقتنيات أ. د/ فاروق عمر فوزي).

٤. جـوده، صـادق أحمـد. منصـور بـن جمهـور: موقفـه مـن الأحـداث السياسـية فـي أواخـر العصر الأموي. مجلة جامعة الملك سعود، مجلد ٨، دون عدد، الرياض، ١٩٩٦م.

٥. الخراشـي، عبـدالله عثمـان. بيعـة معاويـة بـن يزيـد ونهايـة حكـم العهـد السـفياني للأمويين. مجلة الدارة، مجلد ٣٣، العدد ٢، الرياض، ٢٠٠٧م.

٦. خليـل، عمـاد الـدين. دراسـة مقارنـة فـي سياسـات يزيـد بـن عبـدالملك ١٠٢ـ ١٠٥هـ. بحـث ضـمن كتـاب (دراسـات فـي التـاريخ الإسـلامي)، (د. ط)، (د. ن)، بيـروت، ١٩٨٧م.

٧. دكسـن، عبـد الأميـر. الانقسـامات فـي البيـت الأمـوي (١٢٥ ـ ١٢٣هـ/ ٧٤٢ـ ٧٥٠م) وأثرهـا فـي نهايـة الخلافـة الأمويـة فـي بـلاد الشـام. مجلـة المـؤرخ العربـي، الأمانـة العامـة لاتحاد المؤرخين العرب، مجلد ١٩، العدد ٤٧، بغداد، ١٩٩٣م.

٨. السـري، أحمـد علـي. نهايـة الفـاتح قتيبـة بـن مسـلم. المجلـة العربيـة للعلـوم الإنسـانية، جامعة الكويت، مجلد ٢٢، العدد ٨٦، الكويت، ٢٠٠٤م.

٩. الصـرايرة، سـليمان سـالم. التكـوين الثقـافي لعبـدالملك بـن مـروان وولديـه الوليـد وسـليمان (٦٥ـ ٩٩هـ). مؤتـة للبحـوث والدراسـات، سلسـلة البحـوث الإنسـانية والاجتماعية، مجلد ٢٥، العدد ٥، الأردن، ٢٠١٠م.

١٠. العرينـان، حمـد محمـد. إباحـة المدينـة وحريـق الكعبـة فـي عهـد يزيـد بـن معاويـة بـين المصـادر القديمـة والحديثـة. مجلـة كليـة الآداب، جامعـة الريـاض، مجلـد ٥، دون عـدد، الرياض، ١٩٧٧م.

١١. العقيلـي، عمـر سـليمان. أسـلوب تعاقـب بنـي أميـة علـى منصـب الخلافـة وأثـره فـي سقوط دولتهم. مجلة الدارة، مجلد ٢٠، العدد ٣، الرياض، ١٩٧٥م.

١٢. ــــــ. مبايعـة يزيـد بـن معاويـة بولايـة العهـد. مجلـة كليـة الآداب، جامعـة الملـك سعود، مجلد ١٢، العدد ٢، الرياض، ١٩٨٥م.

١٣. العقيلـي، محمـد أرشـيد. مـروان بـن الحكـم ينقـذ الحكـم الأمـوي. مجلـة دراسـات تاريخية، جامعة دمشق، مجلد١٤، العدد٤٥، دمشق، ١٩٩٣م.

١٤. أبـو العـلا، إبـراهيم عبـدالمنعم سـلامة. نكبـات المهالبـة ومصـير نسـائهم فـي عصـر الدولـة الأمويـة (٨٦ـ ١٠٢هـ) كمـا صـورها العـوتبي الصـحاري فـي كتابـه الأنسـاب. بحـث

من ضمن أعمال (ندوة العوتبي الصحاري)، تحرير: عليان الجالودي وآخرون، مجلد ٢، وحدة الدراسات العمانية، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠٠٩م.

١٥. علي، محمد كرد. مميزات بني أمية. مجلة المجمع العلمي العربي، ج ١٠، دمشق، ١٩٤١م.

١٦. كاتبي، غيداء خزنة. انتقال الخلافة من السفيانيين إلى المروانيين. مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، مجلد ٢٠، العدد ٦٧، دمشق، ١٩٩٩م.

١٧. الملاح، هاشم يحيى. أساليب تداول السلطة في الدولة العربية الإسلامية. مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، دون مجلد، العدد ٧، الموصل (العراق)، ١٩٧٦م. ١٨. ـــــــ . مكانة الشورى في سياسة وإدارة الرسول (ص). مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، دون مجلد، العدد ٣٠، بغداد، ١٩٨٦م.

١٩. النابودة، حسن محمد. ثورة يزيد بن المهلب. مجلة دراسات العلوم والاجتماعية، مجلد ٢٩، العدد ٣، أبوظبي، ٢٠٠٣م.

٢٠. الناطور، شحادة علي. جند الأردن ودور القبائل اليمنية في استرداد سلطة بني أمية. مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، دون مجلد، العدد ٣٠، بغداد، ١٩٨٦م.

الرسائل العلمية:

١. ذوقان، وجيه لطفي طالب. ولاية العهد في العصر الأموي (٤١هـ/ ٦٦١م - ١٣٢هـ/ ٧٥٠م). رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس (فلسطين)، ٢٠٠٥م.

٢. عبابنة، علي إبراهيم. خلافة سليمان بن عبدالملك ٩٦- ٩٩هـ. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٦م. (من مقتنيات أ. د/ فاروق عمر فوزي).

٣. العزام، صبحي محمود. خلافة مروان بن الحكم ٦٤- ٦٥هـ. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٦م. (من مقتنيات أ. د/ فاروق عمر فوزي).

٤. النبهاني، بدرية محمد شامس. مسلمة بن عبدالملك بن مروان (٦٣- ١٢١هـ). رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة السلطان قابوس، مسقط، ٢٠٠٧م.